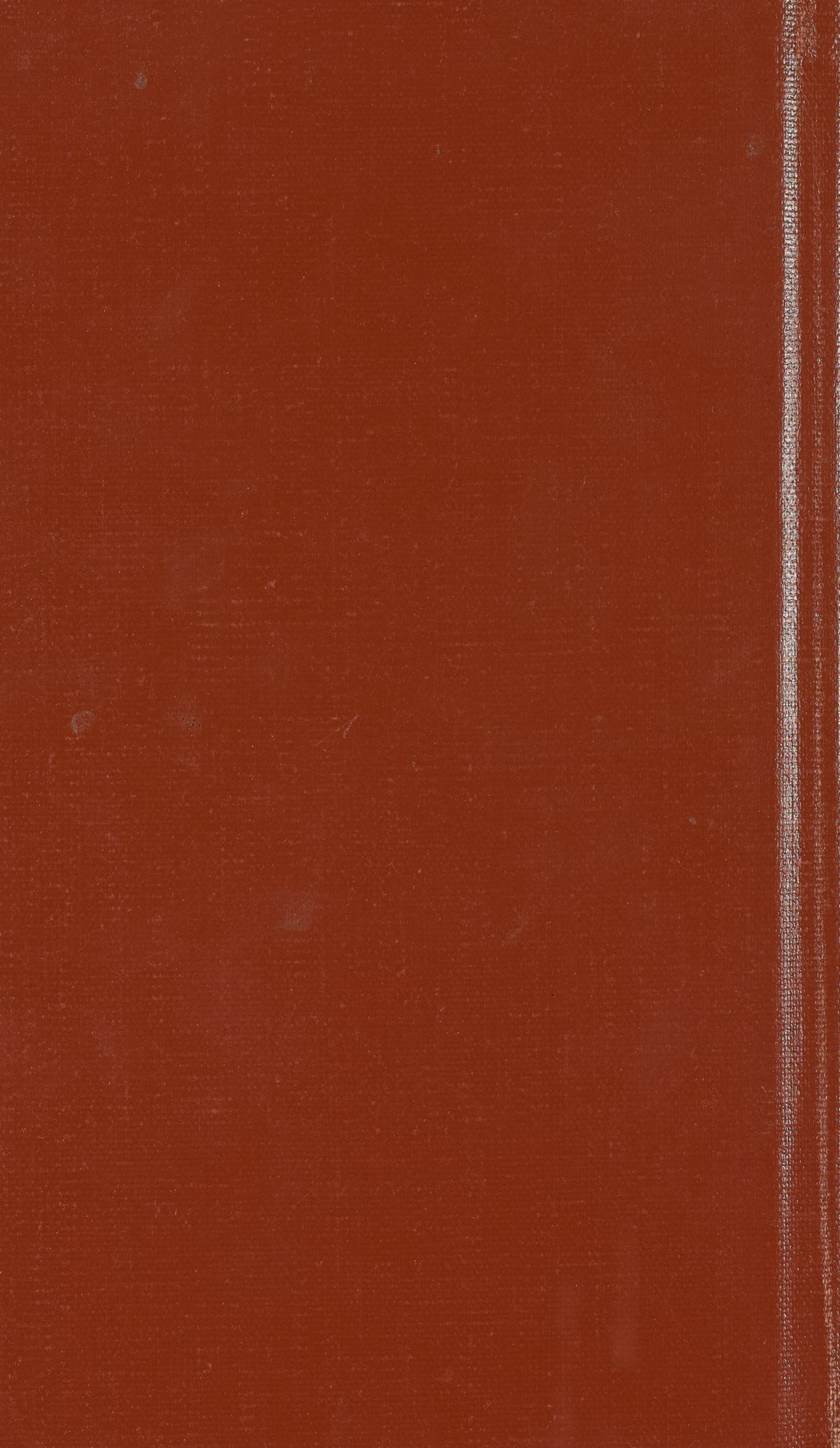
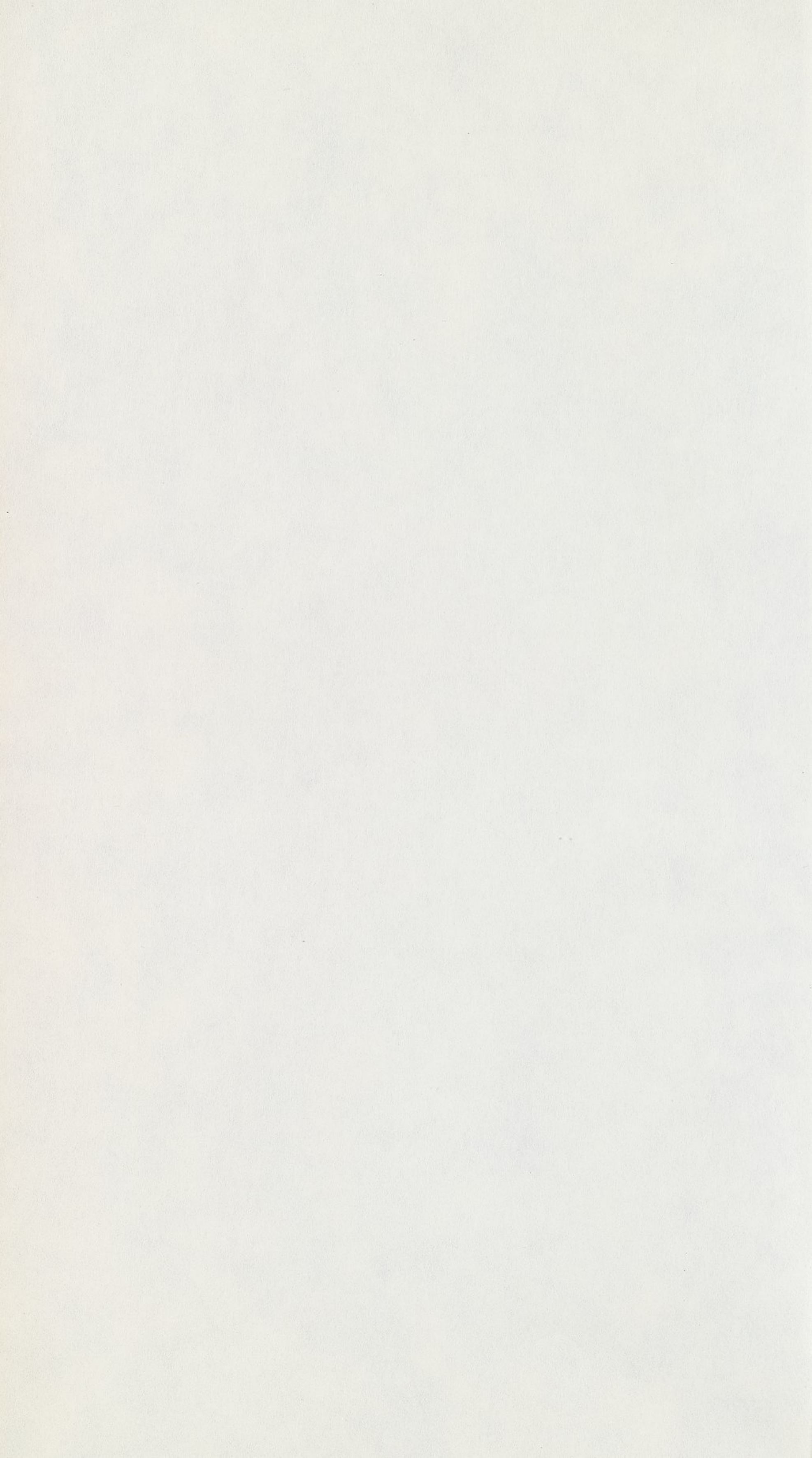
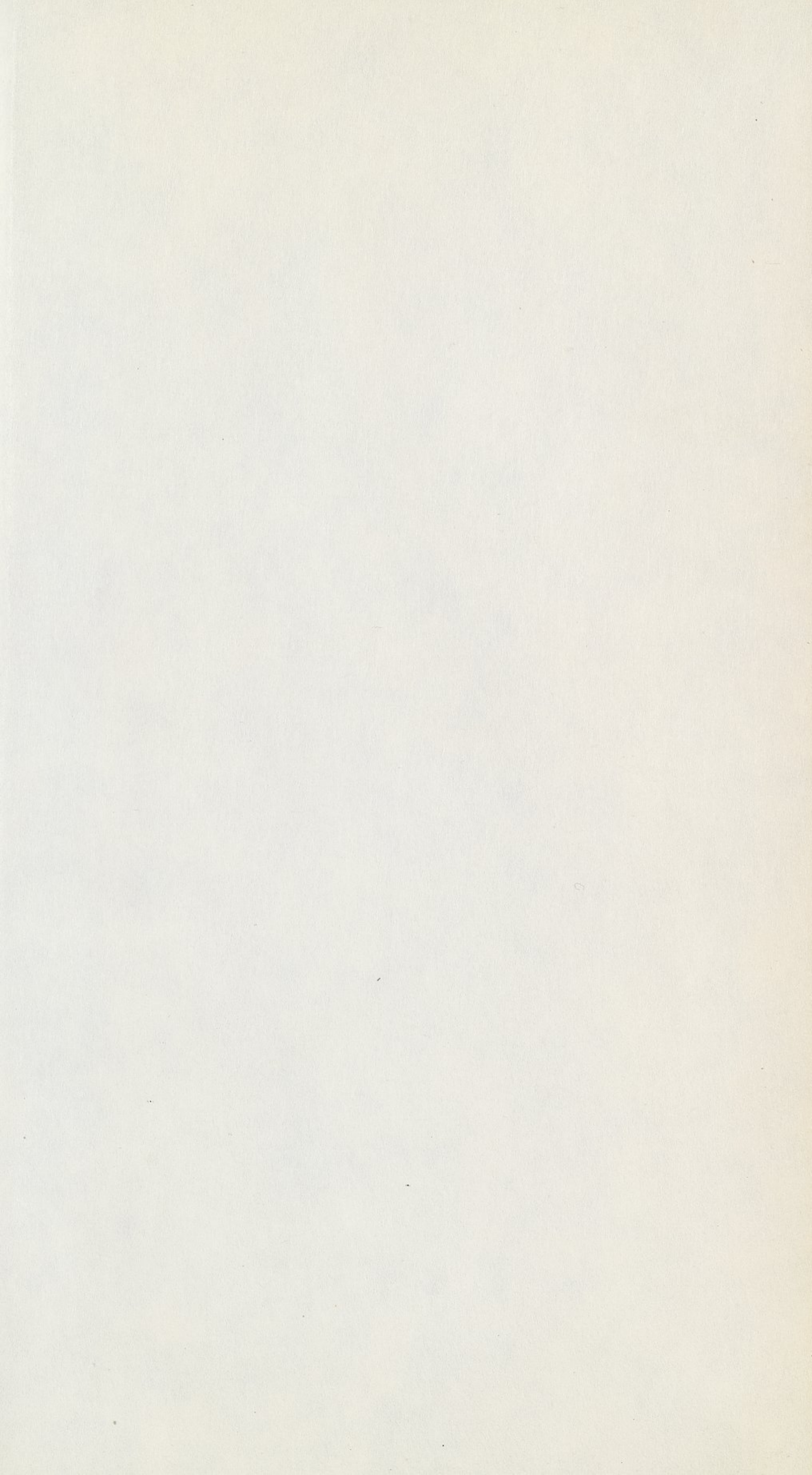








Ibn al-Wardi

خريدة العجائب
و
فريدة الغرائب

تأليف

سراج الدين أبى حفص عمر بن الوردى

(٦٨٩ — ٧٤٩ هـ)

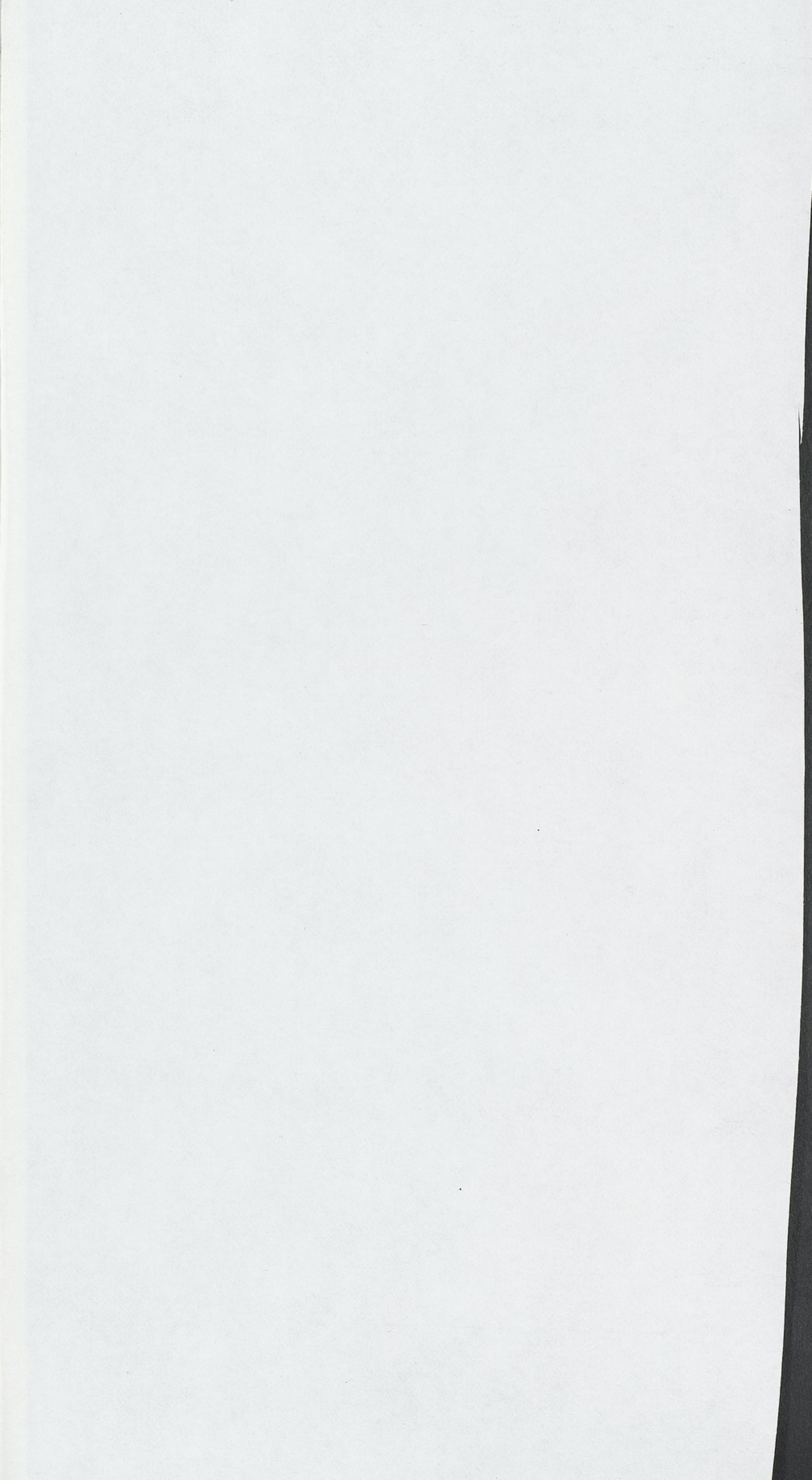
(1348)

الطبعة الثانية

طبع بمطبعة
مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

2271
.4097
.352
.11


585
2271
4097
.352
.11
ISSUED
DATE DUE
DATE ISSUED
DATE DUE



قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ

[قرآن كريم]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، عالم الغيب ، راحم الشيب، منزل الكتاب ، ساتر العُيب، كاشف الريب، مذلل الصعاب ، مغيث الملهوف، دافع الصروف رب الأرباب، خالق الخلق، باسط الرزق، مسبب الأسباب، مالك الملك، مسخر الفلك، مسير السحاب ، رافع السبع الطباق مخيمة على الآفاق تخييم القباب ، ساطح الغبراء على متن الماء ممسكة بحكمته عن الاضطراب ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم يوم الحشر والمآب

أحمده وهو المحمود بكل لسان ناطق ، وأشكره وهو المشكور في المغارب والمشارق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة ركن الايمان أركانها ، وشيد الايقان بنيانها ، ومهد الاذعان أوطانها ، وأكد البرهان إدمانها ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المستولى على شانئه بشانه ، ونبيه المفضل بمعانى علومه وبدائع بيانه ، ورسوله الصادع بدليله وبرهانه . القائل « زويت لى مشارق الأرض ومغاربها كشفاً واطلاعا بسره وعيانه » صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأعوانه صلاة تبلغ من آمن به غاية أمنه وأمانه ، وتسكن روعته فى الدارين بعفو الله وغفرانه ، وسلم تسليما كثيراً

وبعد : فان خالق الخلق والبريئة ومن له الارادة والمشيئة قد ميز الملوك والرعاة عمن دونهم من الرعية . فلذلك قد خصوا بالهمم العلية ، والأخلاق السامية الزكية ، ورغبوا فى الاطلاع على الأمور الغامضة الخفية ، ليكونوا فيما ندبوا له من الاسترعاء على بيضاء نقية ، ويحصلوا من أخبار العالم على

الأشياء الصادقة الجلية، فحينئذ أشار إلى الفقير الخامل الحقير من إشارته الكريمة محمولة بالطاعة على الرءوس وسفارته المستقيمة بين الامام المعظم والسواد الأعظم قد سطرت فى التواريخ والطروس وهو المقر الأشرف العالى المولوى الأمينى الناصحى السيدى المالكى المخدومى السيفى شاهين المؤيد مولانا نائب السلطنة الشريفة بالقلعة المنصورة الجليلة أعز الله أنصاره ورفع درجته وأعلى مناره : أن أضع له دائرة مشتملة على دائرة الأرض صغيرة توضح ما اشتملت عليه من الطول والعرض والرفع والخفض ، ظنا منه أحسن الله إليه أنى أقوم بهذا الصعب الخطير وأنا والله لست بذلك والفقير فى دائرة هذا العالم أحقر حقير . فأنشدت :

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم

وتوسلت إلى رب الأرباب ومذلل الصعاب وابتهلت ابتهال المستغيث المصاب ففتح سبحانه من فيضان لطفه أحسن باب وسهل بامتناع عطفه ذلك الصعب المهاب ويسر برأفته مالم يخطر فى بال وحساب فنهضت مبادراً إلى السجود شاكراً لذى الانعام والجود ثم أقبلت على مطالعة كتب حكماء الأنام وتصانيف علماء الهيئة الأعلام كشرح التذكرة لنصر الدين الطوسى ، وجغر الأنبياء لبطليموس، وتقويم البلاد للبلخى، ومروج الذهب للمسعودى، وعجائب المخلوقات لابن الأثير الجزرى، والمسالك والممالك للمراكشى ، وكتاب الابتداء وغيرها من الكتب المعينة على تحصيل المطلوب .

ومعلوم أن الكتب الموضوعة بين الناس فى هذا الغرض لم تخل من خلل والتباس فان ذلك أمر موهوم لكنه وهم حسن وكما قيل بين اليقين والوهم بون كما بين اليقظة والوسن ، والله سبحانه هو المتجاوز عن الخطأ والخلل والخطل والموفق لصالح القول والعمل ، وقد وضعت دائرة مستعينا بالله تعالى على صورة شكل الأرض فى الطول والعرض بأقاليمها وجهاتها وبلدانها وصفاتها وعروضها وهيآتها وأقطارها وممالكها وطرقها ومسالكها

ومفاوزها ومهالكها وعامرها وغامرها وجبالها ورمالها وعجائبها وغرائبها
وموقع كل مملكة وإقليم من الأخرى وذكر ما بينهما من المتالف والمعاطب
برا وبحراً وذكر الأمم المقيمة فى الجهات والأقطار طرا وسد ذى القرنين
فى سالف الأحقاب على يأجوج ومأجوج كما جا. فى نص الكتاب وسميته :

خريدة العجائب وفريدة الغرائب

وبالله سبحانه الاعتصام وهو حسبي على الدوام ومنه أسأل السداد
والتوفيق فانه أهل الاجابة والتحقيق ، وهذه صورة الدائرة المذكورة .



وهذه رسالة لطيفة باهرة كالشرح فى توضيح مافي هذه الدائرة تبين للناظر فيها أحوال الجبال والجهات والبحار والفلوات وما اشتملت عليه من الممالك مستوعبا فيها لذلك إن شاء الله تعالى .

ولنشرع أولا فى ذكر جبل قاف ، قال الله عز وجل فى كتابه العزيز (قٓ والقرآن المجيد) وفى تفسير قٓ ستة أقوال للمفسرين : منها أنه جبل من زبرجدة خضراء قاله أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وروى عكرمة عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم السفلى وعروقه متصلة بالصخرة التى عليها الأرض وهى الصخرة التى ذكرها لقمان عليه السلام حيث قال (يابنىّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض) الآية ، فاذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية فى الأرض أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذى يلى تلك القرية فتتزلزل فى الوقت . وقال مجاهد: هو جبل محيط بالأرض والبحار، وروى عن الضحاك أنه من زمردة خضراء وعليه كنفا السماء كالخيمة المسبلة وخضرة السماء منه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما ذكر البحار : فأعظم بحر على وجه الأرض المحيط المطوق بها من سائر جهاتها وليس له قرار ولا ساحل إلا من جهة الأرض . وساحله من جهة الخلوّ البحر المظلم وهو محيط بالمحيط كاحاطة المحيط بالأرض وظلمته من بعده عن مطالع الشمس ومغربها وقرب قراره ، والحكمة فى كون ماء البحر ملحا أجاجاً لا يذاق ولا يساغ لئلا ينتن من تقادم الدهور والأزمان وعلى ممرّ الأحقاب والأحيان ، فيهلك من نتنه العالم الأرضى ولو كان عذباً لكان كذلك. ألا ترى إلى العين التى ينظر بها الانسان الأرض والسماء والعالم والألوان وهى شحمة مغمورة فى الدمع وهو ماء مالح والشحم لا يصان إلا بالملح فكان الدمع مالحا لذلك المعنى . وقاف محيط بالكل كما تقدم . وفى ظلمات عين الحياة التى شرب الخضر عليه السلام منها وهى فى القطعة التى بين

المغرب والجنوب وفى المحيط الأرض التى فيهاعرش إبليس اللعين وهو فى القطعة التى بين المشرق والمغرب والجنوب وهو إلى الشرق أقرب فى مقابلة الربع الخراب من الأرض، والله أعلم.

وأما الخلجان الآخذة من المحيط فهى ثلاثة : أعظمها وأهولها بحر فارس ، وهو البحر الآخذ من المحيط الشرقى من حد أرض بلاد الصين إلى لسان القلزم الذى أغرق الله فيه فرعون وضرب لموسى وقومه فيه طريقا يبسا ، ثم بحر الروم الآخذ من المحيط الغربى من حد الأندلس والجزيرة الخضراء إلى أن يخالط خليج قسطنطينية ، فأما إذا قطعت من لسان القلزم إلى حد الصين على حد مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتى مرحلة وكذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم إلى أقصى حد بالمغرب على خط مستقيم كان نحو مائة وثمانين مرحلة وإذا قطعت من القلزم إلى حد العراق فى البرية على خط مستقيم وشققت أرض السماوة ألفيته نحو شهر ومن العراق إلى نهر بلخ نحو شهرين ، ومن نهر بلخ إلى آخر بلاد الاسلام فى حد فرغانة نيف وعشرون مرحلة ومن هذا المكان إلى بحر المحيط من آخر عمل الصين نحو شهرين ، هذا فى البر . وأما من أراد قطع هذه المسافة من القلزم إلى الصين فى البحر طالت المسافة عليه وحصلت له المشقة العظيمة لكثرة المعاطف والتواء الطرق واختلاف الرياح فى هذه البحور . وأما بحر الروم فانه يأخذ من المحيط الغربى كما تقدم بين الأندلس وطنجة حتى ينتهى إلى ساحل بلاد الشام ومقدار ماذكر فى المسافة أربعة أشهر وهذا البحر أحسن استقامة واستواء من بحر فارس وذلك أنك إذا أخذت من فم هذا الخليج يعنى من مبدئه إلى المحيط أتتك ريح واحدة إلى أكثر هذا البحر وبين القلزم الذى هو لسان بحر فارس وبين بحر الروم على سمت القبلة أربع مراحل وزعم بعض المفسرين فى قوله تعالى (بينهما برزخ لا يبغيان) أنه هذا الموضع .

فصل فى ذكر المسافات

فمن مصر إلى أقصى الغرب نحو مائة وثلاثين مرحلة فكان مابين أقصى المغرب إلى أقصاها بالمشرق نحو أربعمائة مرحلة . وأما عرضها من أقصاها فى حد الشمال إلى أقصاها فى حد الجنوب فانك تأخذ من ساحل البحر المحيط حتى تنتهى إلى يأجوج ومأجوج ثم تمر على الصقالبة وتقطع أرض البلغار الداخلة والصقالبة الداخلة وتمضى فى بلاد الروم إلى الشام وأرض مصر والنوبة ثم تمتد فى برية بين بلاد السودان وبلاد الزنج حتى تنتهى إلى البحر المحيط فهذا خط ما بين جنوب الأرض وشمالها . وأما مسافة هذه الأرض وهذا الخط فمن ناحية يأجوج ومأجوج إلى بلغار وأرض الصقالبة نحو أربعين مرحلة ومن أرض الصقالبة إلى بلاد الروم إلى الشام نحو ستين مرحلة ومن أرض الشام إلى أرض مصر نحو ثلاثين مرحلة ومنها إلى أقصى النوبة نحو ثمانين مرحلة حتى تنتهى إلى هذه البرية فذلك مائتان وعشر مراحل كلها عامرة

وأما ما بين يأجوج ومأجوج والبحر المحيط فى الشمال وما بين برارى السودان والبحر المحيط فى الجنوب فقفر خراب ليس فيه عمارة ولا حيوان ولا نبات ولا يعلم مسافة هاتين البريتين إلى المحيط كم هى وذلك أن سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذى يمنع من العمارة والحياة فى الشمال وفرط الحر المانع من العمارة والحياة فى الجنوب وجميع ما بين الصين والغرب فمعمور كله والبحر المحيط محتف به كالطوق ويأخذ البحر الرومى من المحيط ويصب فيه ويأخذ البحر الفارسى من المحيط أيضا ولكن لا يصب فيه . وأما بحر الخزر فليس يأخذ من المحيط ولا من غيره شيئا أصلا غير أنه مخلوق من مكانه من غير مادة لكن يصب فى المحيط بواسطة خليج القسطنطينية وهو بحر هائل لو سار السائر على ساحله من الخزر على أرض الديلم وطبرستان وجرجان ومفازة سياه كوه لعاد إلى المكان الذى سار منه من غير أن يمنعه مانع إلا نهرا يقطع فيه . وأما بحيرة خوارزم

فكذلك غير أن لا مصب لها فى المحيط ، فهذه الأبحر الأربعة العظام التى
على وجه الأرض ، وفى أراضى الزنج وبلدانهم خلجان تأخذ من المحيط
وكذلك من وراء أرض الروم خلجان وبحار لا تذكر لقصورها عن هذه
البحار وكثرتها ويأخذ من البحر المحيط أيضا خليج حتى ينتهى على ظهر
أرض الصقالبة نحو شهرين ويقطع أرض الروم على القسطنطينية حتى يقع
بحر الروم . وأما أرض الروم فحدها من هذا البحر المحيط على بلاد الجلالقة
وإفرنجة وروميه وإشبيناس إلى القسطنطينية ثم إلى أرض ويشيدان يكون نحو
مائة وسبعين مرحلة وذلك أن من حد الثغور فى الشمال إلى أرض الصقالبة
نحو شهرين وقد بينت لك أن من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال مائتى
مرحلة وعشر مراحل . وأما الروم المحض من حد رومية إلى حد الصقالبة
وما ضممته إلى بلاد الروم من الافرنجية والجلالقة وغيرهم فان ألسنتهم مختلفة
غير أن الدين واحد والمملكة واحدة كما أن فى مملكة الاسلام ألسنة مختلفة
والملك واحد . وأما مملكة الصين على ما زعم أبو إسحق الفارسى وأبو إسحق
إبراهيم بن البكين حاجب ملك خراسان فأربعة أشهر فى ثلاثة أشهر فاذا
أخذت من فم الخليج حتى تنتهى إلى ديار الاسلام مما وراء النهر فهو نحو
ثلاثة أشهر وإذا أخذت من حد المشرق حتى تقطع إلى حد المغرب فى أرض
التبت وتمتد فى أرض التغرغر وخرخيز وعلى ظهر كيماك إلى البحر فهو نحو أشهر
ثم فى أرض الصين ومملكته ألسنة مختلفة وجميع الأتراك من التغرغر وخرخيز
وكيماك والغزية وإلى الخزلجية ألسنتهم واحدة وبعضهم يفهم عن بعض ومملكة
الصين كلها منسوبة إلى الملك المقيم بالقسطنطينية ، وكذلك مملكة الاسلام
كانت منسوبة إلى الملك المقيم ببغداد ومملكة الهند منسوبة إلى الملك المقيم
بقنوج وفى بلاد الأتراك ملوك متميزون بممالكهم . وأما الغزية ، فان حدود
ديارهم ما بين الخزر وكيماك وأرض الخزلجية وأطراف بلغار وحدود الديلم
ما بين جرجان إلى باراب وإسبيجاب وديارا لكيماكية

وأما يأجوج ومأجوج فهم فى ناحيـــة الشمال إذا قطعت ما بين الكيماكية والصقالبة والله أعلم بمقاديرهم، وبلادهم بلاد شاهقة لا ترقاها الدواب ولا يصعدها إلا الرجالة قال ولم يخبر أحد عنهم خبرا أوجه من أبى إسحق صاحب خراسان فانه أخبر أن تجارتهم إنما تصل إليهم على ظهور الرجال وأصلاب المعز وأنهم ربما أقاموا فى صعود الجبل ونزوله الأسبوع والعشرة أيام. وأما خرخيز فانهم ما بين التغرغر وكيماك والبحر المحيط وأرض الخزلجية والغزية. وأما التغرغر فقوم بين أطراف التبت وأرض الصين والصين ما بين البحر المحيط والتغرغر والتبت والخليج الفارسى. وأما أرض الصقالبة فعريضة طويلة نحو شهرين فى شهرين، وبلغار مدينة صغيرة ليس لها أعمال كثيرة وكانت مشهورة لأنها كانت ميناء وفرضة لهذه الممالك فاكتسحتها الروس وأتل وسمندر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فأضعفتها. والروس قوم بناحية بلغار فيما بينها وبين الصقالبة وقد انقطعت طائفة من الترك عن بلادهم فصاروا ما بين الخزر والروم يقال لهم البجناكية وليس موضعهم بدار لهم على قدم الأيام. وأما الخزر فانهم جنس من الترك على هذا البحر المعروف بهم. وأما أتل فهم طائفة أخرى قديمة وسموا باسم نهرهم أتل الذى يصب فى هذا البحر وبلدهم أيضا تسمى أتل وليس لهذا البلد سعة رزق ولا خفض عيش ولا اتساع مملكة وهو بلد بين الخزر والبجناكية والسرير. وأما التبت فانه بين أرض الصين والهند وأرض التغرغر والخزلجية وبحر فارس وبعض بلاده فى مملكة الهند وبعضها فى مملكة الصين ولهم ملك قائم بنفسه يقال إن أصله من التبابعة ملوك اليمن، والله أعلم.

وأما جنوبى الأرض من بلاد السودان التى فى أقصى المغرب على البحر المحيط فبلاد منقطعة ليس بينها وبين شىء من الممالك اتصال غير أن حدا لها ينتهى إلى المحيط وحدا لها ينتهى إلى برية بينها وبين أرض المغرب وحدا لها إلى برية بينها وبين بلاد مصر على الواحات وحدا لها إلى البرية التى ذكرنا

أن لا نبات بها ولا حيوان ولا عمارة لشدة الحر ، وقيل إن طول أرضهم سبعمائة فرسخ فى مثلها غير أنها من البحر إلى ظهر الواحات وهو طولها وهو أطول من عرضها . وأما أرض النوبة : فان حدا لها ينتهى إلى بلاد مصر وحدا لها إلى هذه البرية المهلكة التى ذكرناها وحدا لها ينتهى إلى البرية التى بين بلاد السودان وبلاد مصر المتقدم ذكرها أيضا وحدا لها إلى أرض البجة . وأما أرض البجة : فان ديارهم صغيرة وهم فيها بين الحبشة والنوبة وهذه البرية التى لا تسلك . وأما الحبشة فانها على بحر القلزم وهو بحر فارس فينتهى حد لها إلى بلاد الزنج وحد لها إلى البرية التى بين النوبة وبحر القلزم وحد لها إلى البجة والبرية التى لا تسلك . وأما أرض الزنج فانها أطول أراضى بلاد السودان ولا تتصل بمملكة من الممالك أصلا غير بلاد الحبشة وهى فى مجاورة اليمن وفارس وكرمان فى الجنوب إلى أن تحاذى أرض الهند . وأما أرض الهند : فان طولها من عمل مكران فى أرض المنصورة والبدهة وسائر بلاد السند إلى أن ينتهى إلى قنوج ثم تجوزه إلى أرض التبت نحوا من أربعة أشهر وعرضها من بحر فارس على أرض قنوج نحوا من ثلاثة أشهر . وأما مملكة الاسلام: فان طولها من حد فرغانة حتى تقطع خراسان والجبال والعراق وديار العرب إلى سواحل اليمن فهو نحو خمسة أشهر وعرضها من بلاد الروم حتى تقطع الشام والجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة على شاطىء بحر فارس نحو أربعة أشهر وإنما تركت فى ذكر طول مملكة الاسلام حد المغرب إلى الأندلس لأنه مثل الكم فى الثوب وليس فى شرقى المغرب ولا فى غربيه إسلام لأنك إذا جاوزت شرقى أرض المغرب كان جنوبى المغرب بلاد السودان وشماله بحر الروم ثم أرض الروم ولو صلح أن يجعل من أرض فرغانة إلى أرض المغرب والأندلس طول الاسلام لكان مسيرة مائتى مرحلة وزيادة لأن من أقصى المغرب إلى مصر نحو تسعين مرحلة ومن مصر إلى العراق نحو ثلاثين مرحلة ومن العراق إلى بلخ نحو ستين مرحلة ومن بلخ إلى فرغانة نحو عشرين مرحلة والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل فى صفة الأرض وتقسيمها من غير الوجه الذى تقدم ذكره

قال الله عز وجل : (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا) وقال عز من قائل : (الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) وقال سبحانه وتعالى : (والله جعل لكم الأرض بساطا) قال قوم من المفسرين معنى المهاد والبساط : القرار عليها والتمكن منها والتصرف فيها وقد اختلف العلماء فى هيئة الأرض وشكلها فذكر بعضهم أنها مبسوطة مستوية السطح فى أربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال وزعم آخرون أنها كهيئة المائدة ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل وذكر بعضهم أنها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة وأن السماء مركبة على أطرافها . والذى عليه الجمهور أن الأرض مستديرة كالكرة وأن السماء محيطة بها من كل جانب كاحاطة البيضة بالمحة فالصفرة بمنزلة الأرض وبياضها بمنزلة الماء وجلدها بمنزلة السماء غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هى مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة المستوية الخرط حتى قال مهندسوهم لو حفر فى الوهم وجه الأرض لأدى إلى الوجه الآخر ولو ثقب مثلا بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين وزعم قوم أن الأرض مقعرة وسطها كالجام . واختلف فى كمية عدد الأرضين قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين : (الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) فاحتمل هذا التمثيل أن يكون فى العدد والطباق فروى فى بعض الأخبار أن بعضها فوق بعض وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام حتى عدد بعضهم لكل أرض أهلا على صفة وهيئة عجيبة وسمى كل أرض باسم خاص كما سمى كل سماء باسم خاص وزعم بعضهم أن فى الأرض الرابعة حيات أهل الدنيا وفى الأرض السادسة حجارة أهل النار فمن نازعته نفسه إلى الاستشراف عليها نظر فى كتب وهب بن منبه وكعب ومقاتل . وعن عطاء بن يسار فى قول الله عز وجل : (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال فى كل أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوح وإبراهيم مثل إبراهيمكم والله أعلم .

وليس هـــذا القول بأعجب من قول الفلاسفة : إن الشموس شموس كثيرة والأقمار أقمار كثيرة ففى كل إقليم شمس وقمر ونجوم . وقال القدماء الأرض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الأقاليم لا على المطابقة والمكابسة وأهل النظر من المسلمين يميلون إلى هذا القول . ومنهم من يرى أن الأرض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقى ويزعم بعضهم أن الأرض مقسومة خمس مناطق وهى المنطقة الشمالية والجنوبية والمستوية المعتدلة والوسطى . واختلفوا فى مبلغ الأرض وكميتها فروى عن مكحول أنه قال مسيرة ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها خمسمائة سنة مائتان من ذلك فى البحر ومائتان ليس يسكنها أحد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق . وعن قتادة قال : الدنيا أربعة وعشرون ألف فرسخ منها اثنا عشر ألف فرسخ ملك السودان وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب ألف فرسخ . وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس وقد حدد بطليموس مقدار قطر الأرض واستدارتها فى المحيط بالتقريب قال استدارة الأرض مائة ألف وثمانون ألف اسطاريوس والاسطاريوس: أربعة وعشرون ميلا فيكون على هذا الحكم مائة ألف ألف وأربعمائة وأربعين ألف فرسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالملكى والذراع ثلاثة أشبار وكل شبر اثنا عشر أصبعا والأصبع الواحد خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل . والاسطاريوس : اثنان وسبعون ألف ذراع قال وغلظ الأرض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلا فيكون ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخا (١) وثلثى فرسخ قال

---

(١) قوله وخمسة وأربعين فرسخا الخ صوابه أن يقول وثلاثة وأربعين فرسخا وثلث فرسخ كما يظهر لك عند التأمل اه .

فبسط الأرض كلها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل فيكون مائتى ألف وثمانية وثمانين ألف فرسخ فان كان ذلك حقا فهو وحى من الحق سبحانه أو إلهام وإن كان قياسا واستدلالا فقريب أيضا من الحق، والله أعلم.

وأما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقين الذى يقطع على الغيب به. واختلفوا فى البحار والمياه والأنهار فروى المسلمون أن الله خلق ماء البحار مرا زعاقا، وأنزل من السماء ماء عذبا كما قال تعالى: (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) وقال تعالى: (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض) فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك الماء المنزل من السماء فاذا اقتربت الساعة بعث الله ملكا معه طست لا يعلم عظمه إلا الله تعالى فجمع تلك المياه فردها إلى الجنة.

وزعم أهل الكتاب أن أربعة أنهار تخرج من الجنة: الفرات وسيحان وجيحان ودجلة، وذلك أنهم يزعمون أن أهل الجنة فى مشارق الأرض وروى أن الفرات جزر فى أيام معاوية رضى الله عنه فرمى برمانة مثل البعير البارك فقال كعب إنها من الجنة فان صدقوا فليست هى بجنة الخلد ولكنها من جنان الأرض. وعند القدماء أن المياه من الاستحالات فطعم كل ماء على طعم أرضه وتربته، وأما نحن فلا ننكر قدرة الله تعالى على إحالة الشىء على ما يشاء كما تحول النطفة علقة والعلقة مضغة ثم كذلك حالا بعد حال إلى أن يفنيه كما يشاء وكما أنشأه فسبحان من قدرته صالحة لكل شىء.

واختلفوا أيضا فى ملوحة البحر فزعم قوم أنه لما طال مكثه وألحت الشمس عليه بالاحراق صار مرا ملحا واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية ماصفته الأرض من الرطوبة فغلظ لذلك. وزعم آخرون أن فى البحر عروقا تغير ماء البحر ولذلك صار مرا زعاقا. واختلفوا فى المد والجزر فزعم أرسطاطاليس أن علة ذلك من الشمس إذا حركت الريح فاذا

ازدادت الرياح كان منها المد وإذا نقصت كان منها الجزر وزعم كيلوش أن المد بانصباب الأنهار فى البحر والجزر بسكونها . والمنجمون منهم من زعم أن المد بامتلاء القمر والجزر بنقصانه وقد روى فى بعض الأخبار أن الله جعل ملكا موكلا بالبحار فاذا وضع قدمه فى البحر مد وإذا رفعه جزر فان صح ذلك والله أعلم كان اعتقاده أولى من المصير إلى غيره مما لا يفيد حقيقة ولو ذهب ذاهب إلى أن ذلك الملك هو مهب الرياح التى تكون سببا للمد وتزيد فى الأنهار وتفعل ذلك عند امتلاء القمر حتى يكون توفيقا وجمعا بين الكل لكان ذلك مذهبا حسنا ، والله أعلم .

واختلفوا فى الجبال قال الله تعالى : (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) وقال تعالى : (قٓ والقرآن المجيد) قال بعض المفسرين إن من جبل قاف إلى السماء مقدار قامة رجل طويل . وقال آخرون بل السماء منطبقة عليه . وقال قوم من وراء قاف عوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى . ومنهم من يقول ما وراءه فهو من حد الآخرة ومن حكمها وأن الشمس تطلع منه وتغرب فيه وهو الساتر لهما عن الأرض ومنهم من يزعم أن الجبال عظام الأرض وعروقها .

واختلفوا فيما تحت الأرض أما القدماء فأكثرهم يزعمون أن الأرض يحيط بها الماء وهذا ظاهر . والماء يحيط به الهواء ، والهواء تحيط به النار ، والنار تحيط بها السماء الدنيا ، ثم السماء الثانية ، ثم الثالثة إلى السبع ، ثم يحيط بالكل فلك الكواكب الثابتة ، ثم يحيط بالكل الفلك الأعظم الأطلس المستقيم ثم يحيط بالكل عالم النفس ، وفوق عالم النفس عالم العقل ، وفوق عالم العقل عالم الروح والأمر ، وفوق عالم الروح والأمر الحضرة الإلهية (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) . وعلى قاعدة مذهب القدماء يلزم أن تحت الأرض سماء كما فوقها ، وروى أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة فبعث الله ملكا فهبط حتى دخل تحت الأرض

فوضعها على كاهله ثم أخرج يديه إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ثم
قبض على الأرضين السبع فضبطها فاستقرت ولم يكن لقدم الملك قرار فأهبط
الله ثورا من الجنة له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة فجعل قرار
قدمى الملك على سنامه فلم تصل قدماه إلى سنامه فبعث الله تعالى ياقوتة خضراء
من الجنة غلظها مسيرة كذا ألف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها
قدما الملك وقرون الثور خارجة من أقطار الأرض ممتدة إلى العرش ومنخر
الثور فى ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس فى كل يوم
نفسين فاذا تنفس مد البحر وإذا رد النفس جزر البحر ، ولم يكن لقوائم
الثور قرار فخلق الله كثيبا من رمل كغلظ سبع سموات وسبع أرضين
فاستقرت عليه قوائم الثور ثم لم يكن للكثيب مستقر فخلق الله حوتا يقال
له البهموت فوضع الكثيب على وبر الحوت والوبر الجناح الذى يكون فى
وسط ظهره وذلك الحوت مزموم بسلسلة من القدرة كغلاظ السموات
والأرض مراراً قال وانتهى إبليس لعنه الله إلى ذلك الحوت فقال له ماخلق
الله خلقا أعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشىء من ذلك فسلط
الله عليه بقة فى عينه فشغلته . وزعم بعضهم أن الله سلط عليه سمكة كالشبر
وشغله بها فهو ينظر إليها ويهابها ويخافها . قيل وأنبت الله عز وجل من
تلك الياقوتة جبل قاف وهو من زمردة خضراء ، وله رأس ووجه وأسنان
وأنبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما أنبت الشجر من عروق الشجر
وزعم وهب رضى الله عنه أن الثور والحوت يبتلعان ما ينصب من مياه
الأرض فى البحار فلذلك لا تؤثر فى البحور زيادة فاذا امتلأت أجوافهما
من المياه قامت القيامة . وزعم قوم أن الأرض على الماء والماء على الصخرة
والصخرة على سنام الثور ، والثور على كثيب من الرمل متلبداً ، والكثيب
على ظهر الحوت ، والحوت على الريح العقيم ، والريح العقيم على حجاب من
ظلمة ، والظلمة على الثرى . وإلى الثرى انتهى علم الخلائق ولا يعلم ما وراء

ذلك أحد إلا الله عز وجل الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وهذه الأخبار مما يتولع به الناس ويتنافسون فيه ولعمرى أن ذلك مما يزيد المرء بصيرة فى دينه وتعظيما لقدرة ربه وتحيراً فى عجائب خلقه فان صحت فما خلقها على الصانع القدير بعزيز وإن يكن من اختراع أهل الكتاب وتنميق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر، والله أعلم

وقد روى شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنهم قال « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال: هل تدرون ماهذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا العنان هذه زوايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال: هل تدرون ما الذى فوقكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: فانها الرقيع سقف محفوظ، وموج مكفوف ثم قال: هل تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فوقه العرش(١) وبينه وبين السماء كبعد ما بين سماءين أو كما قال، ثم قال: أتدرون ما تحتكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال الأرض وتحتها أرض أخرى بينهما خمسمائة عام، ثم قال: والذى نفس محمد بيده لو أنكم أدليتم بحبل لهبطتم على الله ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: هو الأول والآخر والظاهر والباطن » الآية فهذا الخبر يشهد بصدق كثير مما يروون إن صح والله أعلم.

ولنرجع الآن إلى ما نحن بصدده من ذكر شرح الدائرة المذكورة وتفصيل البلدان وذكرها وذكر عجائبها وأخبارها.

فهرست ما نذكره إن شاء الله تعالى من الفصول المتضمنة لذلك

---

(١) قوله قال فوقه العرش الخ ليتأمل ما فيه اه.

الأحجار ومنافعها . فصل فى المعادن والجواهر وخواصها . فصل فى النباتات والفواكه وخواصها . فصل فى الحبوب وخواصها . فصل فى البقول وخواصها . فصل فى حشائش مختلفة وخواصها . فصل فى البزور وخواصها . فصل فى الحيوانات والطيور وخواصها . خاتمة الكتاب فى ذكر الملاحم وعلامات الساعة وظهور الفتن والحوادث ولها فصول تذكر عند الشروع فى كتابتها إن شاء الله تعالى ، وبإتمامه يتم الكتاب والله تعالى الموفق للصواب

فصل فى ذكر البلدان والأقطار

اعلم وفقنا الله وإياك أن بين مطلع الشمس ومغربها مدنا وبلادا وأمما لا تحصى كثرة ولا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى ولكن نذكر منها ما فى ذكره فائدة واعتبار من البلاد المشهورة ونضرب صفحا عن ذكر ما ليس بمشهور ولا اعتبار ولا فائدة فى ذكره خوفا من التطويل والسآمة والله تعالى المستعان ، فنبتدئ أولا بذكر بلاد المغرب إلى المشرق ثم نعود إلى بلاد الجنوب وهى بلاد السودان ثم نعود إلى بلاد الشمال وهى بلاد الروم والافرنج والصقالبة وغيرهم على ما سيأتى إن شاء الله تعالى .

(أرض المغرب) أولها البحر المحيط وهو بحر مظلم لم يسلكه أحد ولا علم بشر ما خلفه وبه جزائر عظيمة كثيرة عامرة يأتى ذكرها عند ذكر الجزائر منها جزيرتان تسميان الخالدتين على كل واحدة منهما صنم طوله مائة ذراع بالملكى وفوق كل صنم منهما صورة رجل من نحاس يشير بيده إلى خلف أى ما ورائى شىء ولا مسلك والذى وضعهما وبناهما لم يذكر له اسم .

فأول بلاد المغرب (السوس الأقصى) وهو إقليم كبير فيه مدن عظيمة أزلية وقرى متصلة وعمارات متقاربة وبه أنواع الفواكه الجليلة المختلفة الألوان والطعوم وبه قصب السكر الذى ليس على وجه الأرض مثله طولا وغلظا وحلاوة حتى قيل إن طول العود الواحد يزيد على عشرة أشبار فى

الغالب ودوره شبر وحلاوته لا يعادلها شيء حتى قيل إن الرطل الواحد من سكره يحمل عشرة أرطال من الماء وحلاوته ظاهرة ، ويحمل من بلاد السوس من السكر ما يعم جميع الأرض لو حمل إلى البلاد ، وبها تعمل الأكسية الرفيعة الخارقة والثياب الفاخرة السوسية المشهورة فى الدنيا ، ونساؤها فى غاية الحسن والجمال والظرف والذكاء وأسعارها فى غاية الرخص والخصب بها كثير ، فمن مدنها المشهورة (تارودنت) وهى مدينة العظماء من ملوك الغرب بها أنهار جارية وبساتين مشتبكة وفواكه مختلفة وأسعار رخيصة ، والطريق منها إلى أغمات أريكة فى أسفل جبل ليس فى الأرض مثله إلا القليل فى العلو والارتفاع وطول المسافة واتصال العمارة وكثرة الأنهار والتفاف الأشجار والفواكه الفاخرة التى يباع منها الحمل بقيراط من الذهب وبأعلى هذا الجبل أكثر من سبعين حصناً وقلعة ، منها حصن منيع هو عمارة محمد بن تومرت ملك الغرب إذا أراد أربعة من الناس أن يحفظوه من أهل الأرض حفظوه لحصانته ، اسمه تاتملت ، ولما مات محمد بن تومرت المذكور بجبل الكواكب حمل ودفن فى هذا الحصن (وأذكا) وهى أول مراقى الصحراء وهى مدينة متسعة ، وقيل إن النساء التى فيها لا أزواج لهن إذا بلغت إحداهن أربعين سنة تتصدق بنفسها على الرجال فلا تمتنع ممن يريدها (سجلماسة) من مدنها المشهورة وهى واسعة الأقطار عامرة الديار رائقة البقاع فائقة القرى والضياع غزيرة الخيرات كثيرة البركات يقال إنه يسير السائر فى أسواقها نصف يوم فلا يقطعها وليس لها حصن ، بل قصور شاهقة وعمارات متصلة خارقة ، وهى على نهر يأتى من جهة المشرق ، وبها بساتين كثيرة وثمار مختلفة ، وبها رطب يسمى البتونى وهو أخضر اللون حسن المنظر أحلى من الشهد ونواه فى غاية الصغر ، ويقال إنهم يزرعون ويحصدون الزرع ويتركون جذوره وأصوله فى الأرض على حالها قائمة فاذا كان فى العام المقبل وعمه الماء نبت ثانى مرة واستغله أربابه من غير بذر ، وبها يأكلون الكلاب

والجراذين وغالب أهلها عمش العيون .

(وروقادة) وهى مدينة عظيمة حصينة خصبية ذكر أهل الطبائع أنه يحصل للرجل بها الضحك من غير عجب والسرور من غير طرب وعدم الهم والنصب ولا يعلم لذلك موجب ولا سبب .

(أغمات) وهى مدينتان أغمات أريكة ، وهى مدينة عظيمة فى ذيل جبل كثير الأشجار والثمار والأعشاب والنباتات ونهرها يشقها وعلى النهر أرحية كثيرة تدور صيفا وفى الشتاء يجمد ويجوز عليه الناس والدواب ، وبها عقارب قتالة فى الحال ، وأهلها ذوو أموال ويسار ولهم على أبوابهم علامات تدل على مقادير أموالهم .

(أغمات إيلان) وهى مدينة كبيرة فى أسفل جبل يسكنها يهود تلك البلاد .

(فاس) وهى مدينة كبيرة ومدينة صغيرة يشقها نهر كبير يأتى من عيون صنهاجة وعليه أرحاء كثيرة وتسمى إحدى هاتين المدينتين : الاندلس ومياهها قليلة ، والأخرى القرونس ، وهى ذات مياه كثيرة يجرى الماء فى كل شارع منها وسوق وزقاق وحمام ودار . وفى كل زقاق ساقية متى أراد أهل الزقاق أن يجروها أجروها وإذا أرادوا قطعها قطعوها .

(المهدية) مدينة حسنة حصينة بناها المهدى الفاطمى وحصنها وجعل لها أبوابا من حديد فى كل باب مايزيد على مائة قنطار ولما بناها وأحكمها ، قال الآن أمنت على الفاطميين .

(سبتة) مدينة فى بر العدوة قبلة الجزيرة الخضراء ، وهى سبعة أجبل صغار متصلة عامرة ويحيط بها البحر من ثلاث جهاتها ، وفيها أسماك عظيمة ليست فى غيرها ، وبها شجر المرجان الذى لا يفوقه شىء حسنا وكثرة ، وبها سوق كبير لاصلاح المرجان ، وبها من الفواكه وقصب السكر شىء كثير جدا .

(طنجة) هى فى العدوة أيضا ، وكذلك قومس وباقى المدن المشهورة كإفريقية ، وتاهرت ، ووهران ، والجزائر ، والمقل ، والقيروان فكلها مدن حسنة متقاربة المقادير والله سبحانه وتعالى أعلم .

الغرب الأوسط وهو شرقى بلاد البر

ومن مدنه بلاد الأندلس وسميت بالأندلس لأنها جزيرة مثلثة الشكل وأسها فى أقصى المغرب فى نهاية المعمور وكان أهل السوس وهم أهل الغرب الأقصى يضرون أهل الأندلس فى كل وقت و يلقون منهم الجهد الجهيد إلى أن اجتاز بهم الاسكندر فشكوا إليه حالهم فأحضر المهندسين وحضر إلى الزقاق وكان له أرض جافة فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامى فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامى بشيء يسير فأمر برفع البلاد التى على ساحل البحر الشامى ونقلها من الحضيض إلى الأعلى ثم أمر أن تحفر الأرض بين طنجة وبلاد الأندلس فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية وبنى عليها رصيفا بالحجر والجير بناء محكما وجعل طوله اثنى عشر ميلا وهى المسافة التى كانت بين البحرين وبنى رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين ستة أميال فلما أكمل الرصيفين حفر لها من جهة البحر الأعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين ودخل فى البحر الشامى ثم فاض ماؤه فأغرق مدنا كثيرة وأهلك أمما عظيمة كانت على الشاطئين وطغى الماء على الرصيفين إحدى عشرة قامة . فأما الرصيف الذى يلى بلاد الأندلس فانه يظهر فى بعض الأوقات إذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة ، وأما الرصيف الذى من جهة طنجة فان الماء حمله فى صدره واحتفر ما خلفه من الأرض اثنى عشر ميلا وعلى طرفه من جهة الشرق الجزيرة الخضراء وعلى طرفه من جهة الغرب جزيرة طريف وتقابل الجزيرة الخضراء فى بر العدوة سبتة وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر والأندلس به جزائر عظيمة كالخضراء وجزيرة قادس وجزيرة طريف وكلها عامرة مسكونة آهلة (ومن مدنه أشبيلية) وهى مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوطة به السفن وبها أسواق قائمة وتجارات رابحة وأهلها ذوو أموال عظيمة

وأكثر متاجرهم فى الزيت وهو يشتمل على كثير من إقليم الشرف وإقليم الشرف على تل عال من تراب أحمر مسافته أربعون ميلا فى مثلها يمشى فيها المسافر فى ظل الزيتون والتين ولها على ما ذكر التجار ثمانية آلاف قرية عامرة بالأسواق العامرة والديار الحسنة والفنادق والحمامات (ومن أقاليم الأندلس إقليم الكنانية) ومن مدنه المشهورة قرطبة وهى قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الاسلامية وهى مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة الناس فى حسن المآكل والملابس والمراكب وعلو الهمة وبها أعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاد الغزاة وأنجاد الحروب وهى فى نفسها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور حصين حاجز وبكل مدينة منها ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات والصناعات وطولها ثلاثة أميال فى عرض ميل واحد وهى فى سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس مدينتها الثالثة وهى الوسطى فيها باب القنطرة وبها الجامع الذى ليس فى معمور الأرض مثله طوله مائة ذراع فى عرض ثمانين ذراعا وفيه من السوارى الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقود أكبرها يحمل ألف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسى قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون فى حسن وضعها، وفى عضادتى المحراب أربعة أعمدة اثنان أخضران واثنان لازورديان ليس لها قيمة، وبه منبر ليس على معمور الأرض مثله فى حسن صنعته، وخشبه ساج وآبنوس وبقس وعود قاقلى، ويذكر فى كتب تواريخ بنى أمية، أنه أحكم عمله ونقشه فى سبع سنين، وكان يعمل فيه ثمان صناع لكل صانع فى كل يوم نصف مثقال محمدى، وكان جملة ما صرف على المنبر أجرة لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسى مثقال، وفى الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده وبهذا الجامع مصحف فيه أربع ورقات من

مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بخطه أى بخط يده وفيهن نقط من دمه وله عشرون بابا مصفحات بالنحاس الأندلسى مخرمات تخريما يعجز البشر ، وفى كل باب حلق فى نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التى ارتفاعها مائة ذراع بالملكى المعروف بالرشاشى وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على أحدها اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقة ربانية .

وبمدينة قرطبة القنطرة العجيبة التى فاقت قناطر الدنيا حسناً وإتقاناً ، وعدد قسيها سبعة عشر قوسا كل قوس منها خمسون شبراً وبين كل قوسين خمسون شبراً ومحاسن هذه المدينة أعظم من أن يحيط بها وصف ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم أشبونة

ومن مدنه أشبونة : وهى مدينة حسنة شمالى النهر المسمى باجة الذى هو نهر طليطلة والمدينة ممتدة مع هذا النهر وهى على بحر مظلم وبها أسواق قائمة وفنادق عامرة وحمامات كثيرة ولها سور منيع ويقابله على ضفة البحر حصن المعدن وسمى بذلك لأن البحر يمتد عند سيحانه فيقذف بالذهب التبر إلى نحو ذلك الحصن وما حوله فاذا رجع الماء قصد أهل تلك البلاد نحو هذا الحصن فيجدون به الذهب إلى أوان سيحانه أيضاً ومن أشبونة هذه كان خروج المغرورين فى ركوب البحر المظلم الذى فى أقصى بلاد الغرب وهو بحر عظيم هائل غليظ المياه كدر اللون شامخ الموج صعب الظهر لا يمكن ركوبه لأحد من صعوبته وظلمة متنه وتعاظم أمواجه وكثرة أهواله وهيجان رياحه وتسلط دوابه وهذا البحر لا يعلم أحد قعره ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى وهو غور المحيط ولم يقف أحد من خبره على الصحة ، ولا ركبه أحد ملججاً أبداً إنما يمر مع ذيل الساحل لأن به أمواجاً كالجبال الشوامخ ودوى هذا البحر كعظم دوى الرعد لكن أمواجه لا تتكسر ولو تكسرت لم يركبه أحد لا ملججا ولا مسوحلا .

حكاية : اتفق جماعة من أهل أشبونة ، وهم ثمانية أنفس وكلهم بنو عم فأنشئوا مركباً كبيراً وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم مدة طويلة وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما فى نهايته ويروا ما فيه من العجائب وتحالفوا أنهم لا يرجعون أبداً حتى ينتهوا إلى البر الغربى أو يموتوا فساروا فيه ملججين أحد عشر يوما فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج كدر الريح مظلم المتن والقعر كثير القروش فأيقنوا بالهلاك والعطب فرجعوا مع البحر فى الجنوب اثنى عشر يوما فدخلوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الأغنام ما لا يحصى عددها إلا الله تبارك وتعالى وليس بها آدمى ولا بشر ولا لها صاحب فنهضوا إلى الجزيرة وذبحوا من تلك الغنم وأصلحوه وأرادوا الأكل فوجدوا لحومها مرة لا تؤكل فأخذوا من جلودها ما أمكنهم ، ووجدوا بها عين ماء عذب فملئوا منها وسافروا مع الجنوب اثنى عشر يوما أخر فوافوا جزيرة وبها عمارة فقصدوها ، فلم يشعروا إلا وقد أحاط بهم زوارق بها قوم موكلون بها فقبضوا عليهم وحملوهم إلى الجزيرة فدخلوا إلى مدينة على ضفة البحر وأنزلوهم بدار ورأوا بتلك الجزيرة والمدينة رجالا شقر الألوان طوال القدود ولنسائهم جمال مفرط خارج عن الوصف فتركوهم فى الدار ثلاثة أيام ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع إنسان ترجمان وكلمهم بالعربى وسألهم عن حالهم فأخبروه بخبرهم ، فأحضروا إلى ملكهم وأخبره الترجمان بما أخبروه من حالهم فضحك الملك منهم وقال للترجمان قل لهم إنى وجهت من عندى قوما فى هذا البحر ليأتونى بخبر ما فيه من العجائب ، فساروا مغربين شهراً حتى انقطع عنهم الضوء وصاروا فى مثل الليل المظلم ، فرجعوا من غير فائدة ووعدهم الملك خيراً . وأقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قوم من أصحابه فى زورق وكتفوهم وعصبوا أعينهم وسافروا بهم مدة لا يعلمون كم هى ثم تركوهم على الساحل وانصرفوا فلما سمعوا كلام الناس صاحوا فأقبلوا إليهم وحلوا عن أعينهم وقطعوا كتافاتهم وأخبرهم الجماعة فقال لهم الناس هل تدرون كم بينكم وبين

أرضكم ؟ قالوا لا ! قالوا فوق شهر ، فرجعوا إلى بلدهم ولهم فى أشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغروردين إلى الآن .

(ومالقة) وهى مدينة كبيرة واسعة الأقطار عامرة الديار قد استدار بها من جميع جهاتها ونواحيها شجر التين المنسوب إلى رية وهو أحسن التين لونا ، وأكبره جرما ، وأنعمه شحما ، وأحلاه طعما ، حتى أنه يقال ليس فى الدنيا مدينة عظيمة محيط بها سور من حلاوة ، عرض السور يوم للمسافرين إلى مالقة ، ويحمل منها التين إلى سائر الأقاليم حتى إلى الهند والصين وهو مسافة سنة لحسنه وحلاوته ، وعدم تسويسه وبقاء صحته ، ولها ربضان عامران ربض عام للناس ، وربض للتبانين وشرب أهلها من الآبار وبينها وبين قرطبة حصون عظيمة .

ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم السيارات (ومن مدنه المشهورة غرناطة) وهى مدينة محدثة وما كان هنك مدينة مقصودة إلا النيرة فخربت وانتقل أهلها إلى غرناطة ، وحسن الصنهاجى هو الذى مدنها وبنى قصبتها وأسوارها ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده . وهى مدينة يشقها نهر الثلج المسمى سيدل وبدؤه من جبل سمكير والثلج بهذا الجبل لا يبرح .

ومن المدن المشهورة المرية : وكانت مدينة الاسلام فى أيام الملثمين وكان بها من جميع الصناعات كل غريبة وكان بها لنسج الطرز ثمانمائة نول ، والحلل الحرير النفيسة والديباج الفاخر ألف نول ، وللسفلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك ، وللأصبهانى مثل ذلك وللعتابى والمعاجر المذهبة الستور والمكللة بالشرج وكان يصنع بها صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مما لا يوصف وكان بها من أنواع الفاكهة العجيبة التى تأتيها من وادى بجانة ما يعجز عنه الواصف حسنا وطيبا وكثرة وتباع بأرخص ثمن وهذا الوادى طوله أربعون ميلا فى مثلها كلها بساتين مثمرة وجنات نضرة وأنهار مطردة وطيور مغردة ، ولم يكن فى بلاد الأندلس أكثر مالا من أهلها ولا أكثر

متاجر، ولا أعظم ذخائر . وكان بها من الفنادق والحمامات ألف مغلق إلا ثلاثين وهى بين جبلين بينهما خندق معمور على الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الجبل الآخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض وغربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو أسواق وحمامات وفنادق وصناعات وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة وأحجار أزلية وكأنما غربلت أرضها من التراب ولها مدن وضياع متصلة الأنهار .

(قرطاجنة) مدينة أزلية كثيرة الخصب ولها إقليم يسمى القندون قليل مثله فى طيب الأرض ونمو الزرع ، يقال إن الزرع فيه يكتفى بمطرة واحدة وكانت هذه المدينة فى قديم الزمان من عجائب الدنيا لارتفاع بنائها وإظهار القدرة فيه وبها أقواس من الحجارة المقرنصة وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ومن عجيب بنائها الدواميس وهى أربعة وعشرون داموساً على صف واحد من حجارة مقرنصة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة فى عرض ستين خطوة ارتفاع كل واحد طول مائتى ذراع بين كل داموسين أثقاب محكمة تصل فيها المياه من بعضها إلى بعض في العلو الشاهق بهندسة عجيبة وإحكام بليغ . وكان الماء يجرى إليها من شوتار وهى عين بقرب القيروان تخرج من جانب جبل وإلى الآن يحفر فى هدمها من سنة ثلثمائة فيخرج منها من أنواع الرخام والمرمر والجزع الملون ما يبهر الناظر . قال الجرابيقى : ولقد أخبرنى بعض التجار أنه استخرج منها ألواحا من الرخام طول كل لوح أربعون شبراً فى عرض عشرة أشبار ، والحفر بها دائم على ممر الليالى والأيام لم يبطل أبداً ولا يسافر مركب أبداً فى البحر فى تلك المملكة إلا وفيه من رخامها ، ويستخرج منها أعمدة طول كل عمود ما يزيد على أربعين شبراً وغالب الدواميس قائمة على حالها .

(وشاطبة) وهى مدينة حسنة يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذى لانظير له فى الأقاليم حسناً .

(قنطرة السيف) وهى مدينة عظيمة وبها قنطرة عظيمة هى من عجائب الدنيا وعلى القنطرة حصن عظيم منيع الذرى .

(طليطلة) وهى مدينة واسعة الأقطار عامرة الديار أزلية من بناء العمالقة الأول العادية ولها أسوار حصينة لم ير مثلها إتقانا وامتناعا ولها قصبة عظيمة وهى على ضفة البحر الكبير يشقها نهر يسمى باجة ولها قنطرة عجيبة وهى قوس واحد والماء يدخل من تحته بشدة جرى وفى آخر النهر ناعورة طولها تسعون ذراعا بالرشاشى يصعد الماء إلى أعلى القنطرة فيجرى على ظهرها ويدخل إلى المدينة ، وكانت طليطلة دار مملكة الروم وكان فيها قصر مقفل أبدا وكلما تملك فيها ملك من الروم أقفل عليه قفلا محكما فاجتمع على باب القصر أربعة وعشرون قفلا ثم ولى الملك رجل ليس من بيت الملك فقصد فتح تلك الأقفال ليرى ما فى داخلها فمنعه من ذلك أكابر الدولة وأنكروا ذلك عليه وحذروه وجهدوا به فأبى إلا فتحها فبذلوا له جميع ما بأيديهم من نفائس الأموال على عدم فتحها فلم يرجع وأزال الأقفال وفتح الباب فوجد فيها صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة متقلدين السيوف وبأيديهم الرماح الطوال والعصى ووجد كتابا فيه إذا فتح هذا الباب تغلب على هذه الناحية قوم من الأعراب على صفة هذه الصور فالحذر من فتحه الحذر قال ففتح فى تلك السنة الأندلس طارق بن زياد فى خلافة الوليد بن عبد الملك من بنى أمية وقتل ذلك الملك شر قتلة ونهب ماله وسبى من بها وغنم أموالها ووجد بها ذخائر عظيمة من بعضها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت والأحجار النفيسة وإيوانا تلعب الرماحة بأرماحهم فيه قد ملىء من أوانى الذهب والفضة مما لا يحيط به وصف ووجد بها المائدة التى كانت لنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام . وكانت على ما ذكر من زمرد أخضر وهذه المائدة إلى الآن فى مدينة رومية باقية ، وأوانيها من الذهب وصحافها من اليشم والجزع ووجد فيها الزبور بخط يونانى فى ورق من ذهب مفصل بجوهر ووجد مصحفاً

يحلى فيه منافع الأحجار والنبات والمعادن واللغات والطلاسم وعلم السيمياء والكيمياء ، ووجد مصحفا فيه صناعة أصباغ الياقوت والأحجار وتركيب السموم والترياقات ، وصورة شكل الأرض والبحار ، والبلدان ، والمعادن والمسافات ووجد قاعة كبيرة مملوءة من الاكسير يرد الدرهم منه ألف درهم من الفضة ذهبا إبريزاً ووجد مرآة مستديرة مدبرة عجيبة من أخلاط قد صنعت لسليمان عليه السلام إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة فيها عيانا ورأى مجلسا فيه من الياقوت والبهرمان وسق بعير فحمل ذلك كله إلى الوليد ابن عبد الملك . وتفرق العرب فى مدنها ، وبطليطلة بساتين محدقة وأنهار مغدقة ورياض وفواكه مختلفة الطعوم والألوان ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق مربعة وضياع وسيعة وقلاع منيعة وشمالها جبل عظيم معروف بجبل الاشارات به من البقر والغنم ما يعم البلاد كثرة ونمواً .

ذكر الغرب الأدنى

وهو الواحات وبرقة وصحراء الغرب والاسكندرية

فأما الواحات : فان بها قوماً من السودان يسمون البربر وهم فى الأصل عرب مخضرمون وبها كثير من القرى والعمائر والمياه وهى أرض حارة جدا وهى فى ضفة الجبل الحائل بين أرض مصر والصحارى وينتج بهذه الأرض وما اتصل بها من أرض السودان حمر وحشية منقوشة ببياض وسواد بزى عجيب لا يمكن ركوبها وإن خرجت عن أرضها ماتت فى الحال وكان فى القديم يزرع بأرضها الزعفران كثيراً وكذلك البليلج والعصفر وقصب السكر وبها حيات فى رمال تضرب الجمل فى خفه فلا ينقل خطوة حتى يطير وبره من ظهره ويتهرى .

(شنترية) بها قوم من البربر وأخلاط العرب وبها معدن الحديد والبريم وبينها وبين الاسكندرية برية واسعة يقولون إن بها مدنا عظيمة مطلسمة من أعمال الحكماء والسحرة ولا تظهر إلا صدفة .

فمنها ما حكى أن رجلا أتى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى وعمر رضى الله عنه يومئذ عامل على مصر وأعمالها فعرفه أنه رأى فى صحراء الغرب بالقرب من شنترية وقد أوغل فيها فى طلب جمل له ند منه مدينة قدخرب الأكثرمنها وأنه قد وجد فيها شجرة عظيمة بساق غليظ تثمر من جميع أنواع الفواكه وأنه أكل منها كثيراً وتزود فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدينتى هرمس الهرامسة وبها كنوز عظيمة فوجه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مع ذلك الرجل جماعة من ثقاته واستوثقوا من الزاد والماء عن شهر وطافوا تلك الصحارى مراراً فلم يقفوا على شىء من ذلك .

ويحكى : أن عاملا من عمال الغرب جار على قوم من الأعراب فهربوا من عنفه وجوره ودخلوا صحراء الغرب ومعهم من الزاد ما يكفيهم مدة فسافروا يوما أو بعض يوم فدخلوا جبلا فوجدوا فيه عنزا كثيراً وقدخرجت من بعض شعاب الجبل فتبعوها فنفرت منهم فأخرجتهم إلى مساكن وأنهار وأشجار ومزارع، وقوم مقيمون فى تلك الناحية قد تناسلوا وهم فى أرغد عيش وأنزه مكان وهم يزرعون لأنفسهم ويرفعون مايزرعون بلا خراج ولا مقاسمة ولا طلب فسألوهم عن حالهم فأخبروهم أنهم لم يدخلوا إلى بلاد الغرب ولا عرفوها ، فرجع هؤلاء القوم الذين هربوا من العامل إلى أولادهم وأهاليهم ودوابهم فساقوها ليلا وخرجوا بهم يطلبون ذلك المكان فأقاموا مدة طويلة يطوفون فى ذلك الجبل فلم يقفوا لهم على أثر ولا وجدوا لهؤلاء من خبر .

ويحكى أن موسى بن نصير لما قلد الغرب ووليها فى زمان بنى أمية أخذ فى السير على الواح الأقصى بالنجوم والأنواء وكان عارفا بها فأقام سبعة أيام يسير فى رمال بين مهبى الغرب والجنوب ، فظهرت له مدينة عظيمة لها حصن عظيم بأبواب من حديد ، فرام أن يفتح بابا منها فلم يقدر وأعياه ذلك لغلبة الرمل عليها فأصعد رجالا إلى أعلاه فكان كل من صعد ونظر إلى

المدينة صاح ورمى بنفسه إلى داخلها ولا يعلم ماذا يصيبه ولا ما يراه فلم يجد له حيلة فتركها ومضى.

وحكى أن رجلا من صعيد مصر أتاه رجل آخر وأعلمه أنه يعرف مدينة فى أرض الواحات بها كنوز عظيمة فتزودا وخرجا فسافرا فى الرمل ثلاثة أيام ثم أشرفا على مدينة عظيمة بها أنهار وأشجار وأثمار وأطيار ودور وقصور وبها نهر محيط بغالبها وعلى ضفة النهر شجرة عظيمة فأخذ الرجل الثانى من ورق الشجرة ولفها على رجليه وساقيه بخيوط كانت معه وفعل برفيقه كذلك وخاضا النهر فلم يتعد الماء الورق ولم يجاوزه فصعدا إلى المدينة فوجدا من الذهب وغيره ما لا يكيف ولا يوصف فأخذا منه ما أطاقا حمله ورجعا بسلامة وتفرقا فدخل الرجل الصعيدى إلى بعض ولاة الصعيد وعرفه بالقصة وأراه من عين الذهب فوجه معه جماعة وزودهم زادا يكفيهم مدة فجعلوا يطوفون في تلك الصحارى ولا يجدون لذلك أثرا وطال الأمر عليهم فسئموا ورجعوا بخيبة.

(وأما أرض برقة) فكانت فى قديم الزمان مدنا عظيمة عامرة وهى الآن خراب ليس بها إلا القليل من الناس والعمارة وبها يزرع من الزعفران شىء كثير.

(وأما الاسكندرية) فهى آخر مدن الغرب وهى على ضفة البحر الشامى، وبها الآثار العجيبة والرسوم الهائلة التى تشهد لبانيها بالملك والقدرة والحكمة وهى حصينة الأسوار عامرة الديار كثيرة الأشجار غزيرة الثمار، بها الرمان والرطب والفاكهة والعنب، وهى من الكثرة فى الغاية ومن الرخص فى النهاية، وبها يعمل من الثياب الفاخرة كل عجيب ومن الأعمال الباهرة كل غريب ليس فى معمور الأرض مثلها ولا فى أقصى الدنيا كشكلها يحمل منها إلى سائر الأقاليم فى الزمن الحادث والقديم، وهى مزدحم الرجال ومحط الرحال ومقصد التجار من سائر القفار والبحار والنيل يدخل إليها من كل

جانب من تحت أقبية إلى معمورها ويدور بها وينقسم فى دورها بصنعة عجيبة وحكمة غريبة يتصل بعضها ببعض أحسن اتصال لأن عمارتها تشبه رقعة الشطرنج فى المثال وإحدى عجائب الدنيا فيها ، وهى المنارة التى لم ير مثلها فى الجهات والأقطار وبين المنارة والنيل ميل واحد وارتفاعه ثلثمائة ذراع بالرشاشى لا بالساعدى جملته مائتا قامة إلى القبة ، ويقال إنه كان فى أعلاها مرآة ترى فيها المراكب من مسيرة شهر ، وكان بالمرآة أعمال وحركات لحرق المراكب فى البحر إذا كان عدوا بقوة شعاعها ، فأرسل صاحب الروم يخدع صاحب مصر ، ويقول إن الاسكندر قد كنز بأعلى المنارة كنزا عظيما من الجواهر واليواقيت واللعل والأحجار التى لا قيمة لها خوفا عليها فان صدقت فبادر إلى استخراجه وإن شككت فأنا أرسل لك مركبا موسوقا من ذهب وفضة وقماش وأمتعة لا تقوم ومكنى من استخراجه ولك من الكنز ما تشاء فانخدع لذلك وظنه حقا فهدم القبة فلم يجد شيئا مما ذكر وفسد طلسم المرآة ، ونقل أن هذه المنارة كانت فى وسط المدينة ، وأن المدينة كانت سبع قصبات متوالية وإنما أكلها البحر ولم يبق منها إلا قصبة واحدة وهى المدينة الآن وصارت المنارة فى البحر لغلبة الماء على قصبة المنارة ، ويقال إن مساجدها حصرت فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد .

وذكر الطبرى فى تاريخه : أن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، لما افتتحها أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقول : قد افتتحت لك مدينة فيها اثنا عشر ألف حانوت تبيع البقل ، وكان يوقد فى أعلى هذه المنارة ليلا ونهارا لاهتداء المراكب القاصدة إليها ، ويقولون إن الذى بنى المنارة هو الذى بنى الأهرام وبهذه المدينة المثلثان وهما حجران مربعان وأعلاهما ضيق حاد طول كل واحد منهما خمس قامات وعرض قواعدهما فى الجهات الاربع كل جهة أربعون شبرا وعليهما خط بالسريانى. حكى أنهما منحوتان من جبل بريم الذى هو غربى ديار مصر والكتابة التى عليهما أنا يعمر بن شداد

بنيت هذه المدينة حين لا هرم فاش ولا موت ذريع ولا شيب ظاهر وإذا الحجارة كالطين وإذا الناس لا يعرفون لهم ربا وأقمت أسطواناتها وفجرت أنهارها وغرست أشجارها وأردت أن أعمل فيها شيئا من الآثار المعجزة والعجائب الباهرة فأرسلت مولاى البتوت بن مرة العادى ومقدام بن عمرو ابن أبي رغال الثمودى خليفة إلى جبل بريم الأحمر ، فاقتطعا منه حجرين وحملاهما على أعناقهما فانكسرت ضلع من أضلاع البتوت فوددت أن أهل مملكتى كانوا فداء له وهما هذان وأقامهما إلى القطن بن جارود المؤتفكى فى يوم السعادة وهذه المثلثة الواحدة في ركن البلد من الجهة الشرقية والمثلثة الأخرى ببعض المدينة ، ويقال إن المجلس الذى بجنوب المدينة المنسوب إلى سليمان بن داود عليهما السلام بناه يعمر بن شداد المذكور وأسطواناته وعضاداته باقية إلى الآن وهو سنة خمس وثمانين وثلثمائة وهو مجلس مربع فى كل رأس منه ست عشرة سارية وفى الجانبين المتطاولين سبع وستون سارية وفى الركن الشمالى أسطوانة عظيمة ورأسها عليها وفى أسفلها قاعدة من الرخام مربعة جرمها ثمانون شبرا وطولها من القاعدة إلى الرأس تسع قامات ورأسها منقوش مخرم بأحكم صنعة وهى مائلة من تقادم الدهور ميلا كثيرا لكنها ثابتة وبها عمود يقال له عمود القمر عليه صورة طير يدور مع الشمس.

(أرض مصر): وهى غربى جبل جالوت، وهو إقليم العجائب ومعدن الغرائب وأهله كانوا أهل ملك عظيم وعز قديم وكان به من العلماء عدة كثيرة وهم متفننون فى سائر العلوم مع ذكاء مفرط فى جبلتهم ، وكانت مصر خمسا وثمانين كورة منها أسفل الأرض خمس وأربعون كورة وفوق الأرض أربعون كورة ونهرها يشقها والمدن على جانبيه وهو النهر المسمى بالنيل العظيم البركات المبارك الغدوات والروحات وهو أحسن الأقاليم منظرا وأوسعهم خيرا وأكثرهم قرى وهو من حد أسوان إلى الاسكندرية ، وفى أرض مصر كنوز عظيمة ويقال إن غالب أرضها ذهب مدفون حتى قيل إنه ما فيها

موضع إلا وهو مشغول بشيء من الدفائن ، وبها الجبل المقطم وهو شرقيها يمتد من مصر إلى أسوان فى الجهة الشرقية يعلو فى مكان وينخفض فى مكان وتسمى تلك التقاطيع منه اليحاميم وهى سود ويوجد فيها المغرة والكاس وفيه ذهب عظيم وذلك أن تربته إذا دبرت استخرج منها ذهب خالص وفيه كنوز وهياكل وعجائب غريبة ومما يلى البحر الجبل المنحوت المدور الذى لا يستطيع أحد أن يرقاه لملاسته وارتفاعه ، وفيه كنوز عظيمة لمقطم الكاهن الذى نسب إليه هذا الجبل ولملوك مصر القديمة أيضا فيه من الجواهر والذهب والفضة والأوانى والآلات النفيسة والتماثيل الهائلة والتبر والاكسير وتراب الصنعة ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ومن مدنه المشهورة الفسطاط : وهو فسطاط عمرو بن العاص ، وهى مدينة عظيمة وبها جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وكان مكانه كنيسة للروم فهدمها عمرو بن العاص وبناها مسجدا جامعا وحضر بناءه جماعة من الصحابة وشرقى الفسطاط خراب ، وذكر أنها كانت مدينة عظيمة قديمة ذات أسواق وشوارع واسعة وقصور ودور وفنادق وحمامات يقال إنها كان بها أربعمائة حمام فخربها شاور وهو وزير العاضد خوفا من الفرنج أن يملكوها وسمى الفسطاط فسطاطا لأن عمرو بن العاص نصب فسطاطه أى خيمته هناك مدة إقامته ، ولما أراد الرحيل وهدم الفسطاط أخبر أن حمامة باضت بأعلاه فأمر بترك الفسطاط على حاله لئلا يحصل التشويش للحمامة بهدم عشها وكسر بيضها وأن لا يهدم حتى تفقس عن فراخها وتطيرهم ، وقال والله ما كنا لنسيء لمن لجأ بدارنا واطمأن إلى جانبنا ، وقبالة الفسطاط الجزيرة المعروفة بالروضة ، وهى جزيرة يحيط بها بحر النيل من جميع جهاتها وبها فرج ونزه ومقاصف وقصور ودور وبساتين وتسمى هذه الجزيرة دار المقياس وكانت فى أيام بعض ملوك مصر يجتاز إليها على جسر من السفن فيه ثلاثون سفينة ، وكان بها قلعة عظيمة فخربت ، وبها المقياس يحيط به أبنية دائرة على عمد وفى

وسط الدار فسقية عميقة ينزل إليها بدرج من رخام دائرة وفي وسطها عمود رخام قائم وفيه رسوم أعداد الأذرع والأصابع يعبر إليه الماء من قناة عريضة . ووفاء النيل ثمانية عشر ذراعا وهذا المبلغ لايدع من ديار مصر شيئا إلا أرواه وما زاد على ذلك ضرر ومحل لأنه يميت الشجر ويهدم البنيان وبناء مصر كلها طبقات بعضها فوق بعض يكون خمسا وستا وسبعا وربما سكن فى الدار الواحدة الجامعة مائة من الناس ولكل منهم منافع ومرافق مما يحتاج إليه . وأخبر الجواليقى أنه كان بمصر على أيامه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز بالموقف يصب لمن فيها من السكان فى كل يوم أربعمائة راوية وفيها خمس مساجد وحمامات وفرنان .

(القاهرة المعزية) حرسها الله تعالى وثبت قواعد أركان دولة سلطانها وجعلها دار إسلام إلى يوم القيامة آمين ، وهى مدينة عظيمة أجمع المسافرون غربا وشرقا وبرا وبحرا أنه لم يكن فى المعمور أحسن منها منظرا ولا أكثر ناسا ولا أصح هواء ولا أعذب ماء ولا أوسع فناء ، وإليها يجلب من أقطار الأرض وسائر الأقاليم من كل شىء غريب ونساؤها فى غاية الحسن والظرف وملكها ملك عظيم ذو هيبة وصيت كثير الجيوش حسن الرأى لايماثله ملك فى زيه وترتيبه تعظمه ملوك الأرض وتخشى بأسه وترغب فى مودته وتترضاه وهو سلطان الحرمين الزاهرين والحاكم على البحرين الزاخرين ، وهى مدينة يعبر عنها بالدنيا وناهيك من إقليم يحكم سلطانه على مواطن العبادة فى الأرض كمكة المشرفة والمدينة الشريفة وبيت المقدس ، ومواطن الأنبياء ومستقر الأولياء . وأهل هذه المدينة فى غاية الرفاهية والعيشة الهنية والهيئة البهية ، وقد ورد فى الخبر مصر «كنانة الله ما رامها أحد بسوء إلا أخرج من كنانته سهما فرماه به فأهلكه» .

(عين شمس) وهى شرقى القاهرة وكانت فى القديم دار مملكة لهذا

الاقليم وبها من الأعمال والأعلام الهائلة والآثار العظيمة ، وبها البستان الذى لاينبت شىء من الأرض إلا وهو فيه وهو بستان طوله ميل فى ميل والسر فى بئره لأن المسيح عليه السلام اغتسل فيه ، وغربيها مدينة قليوب ، وهى مدينة عظيمة يقولون إنه كان بها ألف وسبعمائة بستان ولكن لم يبق إلا القليل ، وبها من أنواع الفاكهة شىء كثير فى غاية الرخص ، وبها السردوس الذى هو إحدى نزه الدنيا يسار فيه يومين بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفة وفواكه فاخرة ورياض ناضرة ، وهى حفير هامان وزير فرعون يقال إنه لما حفرها جعل أهل البلاد يخرجون إليه ويسألونه أن يجريها إليهم ويجعلون له على ذلك ما شاء من المال ففعل وحصل من أهل البلاد مائة ألف ألف دينار فحملها إلى فرعون فسأله من أين هذا المال الكثير فأخبره أن أهل البلاد سألوا منه إجراء الماء إلى بلادهم وجعلوا هذا المال مقابلة لذلك فقال فرعون بئس ما صنعت من أخذ هذه الأموال أما علمت أن السيد المالك ينبغى له أن يعطف على عبيده ولا يأخذ منهم على إيصال منفعة أجرا ولا ينظر إلى ما بأيديهم اردد المال إلى أربابه ولا تأتى بمثلها .

(الجيزة) وهى مدينة عظيمة على ضفة النهر الغربية ذات قرى ومزارع وبها خصب كثير وخير واسع ، وبها القناطر التى لم يعمل مثلها وهى أربعون قوسا على سطر واحد وبها الأهرام التى هى من عجائب الدنيا لم يبن على وجه الأرض مثلها فى إحكامها وإتقانها وعلوها وذلك أنها مبنية بالصخور العظام وكانوا حين بنوها يثقبون الصخر من طرفيه ويجعلون فيه قضيبا من حديد قائم ويثقبون الحجر الآخر وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه فى القضيب بصنعة هندسية حتى كمل بناؤها وهى ثلاثة أهرام ارتفاع كل هرم منها فى الهواء مائة ذراع بالملكى وهو خمسمائة ذراع بالذراع المعهود بيننا وضلع كل هرم من جهاته مائة ذراع بالملكى وهى مهندسة من كل جانب محددة الأعالى من أواخر طولها على ثمانمائة ذراع يقولون إن داخل الهرم

الغربى ثلاثين مخزنا من حجارة صوان مملوءة بالجواهر النفيسة والأموال الجمة والتماثيل الغريبة والآلات والأسلحة الفاخرة التى قد دهنت بأدهان الحكمة فلا تصدأ أبدا إلى يوم القيامة وفيه الزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر وأصناف العقاقير المركبة والمفردة والمياه المدبرة ، وفى الهرم الشرقى الهيئات الفلكية والكواكب منقوش فيها ما كان وما يكون فى الدهور والأزمان إلى آخر الدهر . وفى الهرم الثالث أخبار الكهنة فى توابيت صوان مع كل كاهن لوح من ألواح الحكمة وفيه من عجائب صناعاته وأعماله وفى الحيطان من كل جانب أشخاص كالأصنام تعمل بأيديها جميع الصناعات على المراتب ولكل هرم منها خازن ، وكان المأمون لما دخل الديار المصرية أراد هدمها فلم يقدر على ذلك فاجتهد وأنفق أموالا عظيمة حتى فتح فى أحدها طاقة صغيرة يقال إنه وجد خلف الطاق من الأموال قدر الذى أنفقه لا يزيد ولا ينقص فتعجب من ذلك وقال :

انظر إلى الهرمين واسمع منهما ... ما يرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لخبرانا بالذى ... فعل الزمان بأول وبآخر

وقال غيره :

خليلى ما تحت السماء بنية ... تناسب فى إتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما ... على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وقال آخر :

أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتصرع

(الفيوم) وهى مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام ولها نهر يشقها ونهرها من عجائب الدنيا وذلك أنه متصل بالنيل وينقطع منه فى أيام الشتاء وهو يجرى على العادة ولهذه المدينة ثلثمائة وستون قرية عامرة آهلة كلها مزارع وغلال ويقال إن الماء فى هذا الوقت قد أخذ أكثرها

وكان يوسف عليه السلام قد جعلها على عدد أيام السنة فاذا أجدبت الديار المصرية كانت كل قرية تقوم بأهل مصر يوما وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف ، وبها من قصب السكر شيء كثير ، ويقال إنه كان على الفيوم وإقليمها كلها سور واحد .

(وسخا) مدينة حسنة ولها إقليم واسع بجامعها حجر أسود وعليه طلسم بقلم الطير إذا أخرج ذلك الحجر من الجامع دخله العصافير وإذا دخل إليه خرجت العصافير .

(وأما أنصنا والأشمونان وأبو صير) فمدن أزلية وبها آثار عجيبة وأعلام هائلة ، ويقال إن سحرة فرعون كانوا من مدينة أبي صير وبها الآن بقية منهم .

(وأما أسيوط وإخميم ودندرا) فمدن أزلية ، وبها آثار عجيبة وأعلام هائلة .

(وزماخر) وهي مدينة حسنة كثيرة الفواكه يقرب منها جبل الطيلمون وهو يأتي من جهة المغرب فيعترض مجرى النيل والماء ينصب إليه بقوة حتى يمنع المراكب فلا يقدرون على الجواز عليه إلى أسوان . ذكروا أن كرهية الساحرة كانت ساكنة بأعلى هذا الجبل في قصر عظيم ، وكانت تتكلم على المراكب المقلعة في البحر فتقف .

(وأسوان) وهي آخر الصعيد الأعلى ، وهي مدينة صغيرة عامرة كثيرة اللحوم والأسماك والغزلان ، وليس يتصل بأسوان من جهة المشرق بلد للاسلام إلا جبل العلاقي ، وهو جبل في واد جاف لا ماء به لكن يحفر عليه فيوجد الماء قريبا فيسمى معينا ، وبه معدن الذهب والفضة وعلى جنوبه من النيل جبل في أسفله معدن الزمرد في برية منقطعة عن العمارة ليس في الأرض كلها معدن للزمرد سواه ، ويتصل باسوان من جهة الغرب أرض الواحات . وبديار مصر معدن الملح والنطرون وهما من عجائب الدنيا .

(وأما رمال الضيم) فانها آية من آيات الله عز وجل فانه يؤخذ العظم فيدفن في ذلك الرمل سبعة أيام فيعود حجرا صلدا ، وكان على أسوان

وأرضها سور محيط من جانبيها فتهدم ، ويقال له حائط العجوز الساحرة .

(أرض القلزم) وهي بين مصر والشام وهو بحر فى ذاته ، وفيه جبال فوق الماء ، وفيه قروش وحيوانات مضرة ظاهرة ومخيفة ، وكانت القلزم مدينتين عظيمتين فتهدمتا من تسلط العرب على أهلهما وشربهما من عين سدير وهي وسط الرمل وماؤه زعاق ، وبين القلزم وهو منتهى بحر فارس الآخذ من المحيط الشرقى من الصين وبين البحر الشامى مسافة أربع مراحل يسمى بحصن التيه وهو تيه بنى إسرائيل . وهي أرض واسعة ليس بها وهدة ولا رابية ولا قلعة ومسافتها خمسة أيام فى خمسة .

(ومن مدنه المشهورة عقبة أيلة) وهي قرية صغيرة على جبل عال صعب المرتقى يكون ارتفاعه والانحدار منه يوما كاملا وهي طرق لا يمكن أن يجوز فيها إلا واحد واحد على جانبها أودية بعيدة المهوى .

(والحوذى) وهي قرية صغيرة بها معدن البرام ويحمل منها إلى سائر أقطار الأرض وشربهم من آبار عذبة ، وهي على ساحل بحر القلزم .

(مدينة مدين) وهي خراب وبها البئر التى استسقى منها موسى لغنم شعيب عليهما السلام . وهي الآن معطلة .

(أرض البادية) هي ما بين أرض الشام والحجاز وتسمى أرض الحجر .

(أرض الشام) وهو إقليم عظيم كثير الخيرات جسيم البركات ذو بساتين ، وجنات ، وغياض . وروضات ، وفرج ، ومتنزهات ، وفواكه مختلفة رخيصة ، وبها اللحوم كثيرة إلا أنها كثيرة الأمطار والثلوج وهو يشتمل على ثلاثين قلعة وليس فيها أمنع من قلعة الكرك و إقليم الشام يشتمل على مثل كورة فلسطين ، وكورة عمداش بيتا ، وكورة يافا . وكورة قيسارية وكورة طرابلس ، وكورة سبيطة ، وكورة عسقلان ، وكورة حطين ، وكورة غزة ، وكورة بيت جبريل ، وفى جنوبه فحص التيه وكورة الشويك وكورة الأردن ، وكورة السابية ، وكورة غانة ، وكورة ناصرة ، وكورة صور

(وأرض دمشق) ومن كورها كورة الغوطة ، وكورة البقاع ، وكورة

بعلبك ، وكورة لبنان ، وكورة بيروت ، وكورة صيدا ، وكورة البثنية ، وكورة حول ، وكورة جولان ، وكورة ظاهر ، وكورة حولة ، وكورة البلقاء ، وكورة جبرين الغور ، وكورة كفر طاب . وكورة عمان ، وكورة السراء .

(ومن مدن الشام المشهورة دمشق المحروسة) وهى من أجل بلاد الشام مكانا وأحسنها بنيانا وأعدلها هواء وأغزرها ماء وهى دار مملكة الشام ولها الغوطة التى لم يكن على وجه الارض مثلها . بها أنهار جارية مخترقة ، وعيون سارحة متدفقة ، وأشجار باسقة وثمار يانعة ، وفواكه مختلفة ، وقصور شاهقة ، ولها ضياع كالمدن وبدمشق الجامع المعروف ببنى أمية الذى لم يكن على وجه الأرض مثله بناه الوليد بن عبد الملك ، وأنفق عليه أموالا عظيمة قيل إن جملة ما أنفق عليه أربعمائة صندوق من ذهب فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار واجتمع فى ترخيمه اثنا عشر ألف مرخم ، وقد بنى بأنواع الفصوص المحكمة والمرمر المصقول والجزع المكحول ويقال إن العمودين اللذين تحت قبة النسر اشتراهما الوليد بألف وخمسمائة دينار وهما عمودان مجزعان بحمرة لم ير مثلهما ، ويقال إن غالب رخام الجامع كان معجونا ولهذا إذا وضع على النار ذاب . وفى وسط المحيط الفاصل بين الحرم والصحن عمودان صغيران يقال إنهما كانا فى عرش بلقيس ، ومنارة الجامع الشرقية يقال إن المسيح ينزل عليها وعندها حجر يقال إنه قطعة من الحجر الذى ضرب به موسى بعصاه فانبجست منه اثنتا عشرة عينا .

(قال) بعض السلف الصالح مكثت أربعين سنة ما فاتتنى صلاة من الخمس بهذا الجامع وما دخلته قط إلا وقعت عينى على شىء لم أكن رأيته قبل ذلك من صناعة ونقش وحكمة .

ومن باب دمشق الغربى وادى البنفسج طوله اثنا عشر ميلا فى عرض ثلاثة أميال مفروش بأجناس الثمار البديعة المنظر والمخبر ، ويشقه خمسة أنهار ومياه الغوطة كلها تخرج من نهر الزبدانى وعين الفيجة وهى عين تخرج

من أعلى جبل وتنصب إلى أسفل بصوت هائل ودوى عظيم فاذا قرب إلى المدينة تفرق أنهارا . وهى بردى ويزيد وثورة وقناة المزة وقناة الصوف وقنوات وبانياس وعقربا واستعمال هذا النهر للشرب قليل لأن عليه مصب أوساخ المدينة وهذا النهر يشق المدينة وعليه قنطرة وكل هذه الأنهار يخرج منها سواق تخترق المدينة فتجرى فى شوارعها وأسواقها وأزقتها وحماماتها ودورها وتخرج إلى بساتينها .

(والشام خمس شامات) هكذا قرر فى كتاب العقد الفريد .

فالشام الأولى : غزة والرملة وفلسطين وعسقلان وبيت المقدس ومدينتها الكبرى فلسطين .

والشام الثانية : الأردن وطبرية والغور واليرموك وبيسان ومدينتها الكبرى طبرية .

والشام الثالثة : الغوطة ودمشق وسواحلها ومدينتها الكبرى دمشق .

والرابعة : حمص وحماة وكفر طاب وقنسرين وحلب .

والخامسة : أنطاكية والعواصم والمصيصة وطرسوس .

(فأما فلسطين) فهى أول أجواز الشام من الغرب وماؤها من الأمطار والسيول وأشجارها قليلة لكنها حسنة البقاع ، وهى من رفح إلى اللجون طولا ومن يافا إلى زغر عرضا ، وهى مدينة قوم لوط والبحيرة التى بها يقال لها البحيرة المنتنة ، ومنها إلى بيسان وطبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين وسائر مياه الشام تنحدر إليها .

(نابلس) هى مدينة للسامرية وبها البئر التى حفرها يعقوب عليه السلام وبها جلس عليه السلام يطلب من المرأة ماء للشرب وعلى ذلك المكان كنيسة معهودة .

(عسقلان) هى مدينة حسنة ولها سوران وهى ذات بساتين وثمار وبها من الزيتون والكروم واللوز والرمان شىء كثير وهى فى غاية الخصب .

(بيت المقدس) ويسمى إيلياء ، وهى مدينة حسنة ولها سوران عظيمان من جبلين وفى طرفها الغربى باب المحراب وعليه قبة داود عليه السلام ، وفى طرفها الشرقى باب الرحمة ، وكان يقفل فلا يفتح إلا من عيد الزيتون إلى عيد الزيتون ، ومن الباب الغربى يسار إلى الكنيسة العظمى المسماة بكنيسة القيامة وهى المعروفة بكنيسة قمامة وتحج إليها الروم من سائر الأقطار ويقابلها من المشرق كنيسة الحبس الذى حبس فيه المسيح عيسى عليه السلام ، وبها مقابر الفرنج وشرقية المسجد المعظم المسمى بالأقصى وليس فى الدنيا كلها مسجد على قدره إلا جامع قرطبة من بلاد الأندلس وطول المسجد الأقصى مائتا باع فى عرض مائة وثمانين ، وفى وسطه قبة عظيمة تسمى قبة الصخرة ويقال إن سقف جامع قرطبة أكبر من سقف الأقصى وصحن الأقصى أكبر من صحن جامع قرطبة وبالقرب من باب الأسباط كنيسة حسنة كبيرة وفيها قبر مريم أم عيسى عليهما السلام وتعرف بالجسمانية ، وهناك جبل يقال له جبل الزيتون وبهذا الجبل قبر العاذر الذى أحياه الله للمسيح عليه السلام ، وعلى الميامن من جبل الزيتون قرية منها جلب حمار المسيح وقريب من قبر عاذر مدينة أريحاء وعلى الأردن كنيسة عظيمة على اسم يوحنا المعمدانى .

(والأردن) هو نهر يخرج من بحيرة طبرية ويحط فى بحيرة سدوم وعامودا مدائن لوط ، وبجنوب بيت المقدس كنيسة صهيون وهى التى فيها قلاية يقال إن المسيح أكل فيها مع حواريه من المائدة لما أنزلت عليه ويقال إن المائدة باقية فيها وهى كنيسة حصينة وفيها على طرف الخندق كنيسة بطروس وبهذا الخندق عين سلوان وهى التى أبرأ فيها المسيح الضرير الأعمى ويقرب منها الخفل وهو مقابر الغرباء ، وبها بيوت كثيرة منقورة فى الصخر وفيها رجال مقيمون قد حبسوا أنفسهم لله تعالى فيها .

(وأما بيت لحم) فهى كنيسة حسنة البناء متقنة الصنعة وهو الموضع

الذى ولد فيه عيسى عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس ستة أميال ، وفى وسط الطريق قبر راحيل أم يوسف الصديق عليه السلام ويقرب من ذلك مسجد الخليل عليه السلام وهو قرية ممدنة بها قبر الخليل إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام وكل صاحب قبر من قبورهم تجاهه امرأته وهو فى وهدة بين جبلين ملتفة الأشجار كثيرة الثمار .

(طبرية) هى مدينة جليلة على جبل مطل وأسفلها بحيرة عذبة ، وبها مراكب سابحة ولها سور حصين ويعمل بها من الحصر السامان كل حسن بديع ، وبها حمامات حامية من غير نار ، وبها حمام يعرف بحمام الدماقر كبير ، وأول ما يخرج ماؤها يسمط الجداء والدجاج ويسلق فيه البيض وهو مالح ، وبها حمام اللؤلؤ وهو أصغر حماماتها وليس فيها حمام يوقد فيه نار إلا الصغير وفى جنوبها حمام كبير مثل عين يصب إليها مياه حارة من عيون كثيرة وإنما يقصده أهل البلاء ويقيمون به ثلاثة أيام فيبرءون .

(وأما حمص) فهى مدينة حسنة فى مستوى مقصودة من سائر النواحى وأهلها فى خصب ورغد عيش وفى نسائها جمال فائق ، وكانت فى قديم الزمان من أكبر البلاد ، ويقال إنها مطلسمة لا يدخلها حية ولا عقرب ومتى وصلت إلى باب المدينة هلكت ويحمل من تراب حمص إلى سائر البلاد فيوضع على لسعة العقرب فتبرأ ، وبها القبة العالية التى فى وسطها صنم من نحاس على صورة إنسان راكب على فرس تدور مع الريح كيفما دارت وفى حائط القبة حجر فيه صورة عقرب يأتى إليه الملدوغ والملسوع ومعه طين فيطبعه على تلك الصورة ويضعه على اللدغة أو اللسعة فتبرأ لوقتها وجميع شوارعها وأزقتها مفروشة بالحجر الصلد ، وبها جامع كبير وأهلها موصوفون بالرقاعة وخفة العقل .

(وأما بعلبك) فهى مدينة حسنة حصينة على رأس جبل مسفح والماء يشقها ويدخل كثيراً فى دورها وعلى نهرها أرحية كثيرة وبها أنواع الفاكهة

ووجوه الخصب والرخاء وفيها قلعة ثلاثة أحجار وهى من أعجوبة الدنيا .

(وأما حلب) فهى المدينة الشهباء كانت فى قديم الزمان من أوسع البلاد قطرا ، قيل أوحى الله عز وجل إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يهاجر بأهله إلى الشونة البيضاء فلم يعرفها ، فسأل الله تعالى فى إرشاده إليها فجاءه جبريل عليه السلام حتى أنزله بالتل الأبيض الذى عليه الآن قلعة حلب المحروسة حماها الله من الغير والآفات فاستوطنها وطابت له مدة ثم أمر بالمهاجرة إلى الأرض المقدسة فخرج منها فلما بعد عنها ميلا نزل وصلى هناك والآن يعرف ذلك المكان بمقام الخليل قبلى حلب فلما أراد الرحيل التفت إلى مكان استيطانه كالحزين الباكى لفراقها ، ثم رفع يديه وقال : اللهم طيب ثراها وهواءها وماءها وحببها لأبنائها فاستجاب الله دعاءه فيها وصار كل من أقام فى بقعة حلب ولو مدة يسيرة أحبها وإذا فارقها يعز ذلك عليه وربما إذا فارقها التفت إليها وبكى هكذا نقله الصاحب كمال الدين بن العديم فى تاريخه المسمى بتاريخ حلب ولهذه المدينة أعنى حلب نهر يأتيها من جهة الشمال يقال له قويق فيخترق أرضها وبها قناة مباركة تخترق شوارعها ودورها وحماماتها وسبلانها وماؤها عذب فرات ، ولها قلعة حصينة راسخة يقال إن فى أساسها ثمانية آلاف عمود وهى ظاهرة الرءوس بسفحها ولها قرية تسمى براق يقال إن بها معبدا يقصده أرباب الأمراض ويأتون به ، فاما أن يبصر المريض فى نومه من يمسح بيده عليه فيبرأ ، وإما أن يقال له استعمل كذا وكذا فاذا أصبح واستعمله فانه يبرأ .

(وأما حماة) فهى مدينة قديمة على عهد سليمان بن داود عليهما السلام واسمها باليونانية حاموثا ولما فتحها أبو عبيدة رضى الله عنه ، جعل كنيستها جامعا وهو جامع السوق الأعلى وجدد فى خلافة المهدى ، وكان فيه لوح من رخام مكتوب فيه إنه جدد من خراج حمص . وكانت حماة وشيراز من أعمال حلب ، وكانت حمص فى القديم كرسى هذه البلاد .

(وأما بلاد الأرمن) فاقليمها عظيم واسع ممتنع القلاع والحصون كثير الخصب والخير والفواكه الحسنة اللون والطعم ، يقال إن باقليمها ثلثمائة وستين قلعة منها ست وعشرون قلعة لا تكاد أن ترام لشدة امتناعها لا يصل أحد إلى واحدة منها لا بقوة ولا بحيلة ألبتة . ومن مدنها المشهورة أرمينية وهى أرمينيتان الداخلة والخارجة ، وهى مدينة عظيمة وبها بحيرة تعرف ببحيرة كندوان بها تراب تتخذ منه البوادق التى يسبك فيها .

(وخلاط) وهى مدينة حسنة ، وكانت فى القديم قاعدة بلاد الأرمن فلما تغلبت الأرمن على الثغور انتقلوا إلى سيس ، وبها يعمل من التكك البديعة الحسنة الغالية الثمن كل غريب وبقرب خلاط حفائر يستخرج منها الزرنيخ الأحمر والأصفر .

(ملطية) مدينة عظيمة كثيرة الخير والأرزاق ليس فى بلاد تلك المملكة أحسن منها وأهلها ذو ثروة ورفاهية عيش ، ذكر أنه كان بها اثنا عشر ألف نول تعمل الصوف ولكن قد تلاشى أمرها .

(ميافارقين) مدينة عظيمة وهى من حدود الجزيرة وحدود أرمينية .

(نصيبين) مدينة حسنة فى مستوى من الأرض وماؤها يشق دورها وقصورها وإليها ينسب الورد النصيبي ، وبها عقارب قتالة وبأرض الأرمن النهران الكبيران المشهوران وهما نهر الرأس ونهر الكرج المعروف بالكر ومسيرهما من المغرب إلى المشرق وعليهما مدن كثيرة وقرى متصلة من الجانبين وبأرض الأرمن بركة فيها سمك كثير وطير عظيم وماؤها غزير عميق ويقيم بها الماء سبع سنين متوالية وينشف منها سبع سنين أيضا ثم يعود الماء وهذا دأبه أبدا ، وبها جبل يسمى غرغور وفيه كهف وفى الكهف بئر بعيدة القعر إذا رمى فيها حجر يسمع لها دوى كدوى الرعد ثم يسكن ولا يعلم ما هو . وفى هذا الجبل معدن الحديد المسموم متى جرح به حيوان مات فى الحال .

(أرض الجزيرة) وهى جزيرة ابن عمر وتشتمل على ديار ربيعة ومضر وتسمى ديار بكر، وهى ما بين دجلة والفرات وكلها تسمى بالجزيرة، وبها مدن وقرى عامرة وأكثر أهلها نصارى وخوارج . ومن مدنها المشهورة الموصل، وهى قاعدة بلاد الجزيرة وهى مدينة كبيرة صحيحة الهواء طيبة الثرى ولها نهر حسن عميق فى عمق ستين ذراعا وبساتينها قليلة إلا أن لها ضياعا ومزارع ورساتيق ممتدة وكورا كثيرة، وهى المدينة التى بعث إليها يونس عليه السلام وهى غربى دجلة.

(الرهاء) مدينة عظيمة قديمة واسعة الأقطار وكانت عامرة الديار وتتصل بأرض حران والغالب على أهلها دين النصرانية، وبها من الكنائس ما يزيد على مائتى كنيسة ودير ولم يكن للنصارى أعظم منها، وكان بكنيستها العظمى منديل المسيح الذى مسح به وجهه فأثرت فيه صورته فأرسل ملك الروم إلى الخليفة رسولا وطلبه منه وبذل فيـــه أسارى كثيرة فأخذه وأطلق الأسارى.

(مدينة الحضر) وهى الآن خراب، وكانت مدينة عظيمة فى قديم الزمان، وكان اسم صاحبها الساطرون فحاصرها سابور بن أزدشير بن بابك أربع سنين فلم يقدر عليها، وكانت مركبة على قناطر يدخل الماء من تحتها وكان لساطرون ابنة جميلة فى غاية الجمال بحيث إذا نظرها أحد حصل فى عقله خبل وخلل. وكان اسمها نضيرة وكانت عادة الروم إذا حاضت المرأة عندهم أنزلوها إلى ربض المدينة فحاضت ابنة الساطرون فأنزلوها إلى الربض وسابور المذكور محاصر المدينة وهو راكب فى جيشه دائر من خارج المدينة فرأت نضيرة ابنة الساطرون سابور وهو فى غاية الحسن فأحبته لأول نظرة فأرسلت إليه تقول إن أنا أخذت لك المدينة وأرحتك من العناء أتتزوج بى؟ فقال سابور نعم: قالت تخذ حمامة زرقاء فأخضب رجليها بحيض جارية زرقاء بكر وأطلقها فانها تطير وتحط على السور فيسقط فى الحال وتأخذ المدينة

ففعل سابور ذلك الأمر كما قالت نضيرة ، فدخل المدينة وأخذها وهدم ما بقى من سورها وقتل الساطرون وسبى وغنم ، وتزوج نضيرة فنامت عنده ليلة وهى تململ طول الليـل إلى الصباح فنظر سابور فاذا فى الفراش ورقة آس ، فقال لها : كل هذا التململ من هذه الورقة قالت نعم : قال فما كان أبوك يطعمك ؟ قالت : كان يطعمنى مخ العظم وشهد أبكار النحل والزبد ويسقينى الخمر المصفى أربعين مرة ، فقال : أهذا كان جزاؤه منك ، ثم أمر بها فربطت بين فرسين جموحين فضربها حتى تمزقت أعضاؤها .

(وأما جزيرة العرب) فهى ما بين نجران والعذيب .

(أرض عراق العرب) وهى أرض طيبة ممتدة ذات أقاليم واسعة وقرى وطولها من تكريت إلى عبادان ، وعرضها من القادسية إلى حلوان . ومن مدنها المشهورة بغداد ، وهى مدينة عظيمة قاعدة أرض العراق بناها المنصور فى الجانب الغربى على الدجلة وأنفق عليها أموالا عظيمة ، يقال إنه أنفق عليها أربعة آلاف ألف دينار ، ونقل أبواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة حتى لا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض وبنى بها قصرا عظيما بوسطها يقال إن دوره اثنا عشر ألف قصبة والجامع فى القصر وقصر المهدى يقابل قصر المنصور فى الضفة الأخرى وهما مدينتان يشقهما نهر الدجلة وبينهما جسر من السفن ، وبساتينها فى الجانب الآخر الشرقى تسقى بماء النهروان وماء سامرا وهما نهران عظيمان ، وأما نهر عيسى فتجرى فيـه السفن من بغداد إلى الفرات ، وأما نهر السراة فلا تركبه سفينة أصلا لكثرة الأرحية التى عليه . وكانت بغداد فى أيام البرامكة مدينة عظيمة يقال إن حماماتها حصرت فى وقت من الأوقات فكانت ستين ألفا ، وكان بها من العلماء والوزراء والفضلاء والرؤساء والسادات ما لا يوصف ، قال الطبرى فى تاريخه : أقل صفة بغداد أنه كان فيها ستون ألف حمام كل حمام يحتاج على الأقل إلى ستة نفر سواق ووقاد وزبال وقائم ومدولب

وحارس وكل واحد من هؤلاء فى مثل ليلة العيد يحتاج إلى رطل صابون لنفسه ولأهله وأولاده فهذه ثلثمائة ألف رطل وستون ألف رطل صابونا برسم فعلة الحمامات لاغير فما ظنك بسائر الناس وما يحتاجون إليـــه من الأصناف فى كل يوم .

(المدائن) وهى مدينة قديمة جاهلية وبها آبار هائلة وبها إيوان كسرى المضروب به المثل فى العظم والشماخة والارتفاع والاتقان ، وإقليمها يعرف بأرض بابل . وكان المنصور لما قصد أن يبنى بغداد استشار خالد بن برمك فى نقض الايوان ونقله من المدائن إلى بغداد فقال له خالد لاتفعل يا أمير المؤمنين فقال له المنصور ملت إلى بقاء آثار أخوالك الفرس لابد من هدمه وأمر المنصور بنقض القصر الأبيض وهو شىء يسير من جانب الايوان فنقضت ناحية من القصر الابيض فكان ما غرموا على نقضه أكثر من قيمة المنقوض فأزعج ذلك المنصور فقال لخالد قد عزمت على ترك النقض فقال له خالد لاتفعل يا أمير المؤمنين فغضب المنصور وقال : أما والله إن أحد رأييك غش فقال خالد بل والله كلاهما نصح فقال : صحح ماقلت فقال: خالد أما قولى فى الأول لا تنقض حتى إن كل جيل يأتى فى الدهر ويرى الايوان ويستعظم أمره وأمر بانيه ثم يقول إن أمة وملوكا أزالت ملك الفرس وأخذت بلادها وأبادتها لأمة عظيمة وملوك عظيمة فذلك من تعظيم الملة الاسلامية ، وأما قولى فى الآخر لاتفعل يعنى لا تترك النقض حتى إن من يأتى من الأجيال والخلق يرون بعض النقض والنقض أسهل من البنيان فيقولون إن أمة بنت هذا البنيان فأعجز نقضه من أتى من بعدهم لأمة عظيمة فذلك تعظيم للفرس واستهانة بالملة الاسلامية فلم يلتفت إلى مقاله وترك النقض .

(والنيل) وهى مدينة حسنة وهى على الفرات العظمى بين بغداد والكوفة وأصل تسميتها بالنيل أن الحجاج بن يوسف حفر نهراً من الفرات وسماه

النيل باسم نيل مصر وأجراه اليها وعليه مدن عظيمة وقرى ومزارع .

(ونينوى) وهى مدينة أزلية قبالة الموصل وبينهما دجلة ويقال إنها المدينة التى بعث إليها يونس بن متى عليه السلام .

(الكوفة) مدينة علوية مدنها على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى كبيرة حسنة على شاطىء الفرات لها بناء حسن وحصن حصين ولها نخل كثير وثمره طيب جداً وهى كهيئة بناء البصرة وعلى ستة أميال منها وفيها قبة عظيمة يقال إن بها قبر على بن أبى طالب رضى الله عنه وما استدار بتلك القبة مدفن آل على والقبة بناء أبى العباس عبد الله بن حمدان فى دولة بنى العباس .

(البصرة) وهى مدينة عمرية بناها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهى مدينة حسنة رحبة .

حكى أحمد بن يعقوب أنه كان بالبصرة سبعة آلاف مسجد .

وحكى بعض التجار أنه اشترى التمر فيها خمسمائة رطل بدينار وهو عشرة دراهم ، وغربى البصرة البادية وشرقيها مياه الأنهار وهى تزيد على عشرة آلاف نهر تجرى فيها السامريات ولكل منها اسم ينسب إلى صاحبه الذى حفره وإلى الناحية التى يصل إليها وبها نهر يعرف بنهر الأيكة وهو أحد نزهات الدنيا طوله اثنا عشر ميلا وهو مسافة ما بين البصرة والأيكة وعلى جانب النهر قصور وبساتين وفرج ونزه كأنها كلها بستان واحد وكأن نخلها كله قد غرس فى يوم واحد وجميع أنهارها يدخل عليها المد والجزر والغالب على هذه الأنهار الملوحة وبين عمارات البصرة وقراها آجام وبطائح ماء معمورة بزوارق وسامريات .

(واسط) وهى بين البصرة والكوفة . وهى مدينتان على جانب دجلة وبينهما قنطرة كبيرة مصنوعة على جسر من سفن يعبر عليها من جانب إلى جانب فالغربية تسمى كسكرا ، والشرقية تسمى واسط العراق وهما فى الحسن والعمارة سوا. وهما أعمر بلاد العراق وعليهما معول ولاة بغداد .

(وعبادان) وهى مدينة عامرة على شاطىء البحر فى الضفة الغربية من الدجلة واليها مصب ماء الدجلة ، ويقال فى المثل : مابعد عبادان قرية ، ومن عبادان إلى الخشاب وهى خشبات منصوبات فى قعر البحر باحكام وهندسة وعليها ألواح مهندسة يجلس عليها حراس البحر ومعهم زوارق وهو البحر الفارسى شاطئه الأيمن للعراق والأيسر لفارس .

(أرض الفرس) هى بلاد فارس ومسكنهم وسط المعمور وهى مدن عظيمة وبلاد قديمة وأقاليم كثيرة وهى مادون جيحون ويقال لها ايذان وأما ما وراء جيحون فهو أرض الترك ويقال لها قزوين وأرض فارس كلها متصلة العمائر وهى خمس كور . الكورة الأولى أرجان وهى أصغرهن وتسمى كورة سابور . الكورة الثانية اصطخر وما يليها وهى كورة عظيمة وبها أعظم بلاد الفرس . الكورة الثالثة كورة سابور الثانى . الكورة الرابعة الشاذروان وقاعدتها شيراز . الكورة الخامسة كورة سوس

(أرض كرمان) هى بين أرض فارس وأرض مكران وهو إقليم واسع ومن مدنها المشهورة (يم وهرمز)

(أرض الجبال) أرض واسعة وإقليم عظيم ويسمى إقليم خراسان وعراق العجم وله نحو من خمسمائة مدينة قواعد خارجة عن القرى والرساتيق ومن مدنها (همذان والسوس وششتر ورزيخ ونيسابور وسرخس وغزنة ومرو والطالقان وبلخ وفاراب وبدخشان وقم وقشان وأصبهان وجرجان والبيلقان ومراغة واردبيل وطوس) .

(أرض طبرستان) وهى مشتملة على إقليم عظيم ومياه غزيرة وأشجار ملتفة ومدينتها العظمى تسمى أيضا طبرستان .

(أرض الرى) هى آخر الجبال من خراسان وهو إقليم عظيم كثير القرى والأعمال والرساتيق .

(جبال الديلم) وهى ثلاثة جبال منيعة يتحصن أهلوها بها أحدها يسمى

بردوسيان والثانى يسمى المرونج والثالث يسمى واران ولكل جبل منها رئيس والجبل الذى فيه الملك يسمى الكرم وبه رياسة الديلم ومقام آل حسان وبهذا الجبل والأولين أمم عظيمة من الديلم وهى كثيرة الغياض والشجر والمطر وهى فى غاية الخصب ولها قرى وشعاب كثيرة وليس عندهم من الدواب ما يشتغلون بها .

(أرض خوارزم) إقليم عظيم منقطع عن أرض خراسان وبعيد عما وراء النهر ويحيط به مفاوز من كل جانب . وأول أعماله الظاهرية خوارزم وهى قاعدة هذه الأرض وهى مدينة عظيمة وفى الوضع مدينتان شرقية وغربية فالأولى على ضفة نهرها الشرقية تسمى درغاشا ، والثانية على ضفته الغربية وتسمى الجرجانية .

(بخارى) مدينة عظيمة ومملكة قديمة ذات قصور عالية وجنان متوالية وقرى متصلة العمائر ودورها سبعة وثلاثون ميلا فى مثلها ويحيط بها جميعها سور واحد وداخل هذا السور المحيط سور آخر يدور على نفس المدينة ومدائنها من الرساتيق ولها قلعة حصينة ونهر يشق ربضها وعلى النهر أرحية كثيرة وأهلها متمولون وذوو ثروة .

(سمرقند) وهى مدينة تشبه بخارى فى العمارة والحسن ولها قصور عالية شاهقة ونهور دافقة تخترق أزقتها ودورها تشق جهاتها وقصورها ، وقل أن تخلو من بقاعها المياه الجارية ، ويقال إنها بناء تبع الأكبر وأتمها ذو القرنين . وبحيرة خوارزم دورها ثلثمائة ميل وماؤها ملح أجاج وليس لها مصب ولا مغيض ويقع فيها نهر جيحون على الدوام وسيحون وقتاً دون وقت ويقع أيضاً فيها نهر الشاش ونهر الترك ونهر سرمازغا وأنهار كثيرة صغيرة غيرها ولا يعذب ماؤها ولا يساغ ولا يزيد بما يقع فيها ولا ينقص ويجمد نهر جيحون فى الشتاء بالقرب من هذه البحيرة حتى تجوز عليه

الدواب وعلى شطها جبل يعرف بحفراغويه يجمد فيه الماء فيصير ملحا لأهل تلك المملكة وفى هذه البحيرة شخص يظهر فى بعض الأوقات عيانا على صورة إنسان يطفو على وجه الماء ويتكلم ثلاث كلمات أو أربع كلمات مقفلات غير مفهومات ثم يغوص فى الماء فى الحال وظهوره يدل على موت ملك من الملوك الأعزاز .

(أرض خورستان) وهى من بلاد الجبال وهى أرض سهلة معتدلة الهواء كثيرة المياه واسعة الخير والخصب وبها مدن كثيرة وقرى عامرة . ومن مدنها المشهورة (الأهواز) وهى القطر الكبير الواسع المعمور النواحى وهى قاعدة هذه المملكة وبها أرزاق وخيرات زائدة الوصف ، وبها تعمل الثياب الأهوازية التى لانظير لها فى الدنيا وكذلك البسط والحلل والستور وملابس مراكيب الملوك وبها يصنع كل نوع غريب .

(أرض طخارستان) وهى أرض الهياطلة وإقليمه واسع ، وهو بين أرض الجبال وبلاد الأتراك وبها مدن كثيرة وقرى عامرة وخصب

(أرض الصغد) وهى أرض واسعة ذات بساتين وأشجار وفواكه ومياه ومدن عامرة ولها نهر يسمى الصغد يخرج من جبال التيم ويمتد على ظهرها ومدينتها العظمى تسمى الصغد وهى ذات قصور عالية وأبنية شاهقة والمياه تخترق أزقتها وشوارعها وقل أن يكون بها قصر أو دار أو بستان بغير ماء .

(أرض أشروسنه) وهى قبلى أرض فرغانة وهى إقليم عظيم كالعراق وبه مدن وقرى وخيرات وافرة وخصب إلى الغاية .

(أرض التيم) وهى غربى بلاد فرغانة وهى أرض واسعة وبها جبال شاهقة بها معادن الذهب والفضة والنوشادر والزاج وبها جبال شاهقة وطرق ممتنعة ، وفى الجبال خسوف تخرج منها النار فى الليل فترى على مسافة خمسة أيام وفى النهار يخرج منها الدخان . وفى جبال التيم حصن شسملك الذى لم يطمع

فى الوصول إليه من يرومه من الأعداء وهو كثير الخيرات وبه تعمل آلات الحديد والفولاذ وأنواع الأسلحة لتلك المملكة وغيرها .

(أرض فرغانة) وهى بمجاورة أرض التبت وهى أرض واسعة ذات كور وأقاليم ومدن وقرى وضياع . ومن مدنها المشهورة (فرغانة) وهى إقليم واسع وهى قاعدة ذلك الملك وبها أمم عظيمة وأسواق وخيرات .

(أرض التبت) إقليم واسع ومدينته تسمى به وهو آخر مدن خراسان وهو مجاور بلاد الصين وبعض بلاد الهند وهو بلاد الأتراك التبتية وهو إقليم على نشز من الأرض عال وفى أسفله واد يمر على بحيرة بزوان مشرقا ويعمل بها ثياب ثخان الأجرام لها قيمة غالية وأهلها يتجرون فى الفضة والحديد والحجارة الملونة والمسك التبتى وجلود النمور ، وليس على معمور الأرض أحسن ألوانا ولا أنعم أبدانا ولا أجمل أخلاقا ولا أرق بشرة ولا أذكى رائحة من الترك الذين بتلك البلاد وهم يسرق بعضهم بعضا ويبيعونه .

ومن مدنه المشهورة (يتنج) وهى مدينة على رأس جبل وعليها سور حصين ولها باب واحد لاغير . وبها صناعات كثيرة وأعمال بديعة ، وبالجبل المتصل بالتبت ينبت السنبل وفى غياضه دواب المسك ترعى منه وهى كغزلان الفلاة غير أن لها نابين معتقفين كأنياب الفيلة يخرج المسك من سرتها كالدمل فتحك سرتها فى الحجر فينفجر وتجمد فتخرج التجار فتجمعه ويضعونه فى النوافج ، وبها فارة المسك أيضاً وهى فارة يخرج المسك من سرتها أيضاً وهذا المسك هو الغاية فى قوة الرائحة وغاية الثمن وبهذا الجبل من الراوند الصينى شىء كثير ويقرب منه جبل معطوف عليه كالدال وبه بئر بعيد القعر يسمع من أسفله خرير الماء ودوى جريانه ، ولا يدرك له قعر ويتصل طرفا هذا الجبل بجبال الهند وفى وسطه أرض وطيئة وفيها قصر عظيم ماثل مربع البناء ولا باب له وكل من قصده ومشى نحوه يجد فى نفسه طربا وسروراً كما يجد شارب الخمر من نشوة الخمر . ويقال إن من تعلق بهذا القصر وصعد إلى أعلاه ضحك

ضحكا شديدا ثم رمى بنفسه إلى داخله لايدرى لأى شىء ولا يمكن أحد أن يعلم ما سبب ذلك وما الذى فى داخله .

(أرض اللان) وهى أرض واسعة عامرة . ومن مدنه المشهورة (برذعة) وهى مدينة عظيمة كثيرة الخصب ويقرب منها موضع يقال له الأندروان مسيرة يوم فى يوم وهو من نزه الدنيا كله عمارات وقصور وبساتين ومناظر وفواكه وثمار وبه البندق والشاهبلوط الذى ليس له فى الدنيا نظير فى الطعم والكثرة حتى لو حمل ذلك إلى البلاد شرقها وغربها لكفاهم وبها الريعان وهو نوع من العنبر الذى لايوجد مثله فى الدنيا وهى على نهر الكر وبها باب يعرف بباب الأكراد له سوق يعرف بسوق الكركى مقداره ثلاثة أميال

(أرض التغرغر) وهى بين أرض التبت والصين كما تقدم . ومن مدنها المشهورة (باخوان) وهى مدينة عظيمة آخذة من جهة المشرق على ضفة نهر وحولها مياه جارية ومزارع كثيرة وهى مرابع الأتراك وبها يعمل من الآلات الحديد الصينى كل غريب وبها من الآنية الصينية مالا يوجد فى غيرها

(وأما أرض الصين) فانها طويلة عريضة طولها من المشرق إلى المغرب نحو ثلاثة أشهر وعرضها من بحر الصين إلى بحر الهند فى الجنوب وإلى سد يأجوج ومأجوج فى الشمال ، وقد قيل إن عرضها أكثر من طولها وهى تشتمل على الأقليم السبعة ، ويقال إن بها ثلثمائة مدينة قواعد كبار عامرة سوى الرساتيق والقرى والجزائر وعندهم معدن الذهب قال الهروى أبواب الصين اثنا عشر بابا ، وهى جبال فى البحر بين كل جبلين منها فرجة تصير إلى موضع بعيد من بلاد الصين ، فاذا جاوزت السفينة تلك الابواب جازت فى بحر فسيح وماء عذب فلا تزال كذلك حتى تصير إلى الموضع الذى تريد من بلاد الصين وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلا وأحذق الناس فى الصناعات والنقوش والتصوير وأن الواحد منهم ليعمل بيده من النقش والتصوير ما يعجز عنه أهل الأرض . وكان من عادات

ملوكهم أن الملك منهم إذا سمع بنقاش أو مصور فى أقطار بلاده أرسل إليه بقاصد ومال ورغبه فى الاشخاص إليه فاذاحضرعنده وعده بالمال والرزق والصلات وأمره أن يصنع تمثالا مما يعلمه من النقش والتصوير ويبذل فى ذلك غاية جهده ومقدرته ويحضر به إليه فاذا فعل وأحضره علق ذلك الصنع والتمثال بباب قصر الملك وتركه سنة كاملة والناس يرجعون إليه فى تلك المدة فاذا مضت السنة ولم يظهر أحد من الناس على عيب به أو خلل فى صنعه أحضر ذلك الصانع وخلع عليه وجعله من خواص الصناع فى دار الصناعة وأجرى عليه ما وعده به من المال والصلة والادرار فبلغه عن نقاش ماهر فى النقش والتصوير فى بلاد الروم فأرسل إليه وأشخصه وأمره بعمل شىء مما يقدر عليه من النقش والتصوير مثالا يعلقه بباب القصر على العادة فنقش له فى رقعة صورة سنبلة حنطة خضراء قائمة وعليها عصفور وأتقن نقشه وهيئته حتى إذا نظره أحد لايشك فى أنه عصفور على سنبلة خضراء ولا ينكر شيئا من ذلك غير النطق والحركة ، فأعجب الملك ذلك وأمر بتعليقه وبادرار الرزق عليه إلى انقضاء مدة التعليق ، فمضت سنة إلا بعض أيام ولم يقدر أحد على إظهار عيب ولا خلل فيه ، فحضر شيخ مسن ونظر إلى المثال ، وقال هذا مختل وفيه عيب فأحضر إلى الملك وأحضر النقاش والتمثال ، وقال : ما الذى فيه من الخلل والعيب ؟ فاخرج عما وقعت فيه بوجه ظاهر ودليل ، وإلا حل بك الندم وما لاخير فيه ، فقال الشيخ : أسعد الله الملك وألهمه السداد مثال أى شىء هذا الموضوع ، فقال الملك : مثال سنبلة من حنطة قائمة على ساقها وفوقها عصفور ، فقال الشيخ : أصلح الله الملك أما العصفور فليس به خلل ، وإنما الخلل فى وضع السنبلة ، فقال الملك : وما الخلل وقد امتزج غضبا على الشيخ ، فقال الخلل فى استقامة السنبلة لأن من العرف أن العصفور إذا حط على سنبلة أمالها لثقل العصفور وضعف ساق السنبلة ولو كانت السنبلة معوجة مائلة لكان ذلك نهاية فى الوضع والحكمة فوافق الملك

على ذلك وسلم . وأهل الصين قصار القدود عظام الرءوس ومذاهبهم مختلفة ، فمنهم أهل أوثان وأهل نيران وعباد حيات وغير ذلك وأشرف ما يتحلون به قرون الكركند لأنها إذا نشرت ظهرت منها صور مدهشة عجيبة كاملة النقش والتخطيط فيتخذون منها مناطق ويفتخرون بها فتبلغ قيمة المنطقة الواحدة أربعة آلاف دينار وفى تلك القرون المنشورة خاصية عظيمة إذا شدت على الجسم تحت الثياب فانها إذا دخل على الملك سم أو قدم إليه طعام فيه سم تحركت على جسمه واختلجت . وأما صين الصين : فهى نهاية العمارة فى المشرق وليس وراءها إلا البحر المحيط ومدينة الصين العظمى تسمى السيلى وأخبارهم منقطعة عنا لبعدهم .

ويحكى : أن الملك عندهم إذا لم يكن له مائة زوجة بمهور وألف فيل برجالها وأسلحتها لا يسمى بملك وإذا كان للملك منهم عدة أولاد ثم مات لا يرث ملكه منهم إلا أحذقهم بالنقش والتصوير . ومن مدن الصين المشهورة (خانقو) وهى أعظم مدن الصين ، وهى على نهر عظيم أعظم من دجلة والفرات ، وبها أمم لا تحصى كثرة ولها ملك ذو هيبة على مربطه مايزيد على ألف فيل وجنوده كثيرة وهى على خور من البحر الأعظم تدخل فيه المراكب إلى مسيرة شهرين ، وبها الأرز والموز الغزير وقصب السكر والنارجيل .

(وخانكو) وهى مدينة عظيمة تشبه خانقو فى السعة والعمارة وكثرة الخلق ، وهى كثيرة الفواكه الفاخرة وهى على خور من البحر وبهذه البلاد الحيوانات الغريبة الشكل مثل الفيل والكركند والزرافة وغير ذلك من صندل والآبنوس والكافور والخيزران والعطر وجميع الأفاويه مالا يوصف والليل والنهار فى هذه البلاد متكافئان .

(وباجة) مدينة عظيمة ، وبها أمم عظيمة ، وبها جميع الفواكه إلا العنب والتين فهما لا يوجدان بها ولا ببلاد الصين والتبت والهند ، وإنما عندهم

شجر يسمى الشكى والبركى يطرح ثمرا طول الثمرة أربعة أشبار مدور كالمخروط وله قشر أحمر وهو لذيذ الطعم وفى جوف تلك الثمرة حب مثل حب الشاهبلوط يشوى فى النار ويؤكل فيوجد فيه طعم التفاح وطعم الكمثرى وطعم الموز وببلاد الهند شجر يسمي العنباء كشجر الموز وثمرته كالمقل يعمل بالخل فيكون كطعم الزيتون وهذه المدينة هى سكنى البغبوغ وهو ملك الصين ومعناه ملك الملوك وله فى دسته وموكبه زى عظيم .

(وجدان) وهى مدينة عظيمة يشقها نهرها الأعظم المسمى جدان وأهلها ذوو أموال غزيرة وهى قاعدة من قواعد الصين .

(كاشغر) وهى مدينة عظيمة على صفة نهر صغير يأتى من شمالها يقع من جبل وبهذا الجبل معادن الفضة الطيبة الفائقة السهلة التخلص .

(وخيعون) وهى مدينة حسنة ذات بساتين وفرج ، وبها غزال المسك الفائق ودابة الزباد الفاخر وهى دابة كالهرة فى الخلق وأنفس منها فى الجسم يحك الزباد من آباطها بملعقة فضة وهو عرق يخرج من آباطها .

(اسفيريا) مدينة عظيمة على بركة ماء عذب لايعرف لها قعر ، وبها سمك له وجوه مثل البوم وعلى رؤوسها كقلاس الديوك .

(وطوخا) مدينة يعمل فيها ثياب الحرير الطوخية التى لا نظير لها

(وسوسة) وهى المدينة التى بها الفخار الصينى الفاخر الذى لايعدله شىء من فخار الصين .

وقد ذكرنا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق من المحيط إلى المحيط . ونرجع الآن إلى ذكر بلاد الجنوب . وهى الواقعة بين المشرق والمغرب إن شاء الله تعالى وهذه البلاد كلها بلاد السودان وأولها من المغرب الأقصى إلى المشرق الأقصى على حكم ربع الدائرة ، فأول بلادهم من المغرب الأقصى

(أرض مغزارة) ومن مدنها المشهورة المعظمة (أوليلى) وهى فى البحر وبها الملاحة المشهورة التى يحمل منها إلى سائر بلاد السودان .

(وصلى) وهى مدينة كبيرة على نهر النيل، وهى مجتمع السودان وأهلها ذوو بأس ونجدة وملكها مؤمن.

(وتكرور) وهى فى جنوب النيل وغربيه، وهى مدينة كبيرة وبها أمم عظيمة من السودان، وهى مقر ملكهم وببلادهم معدن الذهب ويسافر إليها أهل الغرب بالصوف والنحاس والخرز والودع ولا يجلب منها إلا الذهب العين

(ولملم) وهى مدينة متوسطة وعندهم معدن الذهب وباقى أرض مغراوة صحارى وبرارى ومفاوز لا عمارة بها ولا سالك لقلة الماء والمرعى وشمالها أرض غانة وجنوبها الأرض من الربع الخراب.

(وأرض نقارة) وهى شرقى أرض مغرارة، وهى أرض واسعة. ومن مدنها المشهورة (ونقرة). وهى بلاد التبر والطيب، وهى جزيرة على ضفة المحيط وطولها ثلثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلا والبحر محيط بها من جهاتها الثلاث والنيل فى زيادته يغطى أكثر هذه الجزيرة وإذا نقص الماء عنها خرج أهل تلك البلاد فيبحثون فى أرضها على التبر فيحصل لكل واحد منهم ما قسمه الله ويخرجون إلى التفتيش فقراء فيرجعون وهم أغنياء ولملكهم أرض محمية مختصة به لا يدخلها إلا أجناده فيجمعون له كنوزا لا توصف فيأتون به إلى مدينة سلجماسة من الغرب فيضربونه دنانير ولذلك أهل سلجماسة جميعهم أغنياء بتلك الواسطة.

(وسمقارة) وهى مدينة متوسطة وفى شمالها قوم يقال لهم مقامة برابر رحالة لا يقيمون فى موضع ويرعون جمالهم وأبقارهم على ساحل نهر يأتى من جهة المشرق يصب فى النيل ومعاشهم من اللحم واللبن والسمك.

(وغينارة) وهى مدينة على ضفة النيل وعليها خندق محيط بها وأهلها ذوو بأس ونجدة وهم يغيرون على بلاد لملم ويأسرون منهم ويبيعون فى البلاد

(ارض الكركر) وهى مملكة عظيمة واسعة ولها ممالك كثيرة ومدينتهم تسمى باسم إقليمهم كركرة وهى على نهر يخرج من ناحية الشمال ويجوز

عنها بأيام ويفيض في رمال فى الصحراء كما يفيض الفرات ، وبها من السودان أمم لاتحصى وملكهم عظيم كثير الجنود ولهم زى حسن وحليهم الذهب الابريز إلا العوام فان لباسهم الجلود وهى متصلة ببلاد معادن الذهب يقال إن الأرض عندهم كلها ذهب ولهم خط لا يتجاوزه من وصل إليهم من التجار ومعه متاع لكن إذا وصلوا إلى الخط وضعوا متاعهم عليه وانصرفوا فاذا كان الغد أتوا إلى أمتعتهم فيجدون عند كل متاع شيئا من الذهب فان رضى أحدهم أخذ الذهب وترك المتاع وإن لم يرض ترك المتاع والذهب إلى غد فاذا كان الغد وجد زيادة عند متاعه فان رضى رفع الذهب وترك المتاع وإن لم يرض تركه إلى ثالث يوم فمن وجد زيادة أخذ الذهب وإلا رفع متاعه وترك الذهب أو أخذ الذهب مع زيادة وهكذا يفعل تجار القرنفل فى بلادهم فى القرنفل وربما يتأخر بعض التجار بعد فراغه من البيع والمعاوضة ويضع النار فى الأرض فيسيل منها الذهب فيسرقه ويهرب فاذا فطنوا لهم خرجوا فى طلبهم فان أدركوهم قتلوهم البتة . وأرض الكركر عود ينبت يسمى عود الحية خاصيته أنه إذا وضع على جحر فيه حية خرجت مسرعة ويمسكها بيده فلا تضره أبداً .

(أرض الدهدم) يسار اليها من كركر على شاطىء البحر مغربا وهى مملكة عظيمة ولها ممالك كثيرة وجنود ذوو شدة ونجدة وتحت يد ملكهم ملوك ، وفى مملكته قلعة عليها سور وفى أعلاه صورة امرأة يتألهون لها ويعبدونها ويحجون اليها وهم أمة كالبهائم مهملون فى أديانهم وكلهم عريان يأكل بعضهم بعضاً .

(أرض غانة) وهى شمال أرض مغرارة وهى مدينة سميت باسم إقليمها وهى أكبر بلاد السودان وأوسعها شجراً وهم فى سعة من المال وهى مدينتان فى ضفة النيل ويقصدها التجار من سائر البلاد وأرضها كلها ذهب ظاهر ولهم فى النيل زوارق عظيمة . أهلها يستخرجون الذهب يصنعونه كاللبن ويسافر إليها التجار من سلجماسة فى مفازة نحو اثنى عشر يوما لايجدون فيها الماء ويحملون

إليها التين والملح والنحاس والودع ولا يحملون منها إلا الذهب العين ولها ملك ضخم فى جنود وعدد ، وله ممالك عديدة فيها ملوك من تحت يده وله قصر عظيم على النيل وفى قصره تبرة واحدة من ذهب كالصخرة العظيمة وهى خلقة الله وفيها ثقب كالمربط وهو مربط فرس الملك ويقال إن ملكها مسلم .

(أرض قمندوية) وهى شمال أرض مغرارة متصلة بالمحيط وشرقيها صحراء ينسر وبهذه الصحراء حيات طوال القدود غلاظ الأجسام فى غلظ الخروف السمين وطول الرمح وأطول وأقصر يصيدها ملوك السودان ويسلخونها ويطبخونها بالملح والشيح ويأكلونها وبها جبل قابان وهو عال جداً يقال إن السحاب يمر دونه وليس به شىء من النبات وفيه أحجار لماعة إذا طلعت الشمس عليها تكاد أن تخطف الأبصار وليس لأحد سبيل إلى الوصول إلى ذروته ولا سفحه لأنه مزحلق وفى أسفله عيون عذبة كأن مياهها قد مزجت بالعسل .

(أرض الكانم) وهى أرض منبسطة واسعة على شاطىء النيل وأهلها مسلمون إلا القليل منهم وهم على مذهب مالك رضى الله عنه .

(أرض النوبة) أرض واسعة وإقليم كبير ومسيرة مملكتهم ثلاثة أشهر وهى فى حدود مصر وكثيرا ما يغزوهم عسكر مصر ويقال إن لقمان الحكيم الذى كان مع داود عليه الصلاة والسلام وهو المذكور فى القرآن العظيم من النوبة وأنه ولد بأيلة ومنها ذو النون المصرى رضى الله عنه وبلال بن حمامة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤذنه وعندهم معدن الذهب ودينهم النصرانية وملكهم ملك جليل كثير الجنود وهم فرقتان فرقة يقال لها علوة ومدينتهم العظمى (ويلولة) وهى مدينة عظيمة وبها من السودان أمم لا تحصى والفرقة الأخرى يقال لها النوبة ومدينتهم العظمى (دنقلة) وهى مثل ويلولة على ضفة النيل من غربيه وأهلها أحسن السودان وجوها وأعدلها شكلا وفى بلادهم الفيلة والزرافات والقرود والغزلان ومن مدن النوبة المشهورة (نوابية) ويقال لها نوبة وهى مدينة وسط وبينها وبين النيل أربعة

أيام وشرب أهلها من الآبار وفي نساء هذه المدينة الجمال الفائق والحسن الكامل ولهم حسن النطق وحلاوة اللفظ وطيب النغمة ، وليس فى سائر السودان من شعورهم مسبلة غيرهم وبعض الهنود وبعض الحبوش لاغير وقيمة الجارية الحسناء منهن ثلثمائة دينار وما فوقها .

وحكى : أنه كان عند الوزير أبى الحسن المعروف بالمصحفى جارية منهن لم ير أكمل منها قداً ولا أحسن خلقاً ولا أملح شكلا ولا أنعم جسما ولا أحلى منطقا ولا أتم محاسن وكانت اذا تكلمت سحرت الألباب بمنطقها وحلاوة ألفاظها فاشتراها الصاحب بن عباد منه بأربعمائة دينار وأحبها حباً عظيماً ومدحها فى بعض أشعاره وقيل عنه أنه قبل مشتراها كانت همته قد ذهبت وشهوته انقطعت فلما اشتراها وضاجعها انبعثت شهوته ونهضت همته وتراجعت قوته لطيب ماوجد عندها .

(وطرمى) وهى مدينة كبيرة على البطيحة التى يجتمع بها ماء النيل وعلى ضفة هذه البطيحة صنم كبيرمن حجر رافع يده إلى صدره يقال إنه كان رجلا ظالما فمسخ حجراً .

(ويلاق) وهى مدينة كبيرة وهى مجتمع تجار النوبة وتجار الحبشة ومن ويلاق إلى جبل الجنادل ستة أيام وإلى هذا الجبل تصل مراكب مصر والسودان .

(الحبشة) وبلادهم تقابل بلاد الحجاز وبينهم البحر وأكثرهم نصارى وهى أرض طويلة عريضة مادة من شرقى النوبة إلى جنوبها وهم الذين ملكوا اليمن قبل الاسلام فى أيام الأكاسرة وخصيان الحبشة أفضل الخصيان وفى نسائهم أيضا جمال وحلاوة وحسن نغمة . ومن مدنها المشهورة (كعبر) وهى مدينتها العظمى وهى دار مملكة النجاشى رحمه الله تعالى وبها من شجر الموز كثير وأهل تلك البلاد لا يأكلون الموز ولا الدجاج أصلا .

(أرض الزيلع) وهى تجاور الحبشة من الجنوب وهم أمم عظيمة

والغالب عليهم دين الاسلام والصلاح والانقياد إلى الخير .

(أرض البجة) وأهلها تجاور الحبشة من الشمال وهى بين الحبشة والنوبة وهم شديدو السواد عراة الأجساد يعبدون الأوثان ولهم عدة ممالك وهم أهل أنس وحسن وتلطف مع التجار وفى بلادهم معدن الذهب وليس بأرضهم قرى ولا خصب وإنما هى بادية جدبة تصعد التجار منها إلى وادى العلاقى وهو واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع وفيه آبار عذبة يشربون منها ومعدن الذهب عندهم متوسط فى صحراء لاجبل حوله بل رماله لينة وسباسب سيالة فاذا كان أول ليالى الشهر العربى خاض الطلاب فى تلك الرمال فينظرون التبر يضىء بين الرمل ويعلمون مواضعه ويصبحون فيجىء كل منهم إلى الكوم الرمل الذى علمه فيحمله على هجينه ويمضى إلى آبار فيغسله ويصوله ويستخرج منه التبر ويلغمه بالزئبق ثم يسبكه فى البوادق فمن ذلك بلاغهم ومعاشهم وقد انضاف إليهم جماعة من العرب من ربيعة بن نزار وتزوجوا منهم .

(عيذاب) وما يتصل بها من الصحراء المنسوبة إلى عيذاب وليس لها طريق معروفة إلا رمال سيالة ولا يستدل عليها إلا بالجبال والكمدى وربما أخطأها الدليل وهو ماهر وعيذاب مدينة حسنة وهى مجمع التجار براً وبحراً وأهلها يتعاملون بالدراهم عدداً ولا يعرفون الوزن وبها وال من قبل البجة ووال من قبل سلطان مصر يقسمان جباياتها نصفين وعلى عامل مصر القيام بطلب الأرزاق وعلى عامل البجة حمايتها من الحبشة ، واللبن والعسل والسمن بها كثير وبينها وبين الحجاز عرض البحر وبين البجة وبين النوبة قوم يقال لهم البليون أهل عزم وشجاعة يهابهم كل من حولهم من الأمم ويهادونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية .

(أرض بربرة) وهى تتصل بأرض النوبة على البحر وهى مقابلة اليمن وبها قرى غامرة متصلة وبها جبل يقال له قانونى وهو جبل له سبعة رءوس خارجة وتمتد فى البحر أربعة وأربعين ميلا وعلى رءوس هذه الجبال بلاد

صغيرة يقال لها الهاوية وبعض أهل بربرة يأكلون الضفادع والحشرات والقاذورات ويتصيدون فى البحر عوما بشباك صغار ، ويلى هذه الأرض (أرض الزنج) وهى مقابل أرض السند وبينهما عرض بحر فارس وهم أشد السودان سوادا وكلهم يعبدون الأوثان وهم أهل بأس وقساوة ويحاربون راكبين على بقر وليس فى بلادهم خيل ولا بغال ولا جمال قال المسعودى : ولقد رأيت هـــذه البقرة تبرك كما تبرك الجمال ويحملونها وتثور كالجمال ومساكنهم من حد الخليج المنصب إلى سفالة الذهب .

(وواق الواق) وأرضهم واسعة وقراهم عامرة وكل قرية على خور وهى أرض كثيرة الذهب والخصب والعجائب ولا يوجد البرد عندهم أصلا ولا المطر وكذلك غالب بلاد السودان وليس لهم مراكب بل تدخل إليهم المراكب من عمان والتجار يشترون أولادهم بالتمر ويبيعونهم فى البلاد وأهل بلاد الزنج كثيرون فى العدد قليلون فى العدد ويقال إن ملكهم يركب فى ثلثمائة ألف راكب كلهم على البقر والنيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم وأكثرهم يحددون أسنانهم ويبردونها حتى ترق ويبيعون أنياب الفيلة وجلود النمور والحديد ولهم جزائر يخرجون منها الودع ويتحلون به ويبيعونه فيما بينهم بثمن له قيمة ولهم ممالك واسعة .

(أرض الدمادم) وبلادهم على النيل مجاورة للزنج والدمادم هم تتر السودان يخرجون عليهم كل وقت فيقتلون ويأسرون وينهبون وهم مهملون فى أمر أديانهم وفى بلادهم الزرافات كثيرة ومنها يفترق النيل إلى أرض مصر وإلى جهة الزنج .

(أرض سفالة الذهب) وهى تجاور أرض الزنج من المشرق وهى أرض واسعة وبها جبال فيها معادن الحديد يستخرجه أهل تلك البلاد والهنود تأتى اليهم ويشترون منهم ذلك بأوفر ثمن مع أن فى بلاد الهنود معادن الحديد لكن معادن سفالة أطيب وأصح وأرطب ، والهنود يصفونه فيصير

فولاذا قاطعا وبهذه البلاد معادن لضرب السيوف الهندية وغيرها .

ومن عجائب أرض سفالة أن بها التبر الكثير ظاهراً زنة كل تبرة مثقالان وثلاثه وأكثر . وهم مع ذلك لايتحلون إلا بالنحاس ويفضلونه على الذهب وأرض سفالة متصلة بأرض واق الواق

(أرض الحجاز) وهى تقابل أرض الحبشة وبينهما عرض البحر . ومن مدنها المشهورة (مكة المشرفة) وهى مدينة قديمة . روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب « البهجة » قصة بناء البيت الحرام قال وهو حرم مكة وكعبة الاسلام وقبلة المؤمنين والحج إليه أحد أركان الدين .

واختلف العلماء فى ابتداء بناء البيت الحرام على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الله تعالى وضعه ليس ببناء أحد ثم فى زمان وضعه إياه قولان : أحدهما قبل خلق آدم عليه السلام . قال أبو هريرة رضى الله عنه : وكانت الكعبة خشفة على الماء وعليها ملكان يسبحان الله تعالى الليل والنهار قبل خلق الأرض بألفى عام والخشفة الأكمة الحمراء قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما كان عرش الرحمن على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض بعث الله ريحاً فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة فى موضع البيت كأنها قبة فدحا الأرض من تحتها . وقال مجاهد : لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفى عام وإن قواعده لفى الأرض السابعة السفلى . قال كعب الأحبار رضى الله عنه كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الأرض والسموات بأربعين سنة .

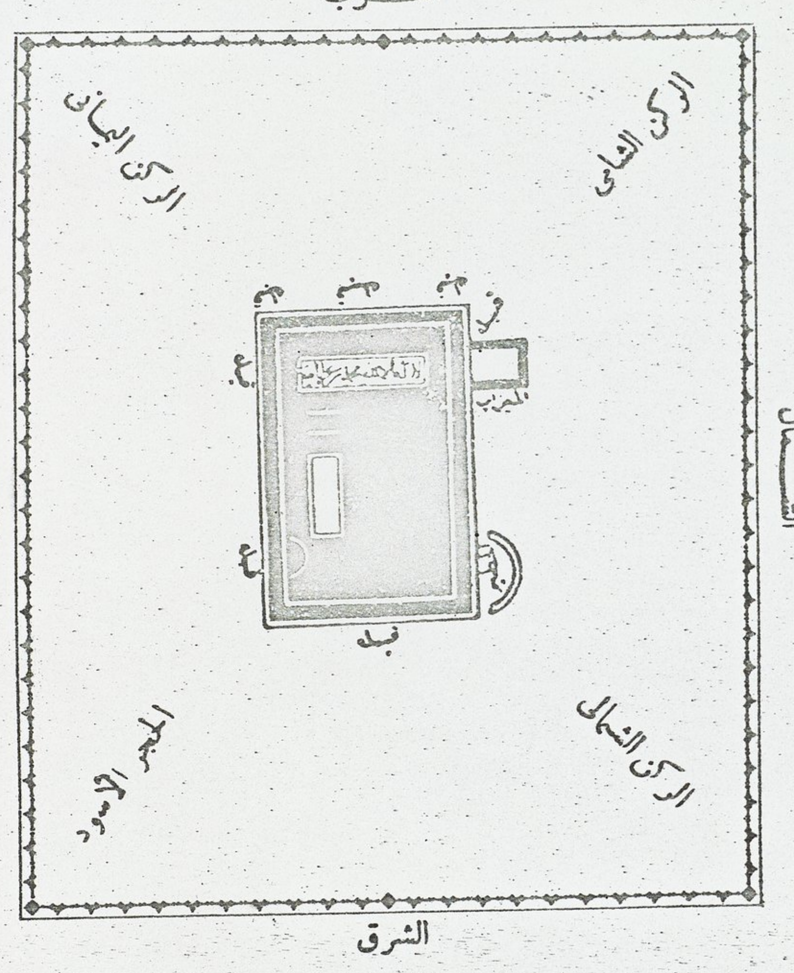
وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فلما هبط آدم إلى الأرض أنزل الله عليه الحجر الأسود فأخذه فضمه إليه استئناساً به وحج آدم فقالت له الملائكة لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى

عام فقال آدم رب اجعل له عماراً من ذريتى فأوحي الله تعالى إليه : إنى معمره ببناء نبي من ذريتك اسمه ابراهيم » .

القول الثانى : أن الملائكة بنته قال أبو جعفر الباقر رضى الله عنه لما قالت الملائكة ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ غضب الرب عز وجل عليهم فلاذوا بالعرش مستجيرين يطوفون حوله يسترضون رب العالمين فرضى سبحانه وتعالى عنهم فقال عز وجل ابنوا لى بيتا فى الأرض يعوذ به كل من سخطت عليه كما فعلتم أنتم بعرشى .

القول الثالث : أن آدم لما أهبط من الجنة أوحى الله إليه أن ابن لى بيتا واصنع حوله كما صنعت الملائكة حول عرشى وافعل كما رأيتهم يفعلون فبناه . رواه أبو صالح عن ابن عباس وروى عطية عنه أيضاً قال بنى آدم البيت من خمسة أجبل: لبنان ، وطورسيناء ، وطور زيتا ،والجودى، وحراء . قال وهب بن منبه لما مات آدم بناه بنوه بالطين والحجارة فنسفه الغرق . قال مجاهد : وكان موضعه بعد الغرق أكمة حمراء لاتعلوها السيول وكان يأتيها المظلوم ، ويدعو عندها المكروب . قال عزوجل ﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ وهما أول من بنى البيت بعد الطوفان على القواعد الأزلية الأولية ، فنسب بناء البيت إلى ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ هذه صورة الكعبة المشرفة ﴾



﴿ تأمل كل إقليم وعملكته ﴾

هذه صفة الأروقة والأساطين
المحيطة بالحرم
الشريف

في هذا الركن مأذنة باب العمرة

في هذا الركن مأذنة باب حزورة

وعدة الأساطين أربعمائة وثمانية
وأربعون والأبواب ثمانية وثلاثون
(نقلت من نسخة منقولة من وضع الشيخ
العلامة عز الدين بن جماعة رحمه الله)

في هذا الركن مأذنة باب السلام

في هذا الركن مأذنة باب علي

وزيادة دار الندوة المشهورة الآن بزيادة على وليس على بن أبي طالب رضي الله عنه

باب السلام || باب النبي عليه السلام || باب العباس || باب علي ||

باب مباذات || باب البغلة || باب الصفا || باب أجياد || باب الرحمة || باب عبد الله || باب أم هانئ ||

(يثرب) وهى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ودار هجرته الشريفة ، وبها قبره صلى الله عليه وسلم وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة ، وهى مدينة فى غاية الحسن في مستوى من الأرض وعليها سور قديم وحولها نخل كثير وثمرها فى غاية الطيب والحلاوة ولها مخاليف وحصون . منها وادى العقيق . وبها نخل ومزارع وقبائل عرب . ووادى الصفراء : وبه نخل ومزارع أيضا وقبائل من العرب والبقيع كذلك . ووادى القرى : وهو حصين بين الجبال وبه بيوت منقورة فى الصخر وتسمى تلك النواحى الأثالب ، وبها كانت ثمود ، وبها الآن بئر ثمود . ودومة الجندل : وهو حصن منيع . وتبوك : وهى قرية حسنة ولها حصن من حجر . وفدك : كانت خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم . ومدين : مقر شعيب عليه السلام .

(أرض نجد) وهى أرض عظيمة واسعة كثيرة الخير ، وهى بين الحجاز واليمن ، وبها مياه جارية وثمار وأشجار فى غاية الرخص .

(وأما أرض اليمن) وهى تقابل أرض البربر وأرض الزنج وبينهما عرض البحر واليمن على ساحل بحر القلزم من الغرب ، وكان بين هذا البحر وأرض اليمن جبل يحول بينها وبين الماء ، وكان بين اليمن والبحر مسافة بعيدة فقطع بعض الملوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجا فيهلك بعض أعدائه وأطلق البحر فى أرض اليمن فاستولى على ممالك عظيمة ومدن كثيرة وأهلك أمما عظيمة لا تحصى وصار بحرا هائلا . ومن مدنها المشهورة زبيد . وهى مدينة كبيرة عامرة على نهر صغير ، وهى مجتمع التجار من أرض الحجاز والحبشة وأرض العراق ومصر ، ولها جبايات كثيرة على الصادر والوارد .

(وصنعاء) وهى مدينة متصلة العمارات كثيرة الخيرات معتدلة الهواء والحر والبرد وليس فى بلاد اليمن أقدم منها عهدا ولا أوسع قطرا ولا أكثر خلقا ، وبها قصر غمدان المشهور وهو على نهر صغير يأتى إليها من جبال هناك . وشمالى صنعاء جبل يقال له جبل المدخير وعلوه ستون ميلا وبه مياه

جارية وأشجار وثمار ومزارع كثيرة ، وبها من الورس والزعفران كثير جدا .

(عدن) وهى مدينة لطيفة وإنما شهر اسمها لأنها مرسى البحرين ، ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين وإليها تجلب بضائع هذه الأقاليم من الحرير والسيوف والكيمخت والمسك والعود والسروج والأمتعة والأهليلجات والجرارات والعطريات والطيب والعاج والآبنوس والحلل والثياب المتخذة من الحشيش الذى يفخر على الحرير والديباج والقصدير والرصاص واللؤلؤ والحجارة المثمنة والزباد والعنبر إلى ما لا نهاية لذكره ويحيط بها من شمالها جبل دائر من البحر إلى البحر وفى طرفيه بابان يدخل منهما ويخرج وبينهما وبين إليانس مدينة الزنج مسيرة أربعة أيام .

(تهامة) وهى قطعة من اليمن بين الحجاز واليمن ، وهى جبال مشتبكة حدها من الغرب بحر القلزم ومن الشرق جبال متصلة وكذلك من الجنوب الشمالى وبأرض تهامة قبائل العرب ومن مدنها المشهورة هجر .

(أرض حضرموت) وهى شرقى اليمن ، وهى بلاد أصحاب الرس وكانت لهم مدينة اسمها الرس سميت باسم نهرها . ومن مدن أرض حضرموت المشهورة (سبأ) التى ذكرها الله تعالى فى القرآن وكانت مدينة عظيمة ، وكان بها طوائف من أهل اليمن (وعمان) وتسمى مدينة مأرب وهو اسم ملك تلك البلاد ، وبهذه المدينة كان السد الذى أرسل الله إليه سيل العرم .

وكان من حديثه أن امرأة كاهنة رأت فى منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرقت كل ما وقعت عليه فأخبرت زوجها بذلك ، وكان يسمى عمرا فذهب إلى سد مأرب فوجد الجرذ وهو الفأر يقلب برجليه حجرا لايقلبه خمسون رجلا فراعه ما رأى وعلم أنه لابد من كائنة تنزل بتلك الأرض فرجع وباع جميع ما كان له بأرض مأرب وخرج هو وأهله وولده ، فأرسل الله تعالى الجرذ على أهل السد الذى يحول

بينهم وبين الماء فأغرقهم وهو سيل العرم فهدم السد وخرج إلى تلك الأرض فأغرقها كلها وهذا السد بناه لقمان الأكبر بن عاد بناه بالصخر والرصاص فرسخا فى فرسخ ليحول بينهم وبين الماء وجعل فيه أبوابا ليأخذوا من مائه بقدر ما يحتاجون إليه ، وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن مسيرة ستة أشهر متصلة العمائر والبساتين ، وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض وإذا أرادت المرأة الثمار وضعت على رأسها مكتلها وخرجت تمشى بين تلك الأشجار وهى تغزل فما ترجع إلا والمكتل ملآن من الثمار التى بخاطرها من غير أن تمس شيئا بيدها ألبتة ، وكانت أرضهم خالية من الهوام والحشرات وغيرها فلا توجد فيها حية ولا عقرب ولا بعوض ولا ذباب ولا قمل ولا براغيث ، وإذا دخل الغريب فى أرضهم وفى ثيابه شىء من القمل أو البراغيث هلك من الوقت والحين وذهب ما كان فى ثيابه من ذلك بقدرة القادر ، وأذهب الله تعالى جميع ما كانوا فيه من النعيم الذى ذكره فى كتابه العزيز ولم يبق بأرضهم إلا الخمط والأثل وهو الطرفاء والأراك وشىء من سدر قليل وقد قال الله تعالى : ﴿ وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط ﴾ الآية وذلك بأنهم كفروا بنعمة الله تعالى وجحدوها فنزل بهم ما نزل من العذاب قال الله جلّ ذكره : ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور﴾ وسبأ الآن خراب ، وكان بها قصر سليمان بن داود عليهما السلام وقصر بلقيس زوجته ، وهى ملكة تلك الأرض التى تزوجها سليمان وقصتها مشهورة وبأرضها جبل منيع صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلا بالجهد العظيم وفى أعلاه قرى كثيرة عامرة وبساتين وفواكه ونخل مثمر وخصب كثير وبهذا الجبل أحجار العقيق وأحجار الجمشت وأحجار الجزع وهى مغشاة بأغشية ترابية لا يعرفها إلا طالبها والعارف بها ولهم فى معرفتها علامات ، فتصقل فيظهر حسنها .

(الأحقاف) هى التلال من الرمل التى بين حضرموت وعمان وهى قرى متفرقة .

وروى عن عبد الله بن قلابة رضى الله عنه ، أنه خرج فى طلب إبل له شردت ، فبينما هو فى صحارى بلاد اليمن وأرض سبأ إذ وقع على مدينة عظيمة بوسطها حصن عظيم وحوله قصور شاهقة فى الجو ، فلما دنا منها ظن أن بها سكانا أو أناسا يسألهم عن إبله فاذا هى قفر ليس بها أنيس ولا حسيس ، قال فنزلت عن ناقتى وعقلتها ثم استللت سيفى ودخلت المدينة ودنوت من الحصن فاذا ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا مثلهما فى العظم والارتفاع وفيهما نجوم مرصعة من ياقوت أبيض وأصفر يضىء بها ما بين الحصن والمدينة ، فلما رأيت ذلك تعجبت منه وتعاظمنى الأمر فدخلت الحصن وأنا مرعوب ذاهب اللب وإذا الحصن كمدينة فى السعة وبه قصور شاهقة وكل قصر منها معقود على عمد من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف أيضا وكلها مبنية بالذهب والفضة مرصعة باليواقيت الملونة والزبرجد واللؤلؤ ومصاريع تلك القصور كمصاريع الحصن فى الحسن والترصيع وقد فرشت أراضيها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران ، فلما عاينت ما عاينت من ذلك ولم أر مخلوقا كدت أن أصعق فنظرت من أعالى الغرف فاذا بأشجار على حافات أنهار تخترق أزقتها وشوارعها منها ما أثمرت ومنها ما لم تثمر وحافات الأنهار مبنية بلبن من فضة وذهب فقلت لا شك أن هذه الجنة الموعود بها فى الآخرة فحملت من تلك البنادق واللؤلؤ ما أمكن وعدت إلى بلادى وأعلمت الناس بذلك فبلغ الخبر معاوية ابن أبى سفيان وهو الخليفة يومئذ بالشام فكتب إلى عامله بصنعاء أن يجهزنى إليه فوفدت عليه فاستخبرنى عما سمع من أمرى فأخبرته فأنكر معاوية اخبارى فأظهرت له من ذلك اللؤلؤ وقد اصفر وتغير وكذلك بنادق العنبر والزعفران والمسك ففتحها فاذا فيها بعض رائحة فبعث معاوية رضى الله عنه إلى كعب الأحبار ، فلما حضر قال له يا كعب إنى دعوتك لأمر أنا من تحقيقه على قلق ورجوت أن يكون علمه عندك ، فقال ما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال

معاوية : هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية من ذهب وفضة عمدها من زبرجد وياقوت حصباؤها لؤلؤ وبنادق مسك وعنبر وزعفران ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين. هى إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، بناها شداد ابن عاد الأكبر ، قال معاوية : حدثنا من حديثها . قال كعب : إن عادا الأول كان له ولدان شديد وشداد ، فلما هلك ملكا بعده البلاد ولم يبق أحد من ملوك الأرض إلا دخل فى طاعتهما ، فمات شديد بن عاد فملك شداد الملك بعده على الانفراد ، وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة ، وكلما مر به ذكر الجنة وما فيها من القصور والأشجار والثمار وغيرها مما فى الجنة دعته نفسه أن يبنى مثلها فى الدنيا عتوا على الله عز وجل فأمر على ابتنائها ووضعها مائة ملك تحت يد كل ملك ألف قهرمان ، ثم قال لهم انطلقوا إلى أطيب فلاة فى الأرض وأوسعها فابنوا لى مدينة من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ولؤلؤ واجعلوا تحت عقود تلك المدينة أعمدة من زبرجد وأعاليها قصورا وفوق القصور غرفا مبنية من الذهب والفضة واغرسوا تحت تلك القصور فى أزقتها وشوارعها أصناف الأشجار المختلفة الثمار وأجروا تحتها الأنهار فى قنوات الذهب والفضة النضار فانى أسمع فى الكتب القديمة والأسفار صفة الجنة فى الآخرة والعقبي وأنا أحب أن أجعل لى مثلها فى الدنيا ، فقالوا بأجمعهم كيف نقدر على ما وصفت وكيف لنا بالزبرجد والياقوت الذى ذكرت ؟ فقال لهم ألستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها لى وبيدى وكل من فيها طوع أمرى ، قالوا نعم نعلم ذلك ، قال فانطلقوا إلى معادن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والفضة والذهب فاستخرجوها واحتفروا مابها ولا تبقوا مجهودا فى ذلك ومع ذلك فخذوا مافى أيدى العالم من أصناف ذلك ولا تبقوا ولا تذروا واحذروا وأنذروا وكتب كتبه إلى كل ملك فى الدنيا وجهاتها وأقطارها يأمرهم فيها أن يجمعوا ما فى بلادهم من أصناف ما ذكر وأن يحتفروا معادنها ويستخرجوها من التراب والصخور والمعادن والأحجار وقعور البحار ،

فجمعوا ذلك فى عشر سنين وكان عدد الملوك المبتلين بجمع ذلك ثلثمائة وستين ملكا ، وخرج المهندسون والحكماء والفعلة والصناع من سائر البلاد والبقاع وتبددوا فى البرارى والقفار والجهات والأقطار حتى وقفوا على صحراء عظيمة فيحاء نقية خالية من الآكام والجبال والأودية والتلال وإذا فيها عيون مطردة وأنهار متجعدة فقالوا هذه صفة الأرض التى أمرنا بها ونبذنا إليها فاختطوا بفنائها بقدر ما أمرهم به شداد ملك الأرض من الطول والعرض وأجروا فيها قنوات الأنهار ووضعوا أساسات على المقدار وأرسلت إليهم ملوك الأقطار بالجواهر والأحجار واللؤلؤ الكبار والعقيان النضار على الجمال فى البرارى والقفار وفى البحور أوسقوا بها السفن الكبار ووصل إليهم من تلك الأصناف ما لا يوصف ولا يعد ولا يحصى ولا يكيف فأقاموا فى عمل ذلك ثلثمائة سنة جدا من غير تعطيل أبدا ، وكان شدّاد قد عمر فى العمر تسعمائة سنة ، فلما فرغوا من عمل ذلك أتوه وأخبروه بالاتمام ، فقال لهم شداد : انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا منيعا شاهقا رفيعا واجعلوا حول الحصن قصورا عند كل قصر ألف غلام ليكون فى كل قصر منها وزير من وزرائى فمضوا وفعلوا ذلك فى عشر سنين ، ثم حضروا بين يدى شداد وأخبروه بحصول القصد والمراد ، فأمر وزراءه وهم ألف وزير وأمر خاصته ومن يثق بهم من الجنود وغيرهم أن يستعدوا للرحلة ويتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد تحت ركاب ملك الدنيا شدّاد ، وأمر من أراد من نسائه وحرمه وجواريه وخدمه أن يأخذوا فى الجهاز فأقاموا فى أخذ الأهبة لذلك عشرين سنة ، ثم سار شداد بمن معه من الأحشاد مسرورا ببلوغ المراد حتى إذا بقى بينه وبين إرم ذات العماد مرحلة واحدة أرسل الله عليه وعلى من معه من الأمة الكافرة الجاحدة صيحة من سماء قدرته فأهلكتهم جميعا بسوط عظمة سطوته ولم يدخل شداد ومن معه إليها ولا رأوها ولا أشرفوا عليها ومحا الله آثار طرقها ومحجتها فهى مكانها حتى الساعة على هيئتها فتعجب معاوية من

إخبار كعب بهذا الخبر وقال هل يصل إلى تلك المدينة أحد من البشر فقال نعم رجل من أصحاب محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهو بصفة هذا الرجل الجالس بلا شك ولا إيهام .

وروى الشعبي عن علماء حمير من اليمن أنه لما هلك شداد ومن معه من الصيحة ملك بعده ابنه شداد الاصغر وكان أبوه شداد الأكبر استخلفه على ملكه بأرض حضرموت وسبأ فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت وأمر فحفرت له حفيرة في مفازة فاستودعه فيها على سرير من ذهب وألقى عليه سبعين حلة منسوجة بقضبان الذهب ووضع عند رأسه لوحا عظيما من ذهب وكتب فيه هذا الشعر :

اعتبر بى أيها المغرور بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والقدرة والملك الحشيد
دان أهل الأرض لى من خوف قهرى ووعيد
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد
وبفضل الملك والعدة أيضاً والعديد
فأتى هود وكنا فى ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا منه للأمر السديد
فعصيناه وناديت ألا هل من محيد
فأتتنا صيحة تدوى من الأفق البعيد
فترامينا كزرع وسط بيداء حصيد

(قال) الثعلبي ولقد وقع على هذه المفازة أيضاً رجل من حضرموت يقال له بسطام ومعه رجل آخر ذكرا أنهما دخلا هذه المفازة فوجدا فى صدرها درجا فنزلا فيه فاذا هى مقدار مائة درجة كل درجة قامة وأسفلها أزج معقود فى الجبل طوله مائة ذراع وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع

وفى صدر الأزج سرير من ذهب وعليه رجل عظيم الجسم قد أخذ طول السرير وعرضه وعليه الحلى والحلل المنسوجة بقضبان الذهب والفضة وعلى رأسه لوح من ذهب وعليه كتابة فاخذاذلك اللوح وحملا ماأطاقا من قضبان الذهب ونظرا إلى طاقة فى أسفل الأزج يدخل منها ضوء فقصداها وخرجا منها فاذا هما على ساحل البحر فقعدا هناك إلى أن عبرت بهما مركب فأشارا إليه ولوحا لأهله فأتوا إليهما وسألوهما عن أمرهما فأخبرا بالحال فحملوهما حتى قربوا من أرضهما فوصلا وأخبرا بما اتفق لهما فتعجبوا منه .

(عمان) وأرضها مجاورة لها من أرض الشمال وهى أرض عامرة كثيرة الخلائق والبساتين والفواكه إلا أنها بلاد حارة جدا . وببلاد عمان حية تسمى العربد وتسمى السكران تنفخ ولا تؤذى فاذا أخذت وجعلت فى إناء وثيق وأوثق رأس ذلك الإناء وسد سدا محكما ووضعت فى إناء آخر ثان وأخرجت من بلاد عمان عدمت من الاناء ولا توجد فيه ولا يعرف كيف ذهبت ، وهذا من أعجب العجب . وبهذه الارض دويبة صغيرة تسمى القراد إذا عضت الانسان انتفخ مكانها ودود ولا يزال الدود يسعى فى باطن الانسان المعضوض حتى يموت ، وبجبال أرض عمان قرود كثيرة تضر بأهلها ضرراً كثيراً وربما لا تندفع فى بعض الأوقات إلا بالسلاح والعدد الكثيرة لكثرتها ، وفى أرض عمان مغاص اللؤلؤ الجيد وفى بحر عمان جزيرة قيس طولها اثنا عشر ميلا فى مثلها وصاحب هذه الجزيرة تصل مراكبه إلى بلاد الهند ويغزوهم فى غالب الأوقات ويغير على كفار الهند .

ويحكى أن عنده فى الجزيرة المذكورة على مرسى البحر من المراكب التى تسمى السفيات مائتى مركب ، وهذه المراكب من عجائب الدنيا وليس على وجه الأرض ومتن البحور مثلها أبدا وهى أن المركب الواحد منها منحوت من خشبة واحدة قطعة واحدة والمركب الواحد منها يسع مائة رجل وخمسين وبهذه الجزيرة دواب ومواش وأشجار وفواكه .

(اليمامة) هي بلاد طسم وجديس وهي بلاد الزرقاء المعروفة بزرقاء اليمامة وأخبارها مشهورة (منها) أن طسما وجديسا كانا ابني عم وهم العرب العاربة وكان الملك فى طسم دون جديس وكانت جديس أكثر من طسم وكان الملك فى طسم اسمه عمليق وكان جباراً ظالما طاغياً بلغ من طغيانه وتجبره أنه ألزم جديسا أن لا تزف بكر من بناتها إلى بعلها حتى يأتوا بها ليلا كان أو نهاراً وقت زفافها إلى عمليق حتى يفترعها ويأخذ بكارتها ثم يمضوا بها إلى زوجها العريس وفى صبيحة زفافها يعملون وليمة لعمليق ولأصحابه من طسم فمكث زمانا على هذا الحال وكان من أكابر جديس رجل يقال له الأسود وله أخت حسناء مبدعة تدعى سعاد وكانت بكراً فزوجت برجل من أولاد عمها فلما حضرت ليلة زفافها ذهبوا بها إلى عمليق فافترعها على العادة ثم خرجت من عنده ودمها ظاهر على أثوابها فنظرت فاذا أكابر جديس وأعيان قومها وأخوها الأسود جلوس فى ناحية من الحى يتشاورون فى أمر الوليمة للملك فى صبيحة تلك الليلة فما أحسوا بها إلا وهى فى وسطهم ثم مزقت أثوابها من طوقها إلى أذيالها وكشفت عن بطنها وفرجها وأظهرت دمها ونظرت يمينا وشمالا وقالت :

لا أحد أذل من جديس ... أهكذا يفعل بالعروس
يرضى بذا ياقوم بعل حر ... من بعد ما ساق وسيق المهر
يقبضه الموت إذا بنفسه ... حتفا ولا يصنع ذا بعرسه

فقام الأسود أخوها ورمى بثوبه عليها وسترها وبكى وأمر بردها إلى بيتها فلم تفعل وقالت وهى تحرض على قتل عمليق والقوم يسمعون .

أترضون ما يعزى إلى فتياتكم ... وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتمسى سعاد فى الدماء غريقة ... جهاراً وقد زفت عروسا إلى بعل
فلو أننا كنا رجالا وكنتم ... نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء لا تعب من الفحل
ودونكم طيب العروس فانما ... خلقتم لأثواب العروس وللذل

فبعدا وسحقا للذى ليس ينتخى ويختال يمشى بيننا مشية الرجل

قال فأخرجوها من بينهم ودبت فى رءوس القوم خمرة النخوة والمروءة فقاموا جميعاً إلى مكان آخر فابتدأ الأسود أخو سعاد وقال : يا إخوتاه ويابنى عماه قد رأيتم ماذا يصنع ببناتكم وأخواتكم وقد اتفق لأختى ما اتفق لمن تقدمها فما الرأى ؟ قالوا ما ترى . فقال الأسود : لو اجتمع رأيكم على واحد من بينكم ووليتموه أمركم لانكشف عنكم العار وانتصفتم من الأغيار قالوا جميعا أنت ذلك الواحد فلا مخالف ولا معاند وتحالفوا فقال ائتونى بالغنم والبقر والابل وانحروا وأكثروا من الذبح وأوقدوا النيران وعلقوا القدور ، وأشغلوا النساء بالطبخ ثم ائتونى بسيوفكم تحت ثيابكم ففعلوا فمضى بهم إلى المكان المعروف بالضيافة وكل أراضيهم رمال ، وكان من عادة عمليق أن كل بكر يفترعها يقف وليها خلف ظهره وهو جالس على السماط فى مكان الضيافة لتعلم طسم كلها من هو ولى العروس وتحققه مبالغة فى إهانته قال فدفن الأسود سيفه فى الرمل خلف مجلس عمليق وقال لقومه من جديس هكذا فافعلوا فاذا جلس الملك ووقفت خلفه وسيفى تحت قدمى فاذا اشتغل بالأكل وأخذت سيفى وضربت عنق عمليق يفعل كل منكم بمن هو فوق رأسه كما فعلت فلا يفلت أحد من القوم : فقالوا سمعاً وطاعة . فأصبح عمليق سكران ، وكذلك أعيان قومه وأتى إلى مكان الضيافة فى أعظم زينة وهم مسرورون منشرحون فلما أخذوا مجالسهم قدموا الضيافة فرأى عمليق مالم يره من كثرة الضيافة فشكر الأسود وبش له فقال واحد من قوم عمليق حين مد يده إلى الأكل : رب أكلة تمنع أكلات ، فما استتم كلامه حتى قتل عمليق ومن كان معه جالساً على الأكل وحضر الضيافة قتلة واحدة وامتلأت الجفان والمناسف بدماء القتلى . وقد قيل إنه قتل فى تلك الساعة من طسم ما يزيد عن ثمانين ألفاً وما بقى من طسم رجل إلا من غاب عن الوليمة ووضعت جديس سيوفها فيمن بقى من الرجال ونهبت وسبت وفتكت فى طسم فتكا ذريعاً

وهربت شرذمة من طسم إلى حسان بن تبع ملك حمير باليمن فاستغاثت به فأغاثها وتوجه حسان بعساكره قاصداً لجديس وإعانة لطسم. وكانت امرأة اسمها الزرقاء التي تقدم ذكرها تنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أميال فلما كان حسان فى أثناء الطريق وهو سائر بعساكره قال رجل من طسم لحسان أيها الملك أدام الله سعدك إن امرأة من جديس اسمها الزرقاء تنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أميال فربما تنظر عساكر الملك وتخبر قومها بذلك فيكيدوا لك كيداً عظيما ، فقال حسان وما الرأى عندك ؟ فقال الرأى أن نقطع الأشجار فيأخذ كل راكب أمامه شجرة فاذا رأت الزرقاء تقول لقومها إن أشجارا تسير إليكم على الخيل والنجائب فيكذبونها ويهملون أمرنا فنصبحهم ونبلغ الغرض . فاقتلعوا الأشجار وحمل كل واحد أمامه شجرة وساقوا سوقا حثيثا فرأتهم الزرقاء فقالت لقومها إنى لأرى الشجر يسير اليكم سيراً سريعاً وإنى لأرى رجلا من وراء شجرة يخصف نعلا وآخر يشرب ماء وآخر ينهش كتفا فكذبوها فصبحهم حسان بعساكره وجموعه فأبادهم قتلا وسبيا وهرب الأسود فنزل على طيء فأجاروه . وجيء بزرقاء اليمامة إلى حسان فأمر بنزع عينيها فنزعتا فاذا فيهما عروق سود مملوءة من الإثمد الجيد الخالص .

(وأما السند) فهو إقليم عظيم مجاور للبحرين غربى الهند وهو قسمان قسم على جانب البحر ويقال لتلك البلاد بلاد اللان والمسلمون غالبون على هذا القسم . ومن مدنه المشهورة : المنصورة . وهى مدينة طولها ميل فى ميل ، وبها خلق كثير وتجار كثيرون والأرزاق بها دارة ووزن درهمهم خمسة دراهم وليس بها إلا النخل والقصب وتفاح شديد الحموضة ، وهى مدينة حارة جدا وسميت هذه المدينة بالمنصورة لأن أبا جعفر المنصور الخليفة من بنى العباس بنى أربع مدن على أربع طوالع يقال إنهم لا يخربون أبدا إلا بخراب الدنيا إحداهن المنصورة هذه وبغداد بالعراق والمصيصة على بحر الشام والمرافقة بأرض الجزيرة .

(والموليان) ويقال لها المليان وهى مجاورة لبلاد الهند وهى على قدر المنصورة وتسمى فرج بيت الذهب لأن محمد بن يوسف الحجاج وجد بها فى بيت واحد أربعين بهارا من الذهب والبهار ثلثمائة وثلاثة وثلاثون منا، وبها صنم كبير تعظمه أهل الهند والسند ومن فى أراضيهم ويحجون إليه ويتصدقون عليه بأموال جمة وحلى وجواهر وله خدم ويزعمون أن لهذا الصنم مائتى ألف سنة يعبد وعيناه جوهرتان لا قيمة لهما وعلى بابه إكليل من ذهب مرصع بأنواع الجواهر الفاخرة .

(أرض الهند) أرض واسعة عظيمة فى البر والبحر والجنوب والشمال وملكهم يتصل بملك الزنج فى البحر وهى مملكة المهراج ومن عادة أهل الهند أنهم لايملكون عليهم ملكا حتى يبلغ أربعين سنة ولايكاد الملك عندهم يظهر للناس أبدا إلا نادرا فى السنة .

للهند ممالك كثيرة : فمنها مملكة المانكير واللاهوت ومملكة الفتوح وهى مملكة عظيمة واسعة ولأهلها أصنام يتوارثونها خلفا عن سلف ويزعمون أن لها مائتى ألف سنة تعبد وملكها عظيم الملك كثير الجنود كثير الفيلة وليس عند ملك من ملوك الأرض ماعنده من الفيلة ، ويقال إن على مربطه ألف فيل منها مائة فيل بيض كالقرطاس ومنها ما ارتفاعه خمسة وعشرون شبرا وقيل مات له فيل فوزن نابه الواحد فكان أربعين منا .

(ومن ممالك الهند مملكة قمار) وهى مملكة عظيمة واسعة وإليها ينسب العود والقمارى .

(ومنها مملكة صيمور) ولها ممالك غير ما ذكر نحو اثنتى عشرة مملكة .

تمت الجهة الجنوبية، ولنشرع الآن إن شاء الله تعالى فى ذكر الجهة الشمالية وبلادها من المشرق إلى المغرب .

(فأول بلاد هذه الجهة من المغرب الأقصى أرض الفرنج) وهى أمم عظيمة كثيرة لاتحصى وهم غالبون على معظم جزائر الأندلس ولهم فى بحر

الروم جزائر عظيمة مشهورة مثل جزيرة صقلية وقبرص وجزيرة أقريطس وجزيرة كشميلى والجزيرة الخضراء وعدة جزائر غيرها .

(فأما صقلية) فهى فريدة الزمان وأجمع المسافرون على تفضيلها وحسنها وعظم ملوكها وضخامة دولها وفى هـذه الجزيرة مائة وثلاثون مدينة أمهات قواعد خارجة عن القرى والضياع والرساتيق . فمن مدنها المشهورة بلزم . وهى مدينتها العظمى وكرسى السلاطين وموطن الجيوش وهى على ساحل البحر من الجانب الغربى ، وهى مدينة حسنة المبانى بديعة الإتقان وهى على قسمين قصور وربض وهى على ثلاث قصبات ، فالقصبة الوسطى تشتمل على قصور رفيعة ومنازل شامخة ومعابد وفنادق وحمامات والقصبتان الأخريان قصور سامية وأبنية عالية وأسواق ، وبها الجامع الأعظم الذى فيه من بدائع الصنعة المتقنة ومن أصناف التصاوير وأنواع التزاويق ما يعجز عن وصفه كل لسان وليس بعد جامع قرطبة أحسن منه .

(وأما الربض) فهو مدينة أخرى محدقة بالمدينة من جميع جهاتها وبه المدينة القديمة المسماة بالخالصة التى كانت سكنى السلطان والمياه بجميع جهات صقلية مخترقة والعيون بها مندفقة وبها بساتين وجنات وفرج ومتنزهات وخارج الربض نهر عباس وهو نهر عظيم وعليه أرحية كثيرة . ومن مدنها مدينة مسيتنا . وهى مدينة عظيمة وبجبلها معدن عظيم للحديد يحمل منه إلى سائر البلاد .

(ومنها أرض طبرميز) وهى مدينة عظيمة ذات قصور ومنارة وبساتين وفواكه وبها جبل يسمى بطور الآيات ، وبها معدن الذهب .

(ومنها سرقوسة) وهى مدينة عظيمة يقصدها التجار من سائر الأقطار والبحر محدق بها من جميع جهاتها والدخول إليها والخروج منها على طريق واحدة ومنها نوطس ، وهى من أرفع البلاد خصبا واسعة الديار عامرة الأقطار .

(ومنها أرض طرلنس) وهى مدينـة أزلية والبحر محيط بها من جميع

جهاتها ويوصل إليها على قنطرة ، وبها سمك يعجز الواصف عنه وبحرها يصاد المرجان وهو نبت فى أرض هذا البحر كالشجر ، وبها قنطرة عجيبة طولها ثلثمائة ذراع فى عرض عشرين ذراعا .

(جزيرة قبرص) وهى جزيرة كبيرة مقدار ستة عشر يوما ، وبها مدن كثيرة وقرى عامرة ومزارع وأنهار وأشجار وثمار ، وبهـا معادن الزاج القبرصى الذى ليس فى البلاد مثله شىء ، وبها من المواشى ما يكفى بلاد الفرنج .

(ومن مدن الفرنج المشهورة إفرنسة) وهى مدينة عظيمة مجاورة لجزيرة الأندلس وهى للفرنج كرومية للروم كرسى ملكهم ومجتمع أمرهم وبيت دياناتهم ، وبها أمم عظيمة لا تحصى كثرة .

(أرض الجلالقة) وهى شمالى الأندلس وهى أرض واسعة ، وبها أمم لا تحصى كثرة ومدن عظيمة وقرى عامرة والغالب على أهلها الجهل والحمق . ومن زيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم أبدا بل يلبسونها وسخة إلى أن تبلى ويدخل أحدهم بيت الآخر بغير إذنه وهم مهملون فى أديانهم كالبهائم بل أضل .

(أرض الباشقرد) وهى بلاد الألمان وبلاد الافرنجة ، وهى أرض كبيرة واسعة ، وبها مدن وقرى عامرة .

(أرض الكرج) وهى مجاورة لأرض خلاط آخذة إلى الخليج القسطنطينى ممتدة إلى نحو الشمال وهى أرض واسعة وبها مدن عظيمة وبلاد كثيرة وجبال شاهقة وقلاع منيعة وأرضهم فى غاية الخصب والبركة وبيت الملك عندهم محفوظ يرثه الرجال والنساء .

(أرض الروم) وهو إقليم واسع الأقطار فسيح الديار وبه مدن عامرة وضياع ورساتيق وأشجار وفواكه وثمار وبه الخير الغامر والخصب الوافر وكلها على جانبى البحر القسطنطينى ومن جهة بلاد الأرمن له أحد عشر عملا : (منها عمل حربية) ، وفيه خمسة حصون . (وعمل العصاة) ، وفيه ثلاثة حصون . (وعمل الأرسيق) ، وفيه عشرة حصون . (وعمل الأفشين) ، وفيه أربعة حصون .

(وعمل حرسنون) وفيه أربعون حصنا ، وعمل البلقان وفيه ستة عشر حصنا وهذه الأرض كانت في القديم بلاد اليونان فغلبت الروم عليها . ومن جملة أعمالها عمل كرميان وفيه ستة عشر حصنا ، (وعمل خلديه) وفيه ستة حصون ، (وعمل ميلوقية) وفيه عشرة حصون (وعمل الفنادق) وفيه ثمانية عشر حصنا .

وببلاد الروم أيضا مائة جزيرة كلها فى البحر وكلها عامرة آهلة . ومن مدن الروم المشهورة (قسطنطينية) : وهى مثلثة الشكل منها جانبان فى البحر وجانب فى البر وفيه باب الذهب وطول هذه المدينة تسعة أميال وعليها سور حصين ارتفاعه أحد وعشرون ذراعا ويحيط به سور آخر يسمى الفصيل ارتفاعه عشرة أذرع لها مائة باب أكبرها الباب المصمت وهو مموه بالذهب وبها القصر وهو من عجائب الدنيا وذلك أن فيه بديدون وهو كالدهليز إلى القصر وهو زقاق يمشي فيه بين صفين من صور مفرغة من نحاس بديع الصنعة على صور الآدميين والخيل والفيلة والسباع وغير ذلك وهى أكبر من الأشكال الموضوعة على أمثالها وبالقصر وما دار به ضروب من العجائب وفى المدينة منارة موثقة بالحديد والرصاص إذا هبت الريح مالت يمينا وشمالا وخلفا وأماما من أصلها ويوضع الخزف تحتها فتطحنه كالهباء ، وفيها أيضا منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وبها أيضا منارة قريبة من مارستانها قد ألبست جميعها من نحاس أصفر كالذهب محكم الصنعة والتخريم وعليها قبر قسطنطين بانى القسطنطينية على قبره صورة فرس من نحاس وعلى الفرس شخص على صورة قسطنطين وهو راكب وقوائم الفرس محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فهى موقوفة فى الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد المسلمين ويده اليسرى فيها كرة وهذه المنارة ترى على مسيرة يوم فى البحر ونصف يوم فى البر ويقولون إن فى يده طلسما يمنع العدو وقيل إن على الكرة مكتوبا بالرومى ملكت الدنيا حتى بقيت فى يدى مثل هذه الكرة وخرجت منها هكذا لا أملك منها شيئاً ، وبها أيضاً منارة فى سوق استبرين من الرخام

الأبيض من رأسها إلى أسفلها صور مبنية ودرابزينها قطعة واحدة من النحاس وبها طلسم إذا طلع الانسان عليها نظر إلى سائر المدينة وبها قنطرة وهى من عجائب الدنيا سعتها يعجز الواصف عن ذكرها حتى يخرج الواصف إلى حد التكذيب وبها من النقوش ما لا يحده وصف .

(رومية الكبرى) مدينة عظيمة دورها أيضا تسعة أميال كالقسطنطينية ولها أسوار محكمة لها سوران منيعان من حجر عرض كل سور منهما وسمكه مقدار معين فأحدهما وهو الداخلى المحيط بالمدينة عرضه أحد عشر ذراعا وارتفاعه اثنان وسبعون ذراعا وهناك أسطوانات من نحاس أصفر وقواعدها ورؤوسها مفرغ منها وبها نهر يشقها وهذا النهر كله مفروش ببلاط من نحاس كهيئة اللبن الكبار وداخل المدينة كنيسة عظيمة طولها ثلثمائة ذراع وارتفاعها ثلثمائة ذراع وأركانها من نحاس مفرغ مغطى كلها بالنحاس الأصفر. وبرومية ألف ومائة كنيسة وجميع شوارعها وأسواقها مفروشة بالرخام الأبيض والأزرق ، وبها ألف حمام وألف فندق وبها كنيسة هائلة بنيت على هيئة بيت المقدس وبها مذبح ظهره كله مرصع بالزمرذ الأخضر وعلى هذا المذبح تمثال من الذهب الابريز طوله ذراع ونصف ذراع بالرشاشي يكون سبعة أذرع ونصف ذراع بذراعنا المعهود ، وعيناه من ياقوت أحمر ولهذه الكنيسة مائة باب منها أبواب عشرة مصفحة بالذهب وباقيها مصفحة بالنحاس المحكم وبها قصر الملك المسمى البابا وهو قصر عظيم أجمع المسافرون على أنه لم يبن مثله على وجه الأرض ورومية أكبر من أن يحاط بوصفها ومحاسنها ولها مدن قواعد مشهورة . منها قشمير : وهى مدينة كبيرة تشبه رومية فى الحسن والبنيان ويقال إنها مدينة أهل الكهف .

(وأما أصحاب أهل الكهف) فهم فى كهف فى رستاق بين عمورية ونيقة وهم فى جبل عال علوه نحو ألف ذراع وله سرب من وجه الأرض كالمدرج

يتعدى إلى الموضع الذى هم فيه . وفى أعلى الجبل كهف يشبه البئر ينزل منه إلى باب السرب ويمشى فيه مقدار ثلثمائة خطوة ثم يفضى إلى ضوء هناك فيه رواق على أساطين منقورة فيها عدة بيوت ، منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامة وعليه باب من حجر وفيه أصحاب الكهف وهم سبعة نيام على جنوبهم ، وأجسادهم مطلية بالصبر والكافور ، وعند أرجلهم كلب راقد مستدير رأسه عند ذنبه ولم يبق منه إلا رأسه وعجزه وفقار الظهر ووهم أهل الأندلس فى أصحاب الكهف حيث زعموا أنهم الشهداء الذين فى مدينة لوشة قال بعض الثقات لقد رأيت القوم وكلبهم فى هذا الكهف بين عمورية ونيقة سنة عشر وخمسمائة .

(القرم) مدينة عظيمة بها أسواق ومساجد وفنادق وحمامات وهى فرضة مملكة الترك وما حولها وبها اللحم والسمك والعسل واللبن كثير جداً وبيوتها غالبها خشب .

وأما ما على البحر النيطشى من بلاد الروم فمدن عظيمة مثل اطرابزنده وجزيرية وقاية وقمانية السوداء وسميت بذلك لأن لها نهراً يدخل فى شعب جبل وماؤه أبيض كالزلال ويخرج منه أسود كالدخان . وقمانية البيضاء وتسمى مطلوقة وماطرخا وروسية والأرديس وقلبسين ، وكلها مدن عظام قواعد بلاد الروم وبين أرديس وحصن زياد شجرة عظيمة لا يعرف أحد ماهى وما اسمها ولها حمل يشبه اللوز ، ويؤكل بقشره وهو أحلى من العسل .

(أرض الصقالبة) وهى أرض كبيرة واسعة فى ناحية الشمال وبها مدن وقرى ومزارع ، ولهم بحر حلو يجرى من ناحية المغرب إلى المشرق ونهر آخر يجرى من ناحية البلغار وليس لهم بحر ملح ، لأن بلادهم بعيدة عن الشمس ولهم على البحر مدن وبلاد وقلاع منيعة .

(أرض الجنوية) وهى أرض واسعة وبها مدن وبلادهم غربى قسطنطينية على بحر الروم . ومن مدنهم المشهورة (جنوة) وهى مدينة حصينة ذات أسوار وأبواب حديد وبها أمم عظيمة لا تحصى .

(أرض البنادقة) وهى إقليم عظيم ومدينتهم العظمى تسمى بندقية وهى على خليج يخرج من بحر الروم ويمتد نحو سبعمائة ميل فى جهة الشمال وهى قريبة من جنوة بينها وبين جنوة فى البر ثمانية أيام وأما فى البحر فبينهما أمد بعيداً كثرمن شهرين . والبندقية مقرخليفتهم واسمه البابا وهى شمال الأندلس ومدنهم كلها على جانبى الخليج البندقى وهى مدن وقرى عامرة ورساتيق .

(أرض برجان) وهى أرض عظيمة واسعة وبها من البرجان أمم لا تحصى وهى أمة طاغية قاسية وبلادهم واغلة فى الشمال .

(الباب والأبواب) وهى شمالى أرض الفرس .

(أما الباب) فبناها أنوشروان على بحر الخزر وبها بساتين وفواكه وبها مرسى الخزر وغيره وعليها سلسلة تمنع الداخل والخارج .

(وأما الأبواب) فهى شعاب فى جبل القبق واسم هذا الجبل فى كتب التواريخ القديمة جبل الفتح وفيها حصون كثيرة : منها باب صول وباب اللان وباب السابران وباب الأزقة وباب سجسجى وباب صاحب السرير وباب فيلان شاه وباب كازويان وباب إيران شاه وباب اليان شاه وجبل الفتح هذا المذكور هو جبل عظيم شامخ وزعم أبو الحسن المسعودى أن فيه ثلثمائة بلد كل بلد لأهل لسان لا يشبه الآخر قال الجواليقى وكنت أنكره حتى تحققته وهذا الجبل فيه كثير من الممالك فمنها : مملكة شروان شاه وهى مملكة واسعة لها إقليم ومدن وقرى وعمارات .

(ومنها مملكة السكز) وهى مملكة واسعة ذات أقاليم ومدن وقرى وعمارات وأمم عظيمة جبارة كفار لا ينقادون لأحد ، ومملكة لايذان شاه ، ومملكة الموقانية ومملكة الدودانية وأهلها أخبث العالم ، ومملكة طبرستان ، ومملكة حيدان ، ومملكة عتيق ، ومملكة دزنكوان ومملكة الجندخ ويقال إن لهذه المملكة اثنى عشر ألف قرية ، ومملكة اللان ومملكة الابجاز ، ومملكة الخرزية ، ومملكة الصطحا وهم قوم جبارون طغاة لاينقادون لأحد ، ومملكة الضاربة ، ومملكة شكى وهى منفردة فى آخر هذا الجبل ،

ومملكة الصعاليك ، ومملكة كشك ويقال إن أهل هذه المملكة ليس فى الممالك أحسن من رجالهم ولا من نسائهم ولا أكمل محاسن ولا أجمل أوصافا ولا أطيب خلوة ولا مضاجعة لنسائها من الحسن والتيه والصلف واللذة الزائدة الوصف التى لم توجد فى سائر نساء الدنيا ويبلغ الرجل منهم سن المائة وقوته فى نفسه وفى مجامعته باقية وإذا جامع الواحد منهم امرأته فانه ينسى الدنيا وما فيها إلى أن ينفصل عن المجامعة ، ونساؤها إذا بلغت المرأة خمسين سنة أو ستين أو سبعين فلا تتغير محاسنها عما كانت عليه وهى ابنة عشرين سنة فسبحان الخالق البارىء المصور الفتاح الرزاق . ومملكة السبع بلدان ، ومملكة إرم ، وفى هذا الجبل صحراء كالكف نحوا من مائة ميل بين جبال أربعة ذاهبة فى الهواء وفى وسط هذه الصحراء دائرة منقورة كأنها قد خطت ببيكار منحوتة من حجر صلد استدارتها خمسون ميلا قطعها قائم كأنه حائط مبنى بعد قعرها نحو من ستة أميال بالتقريب لا سبيل إلى الوصول إلى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران عظيمة فى جهات مختلفة ويرى بها أنهار مادة ولكن كرقة الأصابع ويرى فيها بالنهار وقت الظهيرة أناس لطاف الأجسام جدا كالذباب ويرى فيها دواب كالنمل ولا يعلم من البشر هم أم من غيرهم ولا يزال الضباب عليها والأبخرة تتصاعد منها وعند الله علمها .

ومن وراء تلك الدائرة دائرة أخرى صغيرة قريبة القعر فيها آجام وغياض وفيها نوع من القرود منتصبات القامات والقدود مدورات الوجوه كالآدميين إلا أنهم ذوو شعور وهم فى غاية الفهم والذكاء وإذا وقع القرد الواحد منهم لأحد من تلك الأرض حمله إلى من شاء من الملوك فيحصل له بواسطة ذلك الخير الكثير لأن الملوك يرغبون فى تلك القرود لخاصية فيها ويبذلون المال الكثير فى القرد الواحد منها . فمن ذكائه وخاصيته أنه يقف على رأس الملك بالمذبة ليلا ونهارا ينش عليه ولا يضجر ولا يفتر وإذا قدم إلى الملك طعام وضع منه فى إناء وقدم إليه فان تناوله القرد وأكله أكل الملك من

ذلك الطعام وإن تناوله ورده ولم يأكل منه شيئا علم الملك أن الطعام مسموم
ويقال إن بين الخزر وبين بلاد المغرب أربع أمم من الترك يرجعون إلى
أب واحد وهم ذوو بأس شديد وقوة ولكل أمة منها ملك وهي قجلي ويجعود
وبجناك وأبو جردد . ويقال إن الفرس لما فتحت تلك البلاد بنى قباد مدينة
البيلقان وبرذعة وسد البر ، وبنى أنو شروان وابنه مدينة السابران وكركرة
والباب والأبواب وعمل على أبواب جبل القبق الذي يقال إنه جبل الفتح
من خارجه ثلثمائة وستين قصرا مما يلي أرض الخزر .

(أرض الروس) وهي أرض واسعة الأقطار إلا أن العمارات بها
منقطعة لا متصلة وبين البلد والبلد مسافة بعيدة وهم أمم عظيمة لا ينقادون
لأحد من الملوك ولا الشريعة من الشرائع وعندهم معدن من الذهب ولا يدخل
إليهم غريب إلا قتلوه في الوقت والحال وأرضهم بين جبال محيطة بها وتخرج
من هذه الجبال عيون كثيرة تقع كلها في بحيرة تعرف بطوهى وهي بحيرة
كبيرة في وسطها جبل عال فيه وعول كثيرة وتبر كثير ومن طرفها يخرج
نهر دیانوس وغربي أرض الروس جزيرة دارموشة ، وفي هذه الجزيرة أشجار
أزلية كثيرة منها : أشجار إذا دار حول ساقها عشرون رجلا ومدوا باعاتهم
على ساق الشجرة الواحدة فلا يحوشونها وأهلها يوقدون النار في بيوتهم نهارا
لبعد الشمس عنهم وقلة الضوء وبهذه الجزيرة قوم مستوحشون يعرفون
بالبراري ، رؤوسهم لاصقة بأكتافهم ولا أعناق لهم ودأبهم ينحتون الأشجار
الكبار ويتخذون أجوافها بيوتا يأوون إليها وأكلهم البلوط ، وبها من الحيوان
المسمى بالببر شيء كثير وهو حيوان غريب الوصف ولا يوجد ولا يعيش
إلا في تلك الأمكنة . والروس ثلاث طوائف : طائفة تسمى كركيان
ومدينتهم تسمى كركيانة . وطائفة تسمى أطلاوة ومدينتهم تسمى طلو .
وطائفة تسمى أرنى ومدينتهم تسمى أرنى .

(أرض التركشر) وهي طويلة عريضة متخمة لسد يأجوج ومأجوج

ويجلب من جهتها السنجاب الفاخر والسمور والحرير والمسك وجلود النمور

(أرض الخزر) وهى أرض واسعة وبها أمم لا تحصى . ومن مدنها المشهورة (سمندو) وهى مدينة حسنة ، وكانت فى القديم مدينة عظيمة ، وكان بها من الكروم ما يخرج عن حد الوصف فخربتها الروس وآخر أعمالها أول أعمال صاحب السرير ، وهى مدينة عظيمة وتسمى صاحب السرير لأن صاحبها اتخذ سريراً من ذهب مرصعا بالجواهر يقصر عنه الوصف صنع له فى عشر سنين ، فلما تغلبت الروم على بلاده بقى السرير على حاله وقيل إنه باق إلى الآن .

(أتل) وهى مدينة كبيرة عامرة وأكثر بيوتها من خركاوات ولبود وهى ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالى البلاد التركية ويسمى نهر أتل يتشعب من هذا النهر شعبة تمر نحو بلاد التغزغز ويصب فى بحر نيطش وهو بحر الروس ويتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهراً وليس من الملوك التى فى تلك النواحى من عنده جند مرتزقة غير ملك الخزر .

(برطاس) أرض طويلة مقدار خمسة عشر يوما وهم متاخمون الخزر وبيوتهم خركاوات ولبود ، ونهر برطاس يأتى من نحو بلاد التغزغز وعليه مدن كثيرة وبلاد عامرة ومن بلاد برطاس تحمل جلود الثعالب السود التى تسمى البرطاسى ، قال المسعودى : تبلغ الفروة السوداء منها إلى مائة دينار وفى أرض الخزر جبل يسمى باثرة وهو جبل معترض من الجنوب إلى الشمال وفيه معادن الفضة السهلة المأخذ ومعادن الرصاص وليس على بحر الخزر من الضفة الشرقية عمارة .

(أرض البلغار) وهى أرض واسعة ينتهى قصر النهار عند البلغار والروس فى الشتاء إلى ثلاث ساعات ونصف ساعة ، قال الجواليقى : ولقد شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم مقدار ما أصلى أربع صلوات كل صلاة فى عقيب الأخرى مع الأذان وركعات قلائل والاقامة والتسبيح

وعماراتها متصلة بعمارة الروم وهم أمم عظيمة ومدينتهم تسمى بلغار وهي مدينة عظيمة يخرج واصفها إلى حد التكذيب .

(أرض الغزية) وهي غربي أرض الأذكش ، وهي أرض واسعة متصلة العمائر من جهة الشمال والغرب والشرق ولهم جبال منيعة وعليها حصون حصينة وينزل إليهم نهر من جبل مرغان يوجد في هذا النهر إذا زاد التبر الكثير ويخرج من قعره حجر اللازورد وفي غياضه التبر الكثير ، وبها ثعالب صفر لونها لون الذهب يتخذ منها فراء لملوك تلك الناحية تبلغ الفروة منها جملة من المال ولا يدعون أحدا يخرج بشيء منها إلى البلاد ومن خرج بشيء من ذلك خفية استباحوا دمه وماله كل ذلك بخلا بها واستحسانا لها وافتخارا بها .

(أرض الأذكش) وأهلها صنف من الترك عراض الوجوه كبار الرءوس صغار العيون كثيرو الشعور وأرضهم عريضة طويلة واسعة كثيرة الخيرات والخصب ، وهي شرقي الغزية ، وبها من المواشي واللبن والعسل شيء لا يوصف حتى أن الرجل يذبح الشاة ولا يجد من يأكلها وأكثر أكلهم لحوم الخيل وشربهم ألبانها وجنوبها بحيرة تهامة ، وهي بحيرة عظيمة دورها مائتان وخمسون ميلا وماؤها شديد الخضرة إلا أن ريحه ذكي وطعمه عذب جدا ، وبها سمك عريض جدا إذا وقعت هذه السمكة في شبكة الصياد انتشر في الحال ذكره وقام على حيله وأنعظ إنعاظا شديدا ولا يزال كذلك حتى يخرج السمكة من شبكته ولونها مرقش فيه من كل لون عجيب حسن وتزعم الأتراك أن الشيخ الهرم إذا أكل من لحم هذه السمكة أمكنه أن يفتض الأبكار لقوة خاصية هذه السمكة ، وفي وسط هذه البحيرة أرض كالجزيرة وفي وسط الجزيرة بئر محفورة لا يحس لها قعر ولا منتهى وليس بها شيء من الماء ، وبهذه الجزيرة أنهار كثيرة كبار منها تمامة وهو نهر كبير عميق وخروجه من ثلاث عيون دفاعة وأهل تلك البلاد يقصدون هذا النهر

بأولادهم يغمسونهم فيه قبل البلوغ والاحتلام فلا يصيبهم بعد ذلك من أمراض الدنيا شيء ألبتة إلا ما جاء من قبل الموت وإذا مرض عندهم أحد من هؤلاء المغمسين علموا أن موته فى تلك المرضة صح لهم ذلك فى تجاربهم وإذا سقى العليل من مائه برأ من علته كائنة ما كانت بعد سبعة أيام من وقت شربه وإذا غسل الانسان رأسه بالغا كان أو غيره لم يحصل لرأسه صداع فى تلك السنة وقد أكثروا الكلام فى هذا النهر حتى أنهم قالوا أشياء يجب السكوت عنها وقدرة الله عز وجل صالحة لكل شيء خارق ، وشرقى هذه البحيرة جبل حراد وهو جبل مرتفع لا يمكن الصعود إليه من حيث الظاهر بوجه من الوجوه لأنه كالحائط القائم الأملس وفي أسفله باب كبير فيه بيت متسع يتوصل منه إلى جوف هذا الجبل فيه مدرج يصعد منه إلى أعلى الجبل حيث المدينة وبوسط هذه المدينة عين نابعة يشربون منها ويفيض باقى مائها فيصب فى حفير على سور المدينة لا يعلم أين يذهب ولا أين يستقر وشمالى أرض الأذكش جبل مرغان وهو جبل طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ثمان عشرة مرحلة وفى وسطه موضع عال مستدير كالقبة وفى وسطه بركة ماء لا يقدر أحد على العوم فيها لا من إنسان ولا من حيوان لأن كل شيء نزل فيها ابتلعته حتى أنهم إذا رموا فيها أخشابا كبارا أو صغارا تبتلعها فى الحال ويقال إن تلك البركة أسفل الجبل مغارة يسمع فيها دوى عظيم هائل يعلو دويه فى وقت وينخفض فى وقت ومتى تقدم أحد إليها من إنسان أو غيره لم ير بعد ذلك يقال إنه يخرج منها ريح جاذبة للمعترض لها فتأخذه إلى داخل المغارة ، وقد حكى صاحب كتاب العجائب والغرائب عن هذه المغارة أشياء لا يمكن ذكرها ويجب السكوت عنها لعدم قبول العقل لها ونشهد أن الله على كل شيء قدير .

(أرض سحرت) وهى أرض واسعة ، وبها جبل إرجيفا ، وبها معادن النحاس يعمل فيها أكثر من ألف صانع لصاحب سحرت ويعمل فى هذه

الأرض من الفخار والبرام شيء عجيب وبساحل بحرها ألوان من الحجارة الملونة المثمنة .

(أرض خرخير) وهي متصلة بأرض التغزغز من المشرق شمالا مما يلي البحر الصيني وهي أرض واسعة كثيرة المياه وافرة الخصب ، وبها نهر يجري إليهم من نحو الصين وعليه أرحاء وبه أنواع السمك المسمى بالسطرون الذي يفعل في قوة الجماع ما لا يفعله السقنقور وليس له شوك وبقربها جزيرة الياقوت ويحيط بهذه الجزيرة جبل صعب المرتقى لا يوصل إلى ذروته إلا بجهد جهيد ولا يوصل إلى أسفل هذه الجزيرة أصلا لأن بها حيات قتالة وبأرضها حجارة الياقوت وأهل تلك الأرض يتحيلون عليه بأن يذبحوا الدواب ويقطعوها وهي حارة ويلقونها في تلك الجزيرة فتقع على الأحجار ويتعلق بها ما قسم فيخطفها الطير ويخرج بها من الجزيرة فيتبعون محط الطير فيجدون ما يجدون وهذه الأمة تحرق موتاها بالنار .

(أرض الكيماكية) هي شمالي أرض التغزغز وهم أمم عظيمة وأرضهم واسعة عامرة كثيرة الخصب وبأرضهم مفاوز عظيمة ولهم قلعة حصينة وشربهم من الآبار المنقورة وجميع ساحل الكيماكية يوجد فيه التبر عند هيجان البحر فيجمعونه ويصولونه من الزئبق ويسبكونه في أرواث البقر فيأخذ الملك حصة من ذلك والباقي لصاحبه وأهل هذه المدينة المعروفة بكيماكية يلبسون الحرير الأصفر والأحمر ويعبدون الشمس ، لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(أرض الخلخية) أرض واسعة ولها قلعة حصينة في رأس جبل شاهق والماء قد عم ذلك الحصن مستديرا به من جميع جهاته وأهلها ذوو عدد وعدد .

(أرض الخزلجية) شمالي بلاد التبت وغربي بلاد التغزغز وهي طويلة عريضة ، وبها أمم عظيمة من الترك ومدينتهم العظمى تسمى خاقان الخزلجية وهي في غاية الحصانة ، لها اثنا عشر بابا من الحديد الصيني .

(الأرض المنتنة) وهى أرض ممتدة طولها عشرة أيام فى عرض عشرة وهى خرساء الأطناب سوداء الاهاب وأهلها جرد الثياب وماؤها غائر ودليلها حائر ورائحتها منتنة وأهويتها وخمة وهى غربى الأرض الخراب التى خربها يأجوج ومأجوج وهى بلاد موحشة .

(أرض الخراب) بلاد واسعة الأقطار خالية الديار لا يدخلها سالك ومن دخلها وقع فى المهالك لكثرة وبائها ووحشة أرضها وتغير هوائها وكثرة الأمطار وعدم الساكن والسالك ووجود الأخطار وقيل إنها فى هذا الوقت قد عمرت .

(أرض يأجوج ومأجوج) والجبل الذى يحيط بهم يسمى فزنان وهو جبل قائم الجنبات لا يصعد عليه أحد وبه ثلوج منعقدة لا تنحل عنه أبدا وبأعلاه ضباب لا يزول أبدا وهو ماد من بحر الظلمات إلى آخر المعمور لا يقدر أحد على صعوده وخلف هذا الجبل من بلاد يأجوج ومأجوج عدد لا يحصى ، وفى هذا الجبل حيات وأفاعى عظام جدا وربما رقى هذا الجبل فى النادر من يريد أن ينظر إلى ما وراءه فلا يصل إليه ولا يمكنه الرجوع فيهلك وربما رجع من الألف واحد فيخبر أنه رأى خلف الجبل نيرانا عظيمة يقال إن يأجوج ومأجوج كانا أخوين شقيقين تناسلا ، وكانت لهم غارات على من جاورهم قبل وصول ذى القرنين إليهم فأخلوا كثيرا من البلاد وأهلكوا غزيرا من العباد ، وكانت منهم طائفة عفيفة ينكرون ذلك عليهم ، فلما وصل ذو القرنين وأقام بجيوشه عليهم شكت الطائفة العفيفة إليه يأجوج ومأجوج وما فعلوه فى البلاد والأمم المجاورة لهم من الفساد وأنهم على خلاف مذهبهم ويريثون من معتقدهم ومفتعلهم وشهدت لهم قبائل كثيرة بذلك فمال إليهم وتركهم خارج السد وأقطعهم تلك الأراضى يعمرونها ويأكلونها وهم الخزلجية والسنيسية والخزخيرية والتغزغزية والكيماكية والجاجانية والأدكش والتركش والخفشاخ والجليخ والغز

والبلغار وأمم عظيمة يطول ذكرها وسد على المفسدين وكل المفسدين قصار القدود لا يتجاوز أحدهم ثلاثة أشبار ووجوههم فى غاية الاستدارة وعليهم شعور مثل الزغب وآذانهم مستديرة مسترخية تلحق أذن الرجل منهم طرف منكبيه وألوانهم بيض وحمر وكلامهم صفير وفيهم زنا فاحش وبلادهم ذات أشجار ومياه وثمار وخصب كثير ومواش كثيرة إلا أنها بلاد ثلج ومطر وبرد على الدوام .

حكى عن سلام الترجمان وكان عارفا بألسن كثيرة حتى قيل إنه كان يعرف أربعين لغة ويجارى فيها أنه رأى هذا السد عيانا وذلك أن أمير المؤمنين الواثق بالله من خلفاء بنى العباس بعثه اليه ليراه ويتحقق كيفيته ويخبره بصفته عن حقيقته فمشى إليه وعاد بعد سنتين وأربعة أشهر فأخبره أنه سار ومن معه حتى وصلوا إلى صاحب السرير بكتاب أمير المؤمنين فأكرمهم وأرسل معهم أدلاء فمضوا حتى دخلوا إلى تخوم سحرت وساروا إلى أرض طويلة ممتدة كريهة الرائحة فقطعوها فى عشرة أيام ، وكان معهم شىء يشمونه لأجل تلك الرائحة التى فى تلك الأرض فانها تأخذ بالقلب وانفصلوا من تلك الأرض ووقعوا فى أرض خراب لا حسيس بها ولا أنيس مسيرة شهر وخرجوا منها إلى حصون بالقرب من جبل السد وأهل تلك الحصون يتكلمون بالعربية والفارسية ، وهناك مدينة عظيمة اسم ملكها خاقان أتكش فسألونا عن حالنا فأخبرناهم أن أمير المؤمنين الخليفة على المسلمين أرسلنا لنرى السد عيانا ونرجع إليه بصفته فتعجب هو ومن عنده منا ومن قولنا أمير المؤمنين الخليفة ولم يعرفوا ما هو وبقى السد عنا فرسخين من هذه المدينة ثم سرنا ومعنا أناس منهم حتى سرنا إلى باب بين جبلين عظيمين عرضه مائة وخمسون ذراعا وفيه باب من حديد طوله مائة وخمسون ذراعا وقد كتنفه عضادتان عرض كل عضادة منهما خمسة وعشرون ذراعا وارتفاعها

مائة وخمسون ذراعا وعلى أعلاها دروند من حديد طوله مائة وخمسون ذراعا وهى العتبة العليا وفوقه شرفات من حديد فى طرف كل شرفة قرنان من حديد منثنيان إلى الشرفة الأخرى يتصل بعضها ببعض وكل ذلك من لبن حديد مغيب فى نحاس مذاب والباب مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا فى ثخن أربعة أذرع وقائمتان فى ذروتى الجبلين على قدر الدروند وعلى الباب قفل من حديد طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع ونصف وارتفاع القفل من الأرض أربعون ذراعا وفوق القفل بخمسة أذرع حلقة أطول من القفل بخمسة أذرع وعليها مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنا عشر سنة من الحديد معلق فى حلقة طولها وعرضها ذراع فى ذراع بسلسلة من الحديد المصفى وعتبة الباب السفلى سمك عشرة أذرع وطولها مائة ذراع من حديد مغموسة الطرفين تحت العضادتين وكلها بالذراع الرشاشى ورئيس تلك الحصون يركب فى كل جمعة فى كبكبة عظيمة حتى يأتى الباب وبأيديهم مرزبات من حديد فيضربون بها على ذلك الباب فتدوى تلك الأرض ليسمع من خلف الباب من يأجوج ومأجوج فيعلمون أن هناك حفظة وحراسا وبعد ضرب الباب ينصتون بآذانهم مستمعين فيسمعون من وراء الباب دويا كدوى الرعد . وبقرب هذا السد حصن طوله عشرة أذرع فى عشرة ومع هذا الباب من الجانبين حصنان كل واحد منها مائة ذراع فى مائة ذراع وبين هذين الحصنين عين ماء عذب وفى أحد الحصنين بقية من آلات البناء وهى قدور من حديد ومغارف من حديد وهى فوق ذلك مرتفعة وعلى كل دكة أربعة قدور وهى أكبر من قدور الصابون وهناك أيضا بقايا من اللبن الحديد وقد لصق بعضها ببعض من الصدأ طول كل لبنة ذراع ونصف فى عرض ذراع وارتفاع شبرين ، وأما الباب المذكور والدروند الذى فى أعلاه والقفل فكأنما فرغ الصانع من عمله الآن ، وهى غير صدئة ولا بالية قد دهنت بأدهان الحكمة المانعة من الصدأ ، قال سلام الترجمان :

سألت من هناك هل رأيتم قط أحدا منهم فأخبروه أنهم رأوا منهم عددا كثيرا فوق شرفات السد فهبت بهم ريح عاصف فرمت منهم ثلاثة كل واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار ولهم مخاليب موضع الأظفار وأنياب وأضراس كالسباع وإذا أكلوا بها يسمع لأ كلهم حركة قوية ولهم أذنان عظيمتان يفترشون الواحدة ويلتحفون الأخرى ، فكتب سلام هذه الصفات كلها فى كتاب ورجع إلى الخليفة الواثق بالله . وقد ذكر بعض أهل العلم أن يأجوج ومأجوج يرزقون التنين يقذفه عليهم السحاب فيأكلونه وإنما يقذف عليهم ذلك فى أيام الربيع فى كل عام فاذا تأخر ذلك عن وقته المعهود استمطروه كما يستمطر الناس الغيث ، وحكى صاحب كتاب العجائب أن فى داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهرا يسمى المسهر لا يعرف له قعر وإذا تقاتلوا وأسر بعضهم بعضا طرحوا الأسرى فى ذلك النهر فيرون عند ذلك طيورا عظاما تخرج إلى من يطرح فى ذلك النهر من كهوف هناك فى جانبى الوادى فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترتفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك ، ويقال إن بهذا الوادى نارا تتأجج طول الزمان بقدرة الله تعالى وليس وراء يأجوج ومأجوج إلا المحيط والله سبحانه وتعالى أعلم : (وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر . ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل) انتهى فصل البلدان والأقطار . ولنشرع الآن فى ذكر الخلجان والبحار والجزائر والآبار ، وما بها من العجائب للاعتبار .

فصل فى المحيط وعجائبه

اعلم أن المحيط هو البحر الأعظم الذى منه مادة سائر البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله عز وجل والبحار على وجه الأرض خلجان منه وفى هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء . وفيها أهلها من الجن فى مقابلة الربع الخراب من الأرض ، وفيه حصون وفيه قصور على وجه الماء طافية ثم تغيب وتظهر

فيه الصور العجيبة والأشكال الغريبة ثم تغيب فى الماء وفيه الأصنام التى وضعها أبرهة ذو المنار الحميرى قائمة على وجه البحر وهى ثلاثة أصنام : أحدها أخضر وهو يومئ بيده كأنه يخاطب من ركب البحر يأمره بالرجوع ، والصنم الثانى أحمر كأنه يشير إلى نفسه ويخاطب من ركب هذا البحر أن يقف عنده ولا يجاوزه ، والصنم الثالث أبيض كأنه يومئ بأصبعه إلى البحر من جاء وجاوز هذا المكان هلك وعلى صدر كل صنم مكتوب بالأسود هذا ما وضعه أبرهة ذو المنار تبع الحميرى لسيدته الشمس تقربا اليها وفى هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار فى الأرض ، وفيه من الجزائر المسكونة والخالية مالا يعلمه إلا الله تعالى .

قال أبو الريحان الخوارزمى إن المحيط الذى فى المغرب على ساحل بلاد الأندلس يسمى بالمظلم أيضاً لا يلج إليه أحد أبداً وإنما يمر بالقرب من ساحله يخرج منه خليج يعرف بنيطش وطرابزنده مادا فى جهة الشمال وهو بحر القرم يمر على سور قسطنطينية ويتضايق حتى يقع فى بحر الشام ثم يمتد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة ويخرج منه خليج فى شمال الصقالبة فاذا وصل إلى قرب أرض المسلمين وبلادهم انحرف إلى نحو المشرق وبين ساحله وبين أرض الترك أراض وجبال مجهولة وخراب غير مسكونة ولا مسلوكة ، ثم يتشعب منه أعظم الخلجان وهو الخليج الفارسى المسمى فى كل إقليم ومكان من المحيط باسم ذلك الاقليم والمكان المحاذاة له فيكون أولا بحر الصين ، ثم بحر التبت ، ثم بحر الهند ، ثم بحر السند ، ثم بحر فارس ، ثم يخرج من أصل هذا البحر المذكور خليجان عظيمان : أحدهما بحر مكران وكرمان وخوزستان وعبادان وهو الخليج الشرقى الشمالى . والآخر بحر الزنج والحبشة وسفالة الذهب والبربر والقلزم واليمن وبلاد السودان حتى ينتهى إلى بلاد مصر ، وهو الخليج الجنوبى الغربى وفى هذا البحر أعنى الخليج الشرقى بجملته من الجزائر العامرة والغامرة والمسكونة والمعطلة مالا يعلم ذلك إلا الله عز وجل .

وسنذكر كل بحر على حدته وما فيه من الجزائر والآثار والعجائب على الترتيب إن شاء الله تعالى .

أما البحر الأول من هذا الخليج الشرقى : فهو بحر الصين وبحر التبت وبحر الهند والسند لأنه يمر أولا بالصين ثم بالتبت ثم بالهند ثم بالسند ثم على جنوب اليمن ، وهناك ينتهى إلى باب المندب طولا فيكون مسافة طوله من مبدئه من المحيط فى الشرق إلى باب المندب فى الغرب أربعة آلاف فرسخ ثم يتشعب من هذا البحر الصينى الخليج الأخضر وهو بحر فارس والأبلة ومكران وكرمان إلى أن ينتهى إلى الأبلة حيث عبادان فهناك ينتهى آخره ثم يعطف راجعاً إلى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحرين واليمامة ويتصل بعمان وأرض الشجر واليمن وهناك اتصاله بالبحر الهندى وطول هذا البحر أربعمائة فرسخ وأربعون فرسخا .

ويتشعب من هذا البحر الصينى أيضاً : خليج القلزم ومبدؤه من باب المندب المتقدم ذكره حيث انتهى البحر الهندى آنفاً فيمر فى جهة الشمال مغربا قليلا فيتصل بغربى اليمن ويمر بتهامة والحجاز إلى مدين وأيلة وفاران وينتهى إلى مدينة القلزم وإليها ينساب وينعطف راجعاً إلى جهة الجنوب فيمر فى بلاد الصعيد إلى حوم الملك إلى عيذاب إلى جزيرة سواكن إلى زيلع من بلاد البجة إلى بلاد الحبشة ويتصل بالبحر الهندى وطول هذا البحر ألف وأربعمائة ميل ، والله أعلم .

(البحر الثانى الخليج الغربى) الآخذ من المحيط الغربى المظلم وهو بحر الغرب والشام والروم ومبدؤه من الاقليم الرابع ويسمى هناك البحر الزقاق لأن سعته هناك ثمانية عشر ميلا كالزقاق وكذلك طول الزقاق أيضا من طريق إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا فيمر مشرقا فى جهة بلاد البربر وبشمال الغرب الاقصى إلى أن يمر بالغرب الأوسط ويصل أرض أفريقية إلى وادى الرمل إلى أرض برقة وأرض لوقيا ومراقيا إلى الاسكندرية إلى

شمالى أرض التيه إلى فلسطين إلى سائر ساحل بلاد الشام إلى أن ينتهى طرفه إلى السويدية وهناك نهايته ثم ينحرف مغربا راجعا إلى جهة المغرب فيتصل بالخليج القسطنطينى إلى جزيرة بليونس وكشميلى إلى أدرنت وهناك يخرج إلى الخليج البندقى ويتصل إلى أرض مجاز صقلية إلى بلاد رومية إلى بلاد سقومة ابتداء وطول هذا البحر ألف ومائة وستة وستون فرسخا. ويخرج من هذا البحر الشمال خليجان :

أحدهما خليج البنادقة : ومبدؤه من شرقى بلاد تلودية من بلاد الروم عند مدينة أدرنت فيمر فى جهة الشمال عن تغريب يسير إلى ساحل سنت ثم يأخذ فى جهة المغرب إلى أن يمر بساحل البنادقة وينتهى إلى بلاد أزكالية ومن هناك ينعطف راجعاً مع الشرقى على بلاد جرواسية ولماسية إلى أن يتصل بالبحر الشامى من حيث ابتدأ ، وطول هذا البحر ألف ومائة ميل .

والخليج الآخر نيطش : ومبدؤه من البحر الشامى حيث فم أيدة وعرض فوهته هناك رمية سهم ويمر بينه مجاز رمية سهم فيتصل بالقسطنطينية فيكون فوهته عرضه ستة أميال ويمر نحو نيطش من جهة الشرق فيتصل فى جهة الجنوب بأرض هرقلية إلى سواحل إطرابزنده إلى أرض اشكاله إلى أرض لاينه وينتهى طرف هذا الخليج هناك حيث الجزيرة ومن هناك ينعطف راجعا إلى مطرحه ويتصل ببلاد الروسية وبلاد برجان ولا يزال حتى ينتهى إلى مضيق فم خليج قسطنطينية ويتصل به ويمر شرقى مقدونية إلى أن يتصل بالموضع الذى منه ابتدا وبين ساحله وبين أرض الترك أرضون وجبال مجهولة وطول بحر نيطش وهو بحر القرم من فم المضيق إلى حيث انتهاؤه ألف وثلثمائة ميل .

(وأما بحر جرجان والديلم) فهو بحر الخزر فانه يخرج منقطعا لا يتصل بشىء من البحار المذكورة وتقع فيه أنهار كثيرة وعيون دائمة الجريان وذكر الجواليقى أن هذا البحر مظلم القعر وأنه يتصل ببحر نيطش من تحت الأرض

ويتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد أذربيجان ومن جهة الجنوب بلاد طبرستان ومن جهة الشرق أرض العرب ومن جهة الشمال أرض الخزر وطوله ألف ميل وعرضه من ناحية جرجان إلى موضع نهر أيلة ستمائة ميل وخمسون ميلا وفى كل بحر من هذه البحور جزائر وأمم مختلفة ونباتات وحيوانات مختلفة وجبال وغير ذلك ونحن نفصل ما وصل إليه علم الناس إن شاء الله تعالى .

فصل فى بحر الظلمة وهو البحر المحيط الغربى

ويسمى المظلم لكثرة أهواله وصعوبة متنه فلا يمكن أحد من خلق الله أن يلج فيه ، إنما يمر بطول الساحل لأن أمواجه كالجبال الرواسى وظلامه كدر وريحه دفر ودوابه متسلطة ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى ولا وقف منه بشر على تحقيق خبر ، وفى ساحل هذا البحر يوجد العنبر الأشهب الجيد وحجر البهت وهو حجر من حمله أقبل الخلق عليه بالمحبة والتعظيم وقضيت حوائجه وسمع كلامه وانعقدت عنه ألسنة الأضداد ويوجد أيضا بساحله حجارة مختلفة الألوان يتنافس أهل تلك البلاد في أثمانها ويتوارثونها ويذكرون لها خواص عظيمة وفى هذا البحر من الجزائر العامرة والخراب ما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد وصل الناس منها إلى سبع عشرة جزيرة .

(فمنها الخلدتان) وهما جزيرتان فيهما صنمان مبنيان بالحجر الصلد طول كل صنم مائة ذراع وفوق كل صنم صورة من نحاس تشير بيدها إلى خلف يعنى ارجع فما ورائى شىء بناهما ذو المنار الحميرى من التبابعة وهو ذو القرنين لا المذكور فى القرآن .

(ومنها جزيرة العوس) وبها أيضا صنم وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه بناه أيضا ذو القرنين المذكور ، وبهذه الجزيرة مات البانى وقبره بها

فى هيكل مبنى بالمرمر والزجاج الملون وبهذه الجزيرة دواب هائلة تنكرها المسامع.

(ومنها جزيرة السعالى) وهى جزيرة عظيمة بها خلق كالنساء إلا أن لهم أنيابا طوالا بادية وعيونهم كالبرق الخاطف ووجوههم كالأخشاب المحترقة يتكلمون بكلام لا يفهم ولا فرق بين الرجال والنساء عندهم إلا بالذكر والفرج ولباسهم ورق الشجر ويحاربون الدواب البحرية ويأكلونها.

(وجزيرة حسرات) وهى جزيرة واسعة فيها جبل عال وفى سفحه أناس سمر قصار لهم لحى طوال تبلغ ركبهم وجوههم عراض ولهم آذان كبار وعيشتهم من الحشيش وعندهم نهر صغير عذب.

(وجزيرة العرر) وهى جزيرة طويلة عريضة كثيرة الأعشاب والنباتات والأشجار والثمار.

(جزيرة المستشكين) وتعرف بجزيرة التنين وهى جزيرة عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار وبها مدينة عظيمة وكان بها التنين العظيم الذى قتله الاسكندر. وكان من حديثه أنه ظهر بها تنين عظيم فكاد أن يهلك الجزيرة وما بها من السكان والحيوان فاستغاث الناس منه إلى الاسكندر وكان الاسكندر قد قارب تلك الأرض وشكوا إليه أن التنين قد أكل مواشيهم وأتلف أموالهم وقطع الطريق على الناس وأن له عليهم فى كل يوم ثورين عظيمين ينصبونهما فيأتى اليهما كالسحابة السوداء وعيناه تتوقدان كالبرق الخاطف والنار والدخان يخرجان من فيه فيبتلع الثورين ويرجع إلى مكانه فسار الاسكندر إلى الجزيرة وأمر بالثورين فسلخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وزرنيخا وكلسا ونفطا وزئبقا وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وأقامهما فى المكان المعهود فجاء التنين من الغد اليهما على العادة فابتلعهما فأضرمت النار فى جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه وسرى الزئبق فى جسده ورجع مضطربا إلى مقره فانتظروه من الغد فلم يأت ولم يخرج. فذهبوا إليه

فاذا هو ميت وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاها ففرحوا بذلك وشكروا سعى الاسكندر إليهم وحملوا إليه هدايا عجيبة منها دابة عجيبة يقال لها المعراج مثل الأرنب أصفر اللون وعلى رأسه قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع الضوارى والوحوش الكاسرة إلا هرب منها .

(جزيرة قلهات) وهى جزيرة كبيرة وبها خلق مثل خلق الانسان إلا أن وجوههم وجوه الدواب يغوصون فى البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من الدواب البحرية فيأكلونها .

(جزيرة الأخوين الساحرين) أحدهما شرهام والآخر شبرام ، وكانا بهذه الجزيرة يقطعان الطريق على التجار فمسخا حجرين قائمين فى البحر وعمرت الجزيرة بعدهما .

(جزيرة الطيور) يقال إن فيها جنسا من الطيور فى هيئة العقبان حمر ذوات مخاليب تصيد دواب البحر ، وبهذه الجزيرة ثمر يشبه التين أكله ينفع من جميع السموم .

حكى الجواليقى : أن ملكا من ملوك افرنجة أخبر بذلك فوجه إليها مركبا ليجلب له من ذلك الثمر ويصاد له من تلك الطيور لأنه كان عالما بمنافع تلك الطيور ، ودمها وأعضائها ومرائرها فانكسرت المركب فى البحر وهلكت السفينة ومن فيها ولم يعد إليه أحد .

(جزيرة الصاصيل) طولها خمسة عشر يوما فى عرض عشرة وكان بها ثلاث مدن كبار مسكونة عامرة وكان التجار يسيرون إليها ويشترون منها الأغنام والأحجار الملونة المثمنة فوقع الشر بين أهلها حتى فنى غالبهم وبقى منهم قليل فانتقلوا إلى بلاد الروم .

(جزيرة لاقه) وهى جزيرة كبيرة وبها شجر العود كالحطب وليس له هناك قيمة ولا رائحة حتى يخرج من تلك الأرض فيكتسب الرائحة وكانت عامرة مسكونة والآن قد خرجت فيها حيات كبار وتغلبت على أرضها فخربت بسبب ذلك .

(جزيرة ثورية) بها أشجار وأنهار لكنها خالية الديار وبهذا البحر دواب عظيمة مختلفة الأشكال هائلة المنظر يقال إن السمكة به يمر رأسها كالجبل العظيم الشامخ ثم يمر ذنبها بعد مدة ويقال إن مسافة ما بين رأسها وذنبها أربعة أشهر .

(بحر الصين وجزائره ومابه من العجائب والغرائب) ويسمى هذا البحر باسماء عديدة بحر الصين وبحر الهند وبحر صقجى وهو متصل بالمحيط من المشرق وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القعر فيه المد والجزر كما فى بحر فارس ويستدل على هيجان هذا البحر بأن يطفو السمك على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد ويستدل على سكونه ببيض طائر معروف يبيض على وجه الماء فى مجتمع القذى وهو طائر لا يأوى الأرض أبداً ولا يعرف إلا لجة البحر وفى هذا البحر مغاص اللؤلؤ يطلع منه الحب الجيد الذى لاقيمة له وفى هذا البحر من الجزائر مالا يعلمه إلا الله عدداً إلا أن بعضها مشهور يصل اليه الناس قيل إن فيه إثنى عشر ألف جزيرة وثلثمائة جزيرة عامرة مسكونة وبها عدة ملوك وفى بعض جزائره ينبت الذهب ويكثر فى بعض السنين ويقل فى بعضها كالنبات .

(فمن جزائره جزيرة زانج) وتشتمل على جزائر كثيرة فى آخر حدود الصين وأقصى بلاد الهند عامرة خصبة ليس فيها خراب يسافرون فيها بلاماء ولا زادلكثرة الخصب والعمارة وهى نحو مائة فرسخ . قال محمدبن زكريا : وملك هذه الجزيرة يسمى المهراج وله جباية تقطع فى كل يوم ثلثمائة من من الذهب كل من ستمائة درهم فيتحصل له فى كل يوم مايزيد على مائة ألف مثقال وخمسة وعشرين ألف مثقال يتخذ منها لبنا ويطرحه فى البحر وهوخزانته . وقال ابن الفقيه بهذه الجزيرة سكان تشبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحوش

أشبه ولهم كلام لايفهم وعندهم أشجار وهم يطيرون من شجرة إلى شجرة
وبها نوع من السنانير الوحشية حمر منقطة ببياض أذنابها كأذناب الظباء
وبها أيضاً نوع من السنانير المذكورة ولها أجنحة كاجنحة الخفاش وبها
أبقار وحشية حمر منقطة ببياض أيضا ولحومها حامضة وبها دابة الزباد وهي
كالهرة وفأرة المسك وبها جبل يقال له النصان مشهور به . وبه حيات عظام
تبتلع الفيلة وبه قردة كأمثال الجواميس والكباش الكبار . ومن القردة ماهو
أبيض كالقرطاس ومنها ما هو أبيض الظهر أسود البطن وبالعكس . ومنها
ما هو أسود كالفار وبها من الببغا وهي الدرة شيء كثير بيض وحمر وصفر
وخضر ويتكلمون مع الناس بأي لسان سمعوه منهم وبها خلق على صورة
الانسان وهم بيض وسود وشقر وخضر يأكلون ويشربون ويتكلمون
بكلام لايفهم ولهم أجنحة يطيرون بها .

حكى ابن السيرافي قال كنت ببعض جزائر الزانج فرأيت وردا كثيرا
أحمر وأبيض وأزرق وأصفر وألوانا شتى فأخذت ملاءة وجعلت فيها شيء
من ذلك الورد الأزرق ، فلما أردت حملها رأيت نارا في الملاءة فأحرقت
جميع ما كان فيها من الورد ولم تحترق الملاءة فسألت الناس عن ذلك ، فقالوا :
إن في هذا الورد منافع كثيرة ولايمكن إخراجه من هذه الغياض بوجه أبدا
وفي هذه الجزيرة شجر الكافور وهو شجر عظيم هائل تظل كل شجرة مائة
إنسان وأكثر ، وفي هذه الجزيرة قوم يعرفون بالمخرمين مخرمة آنافهم ،
وفيها خلق فيها سلاسل إذا جاءهم عدو لمحاربتهم قدموا أولئك المخرمين
متسلحين ويأخذ كل رجل بطرف سلسلة من تلك الرجال المخرمة يمنعه بها
من التقدم إلى العدو فان انتظم صلح بين العدو وأهل الجزيرة فلا يفطون
السلاسل وإن لم ينتظم صلح لفت تلك السلاسل في أعناقهم وأطلقوهم على
العدو فيحطمون العدو حطمة واحدة ويأكلون منهم كل من وقعت أعينهم
عليه ولا يثبت لحطمهم أحد أبدا .

(جزيرة رامى) وهى جزيرة عظيمة طويلة عريضة طيبة التربة معتدلة الهواء ، بها معاقل ومدن وقرى وطولها سبعمائة فرسخ ، قال ابن الفقيه : بهذه الجزيرة عجائب كثيرة منها أناس حفاة عراة رجال ونساء على أبدانهم شعور تغطى سوآتهم ومآكلهم من الثمار ويستوحشون من الناس وينفرون منهم إلى الغياض وطول أحدهم أربعة أشبار وبشعرهم زغب بحمرة وهم لا يلحقون لسرعة جريهم وبساحل هذه الجزيرة قوم يلحقون المراكب فى البحر سباحة وهى تجرى فى تيارها فيبيعونهم العنبر بالحديد ويحملون الحديد فى أفواههم ويرجعون إلى الجزيرة ولا يدرى ما يصنعون به .

وحكى الجهانى : أن بهذه الجزيرة الكركند وهو حيوان على شكل الحمار إلا أن على رأسه قرنا واحدا وهو معقف وفيه منافع كثيرة منها أنه يصنع منه أنصبة لسكاكين الملوك وتحط على المائدة فان كان الطعام مسموما عرق ذلك النصاب واختلج ويصنع منه حلية للمناطق تبلغ قيمة المنطقة المحلاة بقرن الكركند أربعة آلاف مثقال من الذهب وأكثر هذه المناطق تعمل ببلاد الصين وفي رقبة هذا الحيوان اعوجاج كاعوجاج رقبة الجمل أو دونه وبهذه الجزيرة جواميس بغير أذناب ، وبها شجر الكافور والبقم والخيزران وعرقه دواء من سم الحيات والأفاعى ، وبها طيب عطر ومعادن كثيرة .

(جزيرة الرخ) وهذا الرخ الذى تعرف به هذه الجزيرة طير عظيم غريب مهول الهيئة حتى قيل إن طول جناحه الواحد نحو عشرة آلاف باع ذكر ذلك الحافظ ابن الجوزى رحمه الله فى كتابه المسمى بكتاب الحيوان ، وكان قد وصل إليه رجل من أهل الغرب ممن سافر إلى الصين وأقام به وبجزائره مدة طويلة وحضر بأموال عظيمة وأحضر معه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ وهو فى البيضة لم يخرج منها إلى الوجود فكانت تلك القصبة من ريش ذلك الفرخ تسع قربة ماء وكان الناس يتعجبون لذلك ، وكان هذا الرجل يعرف بالصينى لكثرة إقامته هناك واسمه عبد الرحمن المغربى ، وكان

يحدث بالغرائب : منها ما ذكر : أنه سافر فى بحر الصين فألقتهم الريح فى جزيرة عظيمة كبيرة واسعة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب ومعهم الفوس والحبال والقرب وهو معهم فرأوا فى الجزيرة قبة عظيمة بيضاء لماعة براقة أعلى من مائة ذراع فقصدوها ودنوا منها فاذا هى بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالفوس والصخور والخشب حتى انشقت عن فرخ الرخ كأنه جبل راسخ فتعلقوا بريشة من جناحه واجتذبوها فنتفت تلك الريشة من أصل جناحه ولم تكمل خلقة الريش فقتلوه ، قال وحملوا ما أمكنهم من لحمه وقطعوا أصل الريش من حد القصبة ورحلوا ، وكان بعض من دخل الجزيرة قد طبخ من اللحم وأكل وكان فيهم مشايخ بيض اللحى ، فلما أصبح المشايخ وجدوا لحاهم قد اسودت ولم يشب بعد ذلك أحد من القوم الذين أكلوا فكانوا يقولون إن العود الذى حركوا به ما فى القدر من لحم فرخ الرخ كان من شجرة الشباب والله أعلم ، قال : فلما طلعت الشمس والقوم فى السفينة وهى سائرة بهم إذ أقبل الرخ يهوى كالسحابة العظيمة وفى رجليه قطعة جبل كالبيت العظيم وأكبر من السفينة ، فلما حاذى السفينة من الجو ألقى ذلك الحجر عليها وعلى من بها ، وكانت السفينة مسرعة فى الجرى فسبقت الحجر فوقع الحجر فى البحر ، وكان لوقوعه هول عظيم فى البحر وكتب الله لنا بالسلامة ونجانا من الهلاك .

(ومنها جزيرة القرود) وهى كبيرة وبها غياض وقرود كثيرة وللقرود ملك تنقاد إليه ويحملونه على أكتافهم وأعناقهم وهو يحكم عليهم حكما لا يظلم به أحد أحدا ومن وصل إليهم فى المراكب عذبوه بالعض والخمش والرجم ويتحيل عليهم أهل جزيرة خرتان ومرتان فيصيدونها ويبيعونها بالثمن الغالى وأهل اليمن يرغبون فيها ويتخذونها فى حوانيتهم حراسا كالعبيد وهم فى غاية الذكاء .

(وجزيرة البينمان) وهى جزيرة عامرة ، وبها مدينة كبيرة وأهلها

ذوو بأس وشدة ومن سنتهم أنه إذا خطب الرجل عندهم امرأة لايزوجونه حتى يذهب فيأتيهم برأس مقطوع فحينئذ يزوجونه امرأة بغير صداق ولا مهر وإن أتاهم برأسين زوجوه امرأتين وإن أتى بثلاث زوجوه ثلاثة وإن أتى بعشرة فعشر فيصير عندهم معظما مهيبا جليلا ، وبها من شجر البقم والخيزران وقصب السكر ما لا يوصف ، وبها مياه جارية وأنهار عذبة وثمار مختلفة .

(وجزيرة واق واق) وهي جزيرة كبيرة وعندهم ذهب كثير بلا وصف حتى إنهم يتخذون سلاسل الكلاب والدواب من الذهب . وأما أكابرهم فيصنعون لبنا من الذهب ويبنون به قصورا أوبيوتا بإتقان وإحكام . ومن جزائرها جزيرة (البنان) بها قوم عراة الأبدان بيض الألوان حسان الصور يأوون إلى رءوس الأشجار ويتصيدون الناس فيأكلونهم ووراء هذه الجزيرة جزيرتان عظيمتان فيهما قوم عظام الأجسام حسان الوجوه سود الألوان شعورهم مسلسلة مختلفة وأقدامهم أطول من زراع لهم أخلاق صعبة عادية وهذه الجزيرة متصلة بالزانج والمسير إليها بالنجوم وهي ألف وسبعمائة جزيرة عامرة والذهب بها كثير وملكة هذه الجزائر امرأة تسمى دمهرة وتلبس حلة منسوجة بالذهب ولها نعلان من ذهب وليس يمشي في هذه الجزائر أحد بنعل غيرها ومتى لبس غيرها نعلا قطعت رجليه وتركب في عبيدها وجيوشها بالفيلة والرايات والطبول والأبواق والجوارى الحسان ومسكنها جزيرة تسمى أنبوبة وأهل هذه الجزيرة حذاق بالصنائع حتى أنهم ينسجون القمصان قطعة واحدة بأكمامها وأبدانها ويعملون السفن الكبار من العيدان الصغار ويعملون بيوتا من الخشب تسير على وجه الماء هذا ما نقله الجواليقي . وأما ما ذكره عيسى بن المبارك السيرافي فانه قال دخلت على هذه الملكة فرأيتها عريانة على سرير من الذهب وعلى رأسها تاج من الذهب وبين يديها أربعة آلاف وصيفة أبكار حسان وهن على مذهب المجوس وهن مكشوفات

الروس وفى رأس كل واحدة منهن مشط من عاج مكلل بالصدف ومنهن من يتخذ الأمشاط اثنين وثلاثة وأربعة إلى عشرين ولهذه الملكة جبايات كثيرة تتصدق بها على صعاليك أرضها ويتحلون بالودع ويدخرونه عندهم وفى خزائنهم ، وبهذه الجزيرة شجر يحمل ثمرا كالنساء بصور وأجسام وعيون وأيد وأرجل وشعور وأثداء وفروج كفروج النساء وهن أحسن الوجوه وهن معلقات بشعورهن يخرجن من غلف كالأجربة الكبار فاذا أحسسن بالهواء والشمس يصحن واق واق حتى تنقطع شعورهن فاذا انقطعت ماتت وأهل هذه الجزيرة يفهمون هذا الصوت ويتطيرون منه وفى كتاب الحوالة أنه من تجاوز هؤلاء وقع على نساء يخرجن من الأشجار أعظم منهن قدودا وأطول منهن شعورا وأكمل محاسن وأحسن أعجازا وفروجا ولهن رائحة عطرة طيبة فاذا انقطعت شعورها ووقعت من الشجرة عاشت يوما أو بعض يوم وربما جامعها من يقطعها أو يحضر قطعها فيجد لها لذة عظيمة لا توجد فى النساء وأرضهن أطيب الاراضى وأكثرها عطرا وطيبا وبها أنهار أحلى ماء من العسل والسكر المذاب وليس بها أنيس ولا عامر إلا الفيلة وربما بلغ ارتفاع الفيل فى هذه الجزيرة أحد عشر ذراعا ، وبها من الطير شىء كثير وليس يعلم ما وراء هذه الجزيرة إلا الله تعالى ويخرج من بعض هذه الجزائر سيل عظيم يسيل كالقطران يصب فى البحر فيحرق السمك فى البحر فيطفو على الماء .

(وجزيرة جالوس) وهى جزيرة بها قوم مستوحشون عراة يأكلون الناس وليس لهم ملك ولا دين وأكلهم الموز والنارجيل وقصب السكر وفى هذه الجزيرة جبل ترابه فضة كالبرادة الناعمة .

(وجزيرة الموجة) وهي جزيرة عظيمة ، وبها عدة ملوك وأهلها بيض شقر مخرمو الآذان كأهل الصين وعندهم الخيول البحرية يركبونها وعندهم دابة المسك ودابة الزباد ونساؤهم أجمل النساء وأحسنهن خلقا وخلقا

وأرحامهن كالحلقة لاصقة وإذا وقفت المرأة الطويلة على قدميها ومشت تسحب شعرها خلفها على الأرض وهذه النساء من أعظم النساء أعجازا وأدقهن خصورا باديات الوجوه ساحبات الشعور لا يستترن من أحد أصلا

(وجزيرة السحاب) وهى جزيرة كبيرة وسميت بهذا الاسم لأنه يطلع عليها سحاب أبيض ويعلو على المراكب فى البحر ويخرج منه لسان طويل دقيق مع ريح عاصف حتى يلتصق ذلك اللسان بالبحر فيغلى البحر كالقدر الفائر ويضطرب كالزوبعة الهائلة فاذا أدرك المراكب ابتلعها ، وبهذه الجزيرة تلول إذا أضرمت فيها النار سالت منها الفضة الخالصة .

(وجزيرة هلاتى) وهى جزيرة كبيرة من أعظم الجزائر وأوسعها قطرا وأعظمها عمارة ، وهى معترضة من المشرق إلى المغرب ولأهلها قصور وبيوت يتخذونها من الخشب على وجه الماء وأرحاء تدور بالريح على الماء وبها أنواع الطيب والعطر الفاخر وعندهم الموز والأرز والنارجيل وقصب السكر ، وبها معدن الذهب والفيلة البيض والكركند ولها ملك عظيم مهيب كثير الجيوش والجنود وله المراكب البهية من الخيل والفيلة العجيبة .

(جزيرة القمر) وهى جزيرة طويلة عريضة طولها من المشرق أربعة أشهر ، وبها مدينة تسمى لان وهى سكن الملك وهى مخصبة بها أشجار وثمار وأنهار وغياض ، وبها النارجيل وقصب السكر وبهذه الجزيرة تصنع ثياب الحشيش الغريبة النوع التى لا نظير لها فى الدنيا ولا بهجة للحرير والديباج عندها ويصنع بها نوع من الحصر المرقومه المنقوشة التى تأخذ بالابصار وتذهب بالعقول حسنا وبهجة تلبسها الملوك فوق البسط الحرير ويعمل بها مراكب منحوتة من قطعة واحدة وخشبة واحدة وطول كل مركب ستون ذراعا بالرشاشى تحمل مائتى مقاتل وتسمى السفيات .

وحكى بعض التجار : أنه رأى هناك مائدة يأكل عليها مائة وخمسون رجلا وهى قطعة واحدة مستديرة وملك هذه المدينة لا يقوم بخدمته إلا

الخشفيون ويلبسون الثياب النفيسة ويتحلون مثل النساء واسمهم النبانة ويتزوجون بالرجال كالنساء يخدمون الملك بالنهار ويرجعون إلى أزواجهم بالليل من غير أن يعارضوا فى ذلك .

(جزيرة السعالى) وهى جزيرة عظيمة بها شخوص مشوهة الخلق منكرة الصور لا يدرى ما هم وزعم قوم أنها شياطين تتولد الجن والانس تأكل من وقع لهم من الانس .

• (جزيرة التمسح) وهى جزيرة بها قوم أذنابهم كالكلاب وأبدانهم أبدان الانسان ولهم ملك منهم .

(جزيرة أطوران) وهى كبيرة وبها أنواع من القردة كالحمر عظما ، وبها الكركند الكثير ، ذكر أن مراكب الاسكندر وصلت إليهم وإلى جزيرة أخرى بها قوم على أشكال أبدان الانسان ووجوههم ورءوسهم كالسباع ، فلما قربوا منهم غابوا عن أبصارهم ولم يعلموا كيف ذهبوا .

(جزيرة النساء) وهى جزيرة عظيمة وليس بها رجل أصلا ذكروا أنهن يلقحن ويحملن من الريح ويلدن نساء مثلهن ، وقيل إن بأرض تلك الجزيرة نوعا من الشجر فيأكلن منه فيحملن وإن الذهب فى أرضها عروق كعروق الخيزران وترابها كله ذهب ولا التفات للنساء إلى ذلك .

وذكر بعضهم : أن رجلا ساقه الله إلى تلك الجزيرة فأردن قتله فرحمته امرأة منهن وحملته على خشبة وسيبته فى البحر فلعبت به الأمواج فرمته في بعض بلاد الصين فأخبر ملك تلك الجزيرة بما رأى من النساء وكثرة الذهب فوجه مراكب ورجالا معه فأقاموا زمنا طويلا فى البحر يطوفون على تلك الجزيرة فلم يقعوا لها على أثر .

(جزيرة سرنديب) وهى جزائر كثيرة ، وفى هذه الجزائر مدن كثيرة وفيها الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام ويسمى جبل الراهون وعليه أثر قدم آدم عليه السلام وعلى القدم نور لماع يخطف البصر وأسفل هذا

الجبل توجد سائر الأحجار المثمنة النفيسة ولهذه الجزائر بحر فيه مغاص اللؤلؤ الفاخر ويجلب منها الدر والياقوت والسنباذج والألماس والبلور وجميع أنواع العطر وتسافر المراكب فيها الشهر والشهرين بين غياض ورياض وللملك هذه الجزائر صنم من الذهب مكلل بالجواهر وليس عند أحد من الملوك ما عنده من الدرر والجواهر النفيسة لأن أصنافها كلها فى بلاده وجباله ويحمل إليه الخمس من كل ما يوجد ويستخرج من عراق العجم وفارس ويقال إن بهذه الجزائر مساكن وقبابا بيضا تلوح للناس من بعد فاذا قربوا منها تباعدت حتى ييأسوا منها .

(وأما عجائب هذا البحر) فمنها ما ذكروا أنه إذا كثرت أمواجه ظهرت منه أشخاص سود طول كل واحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الأحابيش يصعدون إلى المراكب من غير ضرورة ولا أذى وظهورهم يدل على خروج ريح مهلك تسمى الخبا .

وحكى : أيضا أنهم يرون فى هذا البحر طائرا يطير وهو من نور لا يستطيع أحد النظر إليه فاذا ارتفع على صارى المركب سكنت الريح وهدأت أمواج البحر وهو دليل السلامة ويفقدونه ولا يعلمون أين يذهب

(ومن العجائب) أن طائراً فى هذا البحر يسمى خرشنة أكبر من الحمام ذكر فى كتاب تحفة الغرائب أن هذا الطائر اذا طار يأتى طائر آخر يقال له كركر ويطير تحته فاتحاً فاه يتوقع ذرق خرشنة ليقع فى فيه فيأكله وليس له قوت سواه ولا يذرق خرشنة هذا إلا وهو طائر .

(ومنها) دابة المسك البحرى وهى دابة تخرج من البحر كل سنة فى وقت معلوم بكثرة عظيمة فتصاد وتذبح فيوجد المسك فى سرتها كالدم وهذا المسك هو أفخر الأنواع غير أنه فى مكانه وبلده لا ريح له أبداً فاذا خرج من حد بلاده ظهر ريحه وكلما بعد زاد ريحه .

(ومنها) دابة تسمى ملكان تستوطن جزيرة هناك لها رءوس كثيرة

ووجوه مختلفة وأنياب معقفة ولها جناحان وهى تأكل دواب البحر وقيل أنها تصاد برسم مراكب الملوك هناك إذا ركب الملك قادوها أمام موكبه وألبسوها الجلال الحرير ويزينونها .

(ومنها) سمكة تزيد على خمسمائة ذراع توجد عند جزيرة واق واق المذكورة إذا رفعت جناحها كانت كالجبل العظيم يخاف على السفن منها فاذا رأوها صاحوا وضربوا الطبول وأضرموا المكاحل النفطية حتى تهرب عنهم .

(ومنها) سلاحف كبار استدارة كل سلحفاة أربعون ذراعا بذراعهم تبيض كل واحدة ألف بيضة وظهرها الذبل الفاخر وأهل اليمن يتخذون من ظهورها قصعا كباراً وجفانا هائلة لغسلهم ومأكلهم .

(ومنها) سمكة تسمى سيلان تقعد على البر يومين حتى تموت فاذا جعلت فى القدر وكان رأس القدر مغطى نضجت واستوت وإن كان رأس القدر مكشوفا طارت منه وتختفى فلا يعلم أين تذهب .

(ومنها) سمكة تسمى الأطم وجهها كوجه الخنزير ولها فرج كفرج المرأة ولها مكان الفلوس شعر وهى طبقة لحم وطبقة شحم ويرغبون فى أكلها لطيب لحمها .

(ومنها) سرطانات قدر كل واحد كالترس الصغير يخرج من الماء بسرعه حركة فاذا سار فى البر انعقد حجرا فى الحال .

(ومنها) حيات عظام تخرج من البحر فتبتلع الفيل العالى الهائل وتنطوى على شجرة عظيمة تجذبها أو على صخرة عظيمة فتنكسر عظام الفيل فى بطنها وتسمع قعقعة ذلك على بعد .

(ومنها) سمكة تسمى هيبر من رأسها إلى صدرها مثل الترس ولها عيون كثيرة تنظر بها وباقى بدنها طويل مثل الحية فى مقدار ثلاثين ذراعا ولها أرجل كثيرة ومن صدرها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار كل سنة منها فى طول

شبر كالحديد فى الصلابة أو الفولاذ في القطع ولا تتصل بشيء من المراكب إلا شقته ، ولا تضرب شيئا إلا قطعته نصفين ، ولا تنطوى على شيء إلا أهلكته وتسمى أيضاً القرش وفى هذا البحر الدردور وهو إذا وقعت فيه سفينة لا تنجو منه .

حكى : بعض التجار قال ركبنا فى هذا البحر ومعنا جمع من التجار فهبت علينا ريح عاصفة صرفت المركب عن القصد وكان رئيس المركب شيخاً أعمى إلا أنه حاذق بالرياسة وكان معه فى السفينة حبال كثيرة فكان رجاله يقولون له لوكان موضع هذه الحبال ركاب لا نتفعنا بأجرتهم ، وكان يسأل التجار فى كل وقت ماذا ترون فيقولون ما نرى شيئاً ولم يزل كذلك حتى قالوا له نرى طيوراً سودا على وجه الماء فصاح الشيخ ولطم وجهه وقال هلكنا والله لا محالة فلما سألناه عن السبب قال : سترون ذلك عيانا فما كان إلا مقدار ساعتين حتى وقعنا فى الدردور والذى رأيناه طيورا كانت مراكب قد وقعوا فيها وفيهم أناس موتى قال فتحيرنا وانقطع أرجاؤنا من الخلاص والحياة فقال الشيخ هل لكم أن تجعلوا لى نصف أموالكم وأنا أتحيل فى خلاصكم إن شاء الله تعالى فقلنا نعم قد رضينا قال فأعطانا قنينتين قد ملئتا بالدهن فأدليناهما فى البحر فاجتمع عليهما من السمك ما لا يعد ولا يحصى ثم أمرنا أن نطرح تلك الموتى الذين فى المراكب إلى البحر بعد شدهم بالحبال التى كانت عنده فى المركب ففعلنا ورمينا بهم وأطراف الحبال مشدودة فى مركبنا فابتلع السمك الموتى ثم أمرنا بالصياح وضرب الطبول والصنوج والأخشاب ففعلنا ذلك فتفرقت الأسماك وأطراف الحبال فى بطونها مشدود بها الموتى وإذا بالمركب قد تحرك من مكانه وأقلع وجرى ولم يزل يجرى حتى خرجنا من الدردور فصاح الرئيس اقطعوا الحبال عاجلا فقطعناها ونجونا بقدرة الله من الهلاك فقال الرئيس للجماعة تلوموننى على حمل هذه الحبال فانظروا

كيف كانت سبيا لحياتكم وسلامتكم لحمدنا الله تعالى وشكرنا الرئيس لنظره في العواقب .

(ومنها بحر الهند) وهو أعظم البحار وأوسعها وأكثرها خيراً ومالا ولا علم لأحد بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعظمه وسعته وخروجه عن تحصيل الأفكار وليس هو كالبحر الغربى فان اتصال البحر الغربى بالمحيط ظاهر ويتشعب من هذا البحر الهندى خليجان أعظمهما بحر فارس ثم بحر القلزم فالآخذ نحو الشمال بحر فارس والآخذ نحو الجنوب بحر الزنج . قال ابن الفقيه بحر الهند مخالف لبحر فارس وفى هذا جزائر كثيرة وقيل إنها تزيد على عشرين ألف جزيرة وفيها من الأمم مالا يعلمه إلا الله تعالى فأما ماوصل إليه الناس فأقل قليل .

(فمن جزائره جزيرة كله) وهى جزيرة عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار ويسكنها ملك بنى جابة الهندى وبها معادن القصدير وشجر الكافور وهو شبيه بالصفصاف وهى تظل مائة رجل وأكثر وبها الخيزران وفى عجائب هذه الجزيرة مايقع واصفها فى حد التكذيب .

(جزيرة جابة) وهى كبيرة وبها الموز والنارجيل والأرز والقصب السكرى الفائق وبها العود ويسكنها قوم شقر وجوههم على صدورهم شعورهم وأبدانهم كالناس وبها جبل عظيم يرى عليه فى الليل نار عظيمة ترى من خمسة عشر فرسخا وبالنهار دخان ولا يدنو أحد من ذلك الجبل على خمسة فراسخ إلا هلك . وملك هذه المدينة اسمه جابة وهو يلبس من الحلل حلة الذهب وتاجا من ذهب مكللا بالدر والياقوت والجواهر النفيسة ودراهمه ودنانيره مطبوعة على صورته وهيئته وهو يعبد الصنم وصلاتهم غناء وتلحين وتصفيق بالأكف واجتماع الجوارى الحسان ولعبهن بأنواع من التكسر والتخلع بين يدى المصلى والكنيسة التى فيها الصنم فيها جوار حسان راقصات متخلعات معدودة وذلك أن المرأة إذا ولدت عندهم بنتا حسنة

اخذتها أمها إذا كبرت وألبستها أفخر الملابس والحلى وذهبت بها إلى الكنيسة وتصدقت بها على الصنم وحولها أهلها وأقاربها من النساء والرجال ويسلمها الخدمة إلى أناس عارفين بالرقص والتخلع والتكسر فيعلمونها . ولهذا الملك جزائر كثيرة منها جزيرة هربج وجزيرة سلاهط وجزيرة مايط .

(فأما جزيرة هربج) فان بها خسفة متسعة نحو عشرة أميال مستديرة لا يعرف أحد قعرها ولا وقف أحد على قرارها وهى من عجائب الدنيا .

(وجزيرة سلاهط) يجلب منها الصندل والسنبل والكافور ، وذكر المسافرون أن بجزائر الكافور قوما يأكلون الناس ويأخذن قحوفهم فيجعلون فيها الكافور والطيب ويعلقونها فى بيوتهم ويعبدونها فاذا عزموا على أمر وقصد سجدوا لتلك القحوف وسألوها عما يريدون ويقصدون فتخبرهم عن كل ما يسألونها عنه من خير أوشر وبهذه الجزيرة عين يفور منها الماء وينزل فى ثقب فى الأرض فيطلع له رشاش فأى شىء وقع من ذلك الرشاش على وجه الأرض صار حجرا فان كان ليلا صار حجرا أسود أو بالنهار صار حجرا أبيض وبآخر هذه الجزيرة خسفة أخرى كالبيكارية دورها نحو الميل تتقد نارا وتعلو نارها نحو مائة ذراع بالليل ولها بالنهار دخان .

(وجزيرة برطاييل) وهى قريبة من جزائر الزنج ، وبها أقوام وجوههم كالأترسة وشعورهم كأذناب الخيل ، وبها القرنفل الكثير ، وبها الكركند وإن التجار إذا نزلوا بها وضعوا بضائعهم كوما كوما على الساحل ويعودون إلى المراكب فاذا أصبحوا جاءوا إلى بضائعهم فيجدون إلى جانب كل بضاعة شيئا من القرنفل فان رضيه صاحب البضاعة أخذه وانصرف وإن لم يرض ترك القرنفل والبضاعة وعاد فى اليوم الثانى فيجده قد زيد فيه فان رضيه أخذه وإلا تركه وعاد من الغد أيضا ولا يزال كذلك حتى يرضى .

وذكر بعض التجار أنه صعد إلى هذه الجزيرة سرا فرأى بها قوما صفر الوجوه وهى كوجوه الأتراك وآذانهم مخرمة ولهم شعور كشعور النساء .

فلما رآهم غابوا عنه وعن بصره ثم إن التجار بعد أن ترددوا إلى تلك الجزيرة بالبضائع مدة طويلة فلم يأتهم شيء من القرنفل فعلموا أن ذلك بسبب الرجل الذي نظر إليهم ورآهم. ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه من المعاوضة بالقرنفل، وخاصية هذا القرنفل أن الانسان إذا أكله رطبا لا يشيب ولا يهرم ولو بلغ مائة سنة. ولباس هذه الأمة ورق شجر يقال له اللوف وأكلهم من ثمره. ويأكلون السمك أيضاً والنارجيل، وبهذه الجزيرة جبال يسمع فيها طول الليل أصوات الطبول والصنوج والدفوف والمزامير المطربة والصياح المزعج وغير ذلك من الأصوات العجيبة وقيل إن الدجال بها، وقيل إنه بغيرها. وسنذكره إن شاء الله تعالى.

(جزيرة القصر) وهو قصر عظيم مرتفع أبيض من بلور شفاف يظهر لمن فى المراكب من مسافة بعيدة فاذا شاهدوه تباشروا بالسلامة، ذكر قوم من الزنج أنه قصر مرتفع شاهق لا يدرى ما داخله.

وحكى: أن بعض الملوك وصل إلى هذه الجزيرة وشاهد القصر هو ومن معه من جنوده فلما صاروا فى الجزيرة أخذهم الخدران فى مفاصلهم وغلب عليهم النوم فبادر بعضهم إلى المراكب فنجوا وتأخر البعض فهلكوا.

(وذكر) أن أصحاب ذى القرنين رأوا فى بعض الجزائر أمة رءوسهم رءوس الكلاب، ولهم أنياب خارجة من أفواههم حمر مثل الجمر يخرجون إلى المراكب ويحاربونهم ورأوا بجزيرة تلك الأمة نوراً ساطعاً فاذاهو القصر الأبيض البلورى فأراد ذو القرنين التوجه إليها ورؤية القصر فمنعه بهرام الفيلسوف الهندى من ذلك وقال يا ملك الزمان لا تفعل فان من وصل إلى هذا القصر غلب عليه الخدران والنوم والثقل وقلة الحركة فلا يقدر على الخروج ويهلك.

(وذكر) بهرام المذكور أن بهذه الجزيرة شجرة إذا أكلوا من ثمرها

زال عنهم النوم والخدران وإذا كان الليل ظهر لذلك القصر شرفات تسرج مثل المصابيح الليل كله فاذا كان النهار خمدت .

(وجزيرة الورد) ذكر القاضى عياض رحمه الله تعالى فى كتاب الشفا فى شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم أن بهذه الجزيرة ورداً أحمر مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله والكتابة بالقدرة الإلهية .

(الجزائر الثلاث) قال صاحب تحفة الغرائب هى ثلاث جزائر متجاورات فى إحداهن برق الليل كله ، وفى الأخرى تهب رياح شديدة الليل كله وفى الأخرى تمطر السحاب الليل كله صيفا وشتاء على مر الليالى والأيام أبداً .

(ومنها جزيرة) فى هذا البحر بها أقوام أبدانهم أبدان الآدميين ورءوسهم كرءوس الدواب يخوضون فى البحر فيخرجون مايقدرون عليه من دواب البحر فيأكلونها .

(وجزيرة صيدون الساحر) وكان صيدون ملكا ساحراً وطول هذه الجزيرة شهر فى شهر وبها عجائب كثيرة :

(منها) أن فى وسطها قصراً عظيما على عمد عظيمة من مرمر ملون ومجلسه من ذهب مرصع بأنواع الجواهر العظيمة يشرف على جميع تلك الجزيرة قيل إن هذا الملك صيدون كان ساحراً ماهراً وكانت الجن تطيعه وتعمل الأعمال المعجزة العجيبة فدل عليه بعض الجن نبي الله سليمان عليه السلام فغزاه وقتله وخرب بلده وقتل أهلها وأسر جماعة منهم . وأما عجائب هذا البحر فكثيرة جداً .

(منها) سمكة تخرج من البحر وتصعد إلى جزيرة سلاهط وتصعد إلى أشجارها فتمتص فواكهها وثمارها ثم تقع كالسكران فيأخذها الناس

(ومنها) سمكة خضراء رأسها كرأس الحية من أكل لحمها اعتصم من الطعام والشراب أياما لا يشتهيه .

(ومنها) سمكة مدورة يقال لها كرماهى على ظهرها شبه عمود محدد الرأس قائم لاتقوم لها سمكة فى البحر إلا ضربتها بذلك العمود وقتلتها .

(ومنها) سمكة يقال لها البابه طولها مائة ذراع وعرضها عشرون ذراعا وعلى ظهرها حجارة صدفية كالقرابيص إذا تعرضت للسفينة كسرتها وإذا طبخوا من لحمها فى القدر يذوب حتى يصير كله دهنا ، وأهل تلك النواحى يطلون بدهنها المراكب عوضا عن الدهن .

(ومنها) سمكة يقال لها العمدة : لها جناحان تفتحهما فى الجو وتنشرهما وتحمل على السفينة فتقلبها فى البحر فى الحال فاذا رأوها ضربوا الطبول والصنوج والزمور وصاحوا فتهرب .

فصل فى بحر فارس وما فيه من الجزائر والعجائب

ويسمى البحر الأخضر وهو شعبة من بحر الهند الأعظم وهو بحر مبارك كثير الخير دائم السلامة وطىء الظهر قليل الهيجان بالنسبة إلى غيره . قال أبو عبد الله الصينى خص الله بحر فارس بالخيرات الكثيرة والبركات الغزيرة والفوائد والعجائب والطرف والغرائب منها مغاص الدر الذى يخرج منه الحب الكبير البالغ وربما وجدت الدرة اليتيمة فيه التى لا قيمة لها وفى جزائره معادن أنواع اليواقيت والأحجار الملونة النفيسة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنبادج والعقيق وأنواع الطيب والأفاويه .

(فمن جزائره كيكاوس وفنحاليوس) وهى جزيرة كبيرة بها خلق كثير بيض الألوان عراة الأجسام الرجال والنساء وربما استترت النساء بورق الشجر وطعامهم السمك الطرى والنارجيل والموز وأموالهم الحديد يتعاملون به كتعامل الناس بالذهب والفضة يتحلون بالذهب ويأتيهم التجار فيأخذون منهم العنبر بالحديد ، وذكروا أن بهذا البحر جزيرة تسمى جزيرة القماس

وأنها تغيب بأهلها وجبالها وجهاتها ومساكنها ستة أشهر وتظهر ستة أشهر

وذكر بعض المسافرين أن البحر هاج عليهم مرة فنظروا فاذا شيخ أبيض الرأس واللحية وعليه ثياب خضر يتنقل على متن البحر وهو يقول: سبحان من دبر الأمور، وقدر المقدور، وعلم ما فى الصدور، وألجم البحر بقدرته أن يفور، سيروا بين الشمال والشرق حتى تنتهوا إلى جبال الطرق واسلكوا وسط ذلك تنجوا إن شاء الله من المهالك، ففعلوا ذلك فسلموا ونجوا وتحققوا أنه الخضر عليه السلام، ووصلوا إلى جزيرة بها خلق طوال الوجوه بأيديهم قضبان من الذهب يعتمدون عليها ويتقاتلون بها وطعامهم اللوز والقسطل فأقاموا عندهم شهرا وأخذوا من قضبان الذهب شيئا كثيراً ولم يمنعهم أهل الجزيرة من أخذ ذلك وأقاموا حتى هبت رياحهم فسافروا على السمت الذى قال لهم الخضر عليه السلام فتخلصوا ونجوا بمشيئة ذى الجلال والإكرام.

(جزيرة الطويران) وهى جزيرة خصبة ذات أشجار وثمار وأعين وأنهار، وبها قوم أبدانهم أبدان الآدميين ورءوسهم كرءوس السباع والكلاب وبهذه الجزيرة نهر شديد البياض وعلى شاطئه شجرة عظيمة تظل خمسمائة رجل فيها من كل ثمرة طيبة مشرقة بأنواع الألوان وكل ثمرها أحلى من الشهد والعسل، وطعم كل ثمرة لايشبه طعم الأخرى وتلك الثمار ألين من الزبد وأزكى رائحة من المسك وورقها كحلل الحرير والديباج وهذه الشجرة تسير بسير الشمس ترتفع من الغد إلى الزوال وتنحط من الزوال إلى الغروب حتى تغيب بغيبة الشمس.

وذكر أن أصحاب ذى القرنين وصلوا إلى هذه الجزيرة ورأوا تلك الشجرة فجمعوا من ثمرها شيئا كثيرا ومن أوراقها ليحملوا ذلك إلى ذى القرنين فضربوا على ظهورهم بسياط مؤلمة يحسون بوقع السياط ولا يرونها ولا يدرون من الضارب ويصيحون بهم ردوا ما أخذتم من هذه الشجرة

ولا تتعرضوا لها فردوا ما أخذوا منها وركبوا مراكبهم وسافروا عنها .

(وجزيرة العباد) وهى جزيرة عظيمة دخلها ذو القرنين فوجد بها قوما قد أنحلتهم العبادة حتى صاروا كالحمم السود فسلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم ما عيشكم ياقوم فى هذا المكان ؟ فقالوا ما رزقنا الله تعالى من الأسماك وأنواع النباتات ونشرب من هذه المياه العذبة ، فقال لهم : ألا أنقلكم إلى عيشة أطيب مما أنتم فيه وأخصب ، فقالوا له : ومانصنع به إن عندنا فى جزيرتنا هذه ما يغنى جميع العالم ويكفيهم لو صاروا إليه وأقبلوا عليه ، قال وما هو ؟ فانطلقوا به إلى واد لانهاية لطوله وعرضه يتقد من ألوان الدر والياقوت والبهرمان الأصفر والأزرق والزبرجد والبلخش والأحجار التى لم تر فى الدنيا والجواهر التى لا تقوم ورأى شيئا لا تحمله العقول ولا يوصف بعض بعضه ولو اجتمع العالم على نقل بعضه لعجزوا ، فقال لا إله إلا الله سبحان من له الملك العظيم ويخلق الله ما لا تعلمه الخلائق ، ثم انطلقوا به من شفير ذلك الوادى حتى أتوا به إلى مستوى واسع من الأرض لاتنهيه الأبصار به أصناف الأشجار وأنواع الثمار وألوان الأزهار وأجناس الأطيار وخرير الأنهار وأفياء وظلال ونسيم ذو اعتلال ونزه ورياض وجنات وغياض ، فلما رأى ذو القرنين ذلك سبح الله العظيم واستصغر أمر الوادى وما به من الجواهر عند ذلك المنظر البهيج الزاهر ، فلما تعجب من ذلك قالوا له : أفى ملك ملك فى الدنيا بعض بعض ما ترى ؟ قال : لاوحق عالم السر والنجوى ، فقالوا : كل هذا بين أيدينا ولا تميل أنفسنا إلى شىء من ذلك وقنعنا بما نقوى به على عبادة الرب الخالق ومن ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه ، فسرعنا ودعنا بحالنا أرشدنا الله وإياك ، ثم ودعوه وفارقوه ، وقالوا له : دونك والوادى فاحمل منه ما تريد فأبى أن يأخذ من ذلك شيئا .

(وجزيرة الحكماء) وهى جزيرة عظيمة وصل إليها الاسكندر فرأى بها قوما لباسهم ورق الشجر وبيوتهم كهاف فى الصخر والحجر فسألهم مسائل

في الحكمة ، فأجابوه بأحسن جواب وألطف خطاب ، فقال لهم : سلوا حوائجكم لتقضى ، فقالوا له : نسألك الخلد فى الدنيا ، فقال وأنى ذلك لنفسى ومن لا يقدر على زيادة نفس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد ؟ فقالوا له : نسألك صحة فى أبداننا ما بقينا ، قال وهذا أيضا لا أقدر عليه ، قالوا : فعرفنا بقية أعمارنا ؟ فقال الاسكندر لا أعرف ذلك لنفسى فكيف بكم ؟ فقالوا له فدعنا نطلب ذلك ممن يقدر على ذلك وأعظم من ذلك وهو ربنا وربك ورب العالمين وجعل الناس ينظرون إلى كثرة جنود الاسكندر وعظمة موكبه وبينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه ، فقال له الاسكندر : ومالك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناس ؟ قال الشيخ ما أعجبنى الملك الذى رأيته قبلك حتى أنظر إليك وإلى ملكك ، فقال الاسكندر وما ذاك ؟ قال الشيخ كان عندنا ملك وآخر صعلوك فماتا فى يوم واحد فغبت عنهما مدة ، ثم جئت إليهما واجتهدت أن أعرف الملك من المسكين فلم أعرفه ، قال فتركهم الاسكندر وانصرف عنهم .

(وأما عجائب هذا البحر) فمنها ما ذكره صاحب عجائب الأخبار أن فى هذا البحر طائرا مكرما لأبويه فانهما إذا كبرا وعجزا عن القيام بأمر أنفسهما يجتمع عليهما فرخان من أفراخهما فيحملانهما على ظهورهما إلى مكان حصين ويبنيان لهما عشا وطيئا ويتعاهدانهما بالزاد والماء إلى أن يموتا فان مات الفرخان قبلهما يأتى إليهما آخران من أفراخهما ويفعلان بهما كما فعل الأولان وهلم جرا ، هذا دأبهما إلى أن يموت والدهما .

(وفيه سمكة) يقال لها الدفين ولها رأس مربع وفم كالقمع لا تفتحه يقولون إذا أكل المجذوم من لحمها مطبوخا برىء من الجذام .

(وفيه سمكة) وجهها كوجه الانسان وبدنها كبدن السمك تظهر على وجهه شهرا وتغيب شهرا .

(وسمكة) تطفو على وجه الماء فاذا رأت سمكة أو حيوانا من دواب البحر قد فتح فاه تدخل فى فيه وتصير غذاء له .

(وفيه حيوان) يخرج من الماء إلى البر ويرتفع والنار خارجة من فيه ومنخريه فيحرق ما حوله من النبات فاذا رأى الناس تلك الأرض محترقة علموا أن ذلك الحيوان وقع هناك . (وسمكة) طيارة تطير ليلا من البحر إلى البر ولا تزال تأكل فى الحشيش إلى طلوع الشمس فتعود طائرة إلى البحر ، وفى هذا البحر المذكور المعطب الذى يسمى الدردور إذا وقعت فيه المراكب تدور ولا تخرج منه على طول الأزمان والدهور ، والدردور هذا فى ثلاثة أبحر فى هذا البحر وفى بحر الصين وفى بحر الهند ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل فى بحر عمان وجزائره وعجائبه

وهو شعبة من بحر فارس عن يمين الخارج من عمان وهو بحر كثير العجائب غزير الغرائب وفيه مغاص اللؤلؤ ويخرج منه الحب الجيد وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة .

(منها جزيرة خارك) وهى كبيرة عامرة آهلة وبها مغاص اللؤلؤ .

(وجزيرة خاسك) وهى بقرب جزيرة قيس وأهلها لهم خبرة بالحرب وصبر عليه فى البحر فان الرجل منهم يسبح أياما فى الماء وهو يجالد بالسيف كما يجالد غيره على وجه الأرض .

حكاية عجيبة : حكى أن بعض الملوك بالهند أهدى لبعض الملوك جوارى هنديات حسانا ، فلما عبرت المراكب والجوارى بهذه الجزيرة خرجن يتفسحن فى مسالحهن فى أرضها فاختطفتهن الجن ونكحوهن فولدن هؤلاء القوم .

(وجزيرة سلطى) وهى كبيرة وفيها قوم يسمع كلامهم وضجيجهم من مسافة بعيدة ومن وصل إليهم يخاطبهم ويخاطبونه غير أنهم لا يرون بأشخاصهم ، ويقال أنهم من الجن وهم مؤمنون فاذا وصل إليهم الغريب جعلوا له من الزاد ما يكفيه ثلاثة أيام فاذا أراد الرجوع إلى أهله حملوه فى

مركب وأوصلوه إلى قصده .

(وجزيرة الشجر) وبها شجر يحمل ثمرا كاللوز فى صفته وقدره يؤكل بقشره وهو أحلى من الشهد ويقوم مقام كل دواء. ومن أكل منه من الرجال والنساء يزداد قوة وشبابا ولا يهرم أبدا ولا يشيب وإن كان آكله طاعنا فى السن وقد ذهبت قوته وابيض شعره عاد فى الحال إلى قوة الشباب واسود شعره . وذكر أن بعض الملوك بالهند زرعه فى أرضه فأورق ولم يثمر .

(وجزيرة الدهلان) وهو شيطان فى صورة إنسان راكب على طير يشبه النعامة يأكل لحوم الناس إذا طلع أحد من المراكب إلى تلك الجزيرة أخذهم ودفعهم إلى مكان لاخلاص لهم منه وأكلهم واحدا بعد واحد .

وحكى : أن مركبا ألجأته الريح إلى تلك الجزيرة وكانوا قد سمعوا بذلك الشيطان ، فلما أتاهم قاتلوه وصبروا على قتاله صبر الكرام ، فلما رأى ذلك منهم صاح بهم صيحة سقطوا منها مغشيا عليهم فجعل يجرهم على وجوههم الى موضعه المعهود ، وكان فيهم رجل صالح فدعا عليه فهلك وعاد موضعه طالبا لما فيه من الأموال والذخائر وأمتعة الناس .

(جزيرة الصريف) وهى جزيرة تلوح لأصحاب المراكب فيطلبونها وكلما قربوا منها تباعدت عنهم وربما أقاموا لذلك أياما كثيرة فلا يصلون إليها وقيل إن أحدا منهم لم يدخلها قط إلا أنهم رأوا فيها دواب وأشخاصا .

(جزيرة الفندج) فيها صنم من رخام أخضر ودموعه تسيل على مر الأيام والليالى فاذا دخل الريح في جوفه صفر صفيرا عجيبا. ذكر المسافرون أنه يبكى على قوم كانوا يعبدونه من دون الله وقيل إن بعض الملوك غزا عباد ذلك الصنم فأفناهم وأبادهم عن آخرهم واجتهد فى كسر ذلك الصنم فلم يقدر ولم تعمل فيه الآلة وكلما ضربوه بمعول عاد الضرب إلى الضارب فقتله فتركوه وانصرفوا .

(جزيرة سرندوسة) وهى كبيرة عامرة بها أنهار وأشجار وثمار وعند

أهلها من الذهب ما لا يكيف فماعونهم ذهب وآنيتهم ذهب وقدورهم ذهب وخوابيهم ذهب وسلاحهم ذهب ولهم ملك يدفع عنهم كل من يقصدهم أو يقصد الخروج من عندهم بشيء من ذلك . وعجائب هذا البحر كثيرة وذكر أن العنبر الخالص ينبت فى قعر هذا البحر كما ينبت القطن فى الأرض فاذا اضطرب البحر قذف به وربما أكل منه الحوت العظيم الجرم فيموت فيطفو على وجه الماء فى اليوم الثالث فيجذبه أهل المراكب بالكلاليب إلى الساحل فيأخذون العنبر من جوفه .

(وملكان) نوع من السمك يطفو على وجه البحر فى ثالث عشر كانون الثانى يدل ذلك على خروج ريح يضطرب لها البحر حتى يصل الاضطراب إلى بحر فارس ويشتد هيجانه ويتكدر لونه وتنعقد ظلمته بعد طفو هذا السمك بيوم واحد .

(ومنها الأمشور) وهو سمك يأتى البصرة فى وقت معين فيبقى مدة شهرين وينقطع فلا يعود إلا فى ذلك الوقت بعينه من العام القابل .

(والجراف) أيضاً سمك وأوانه مثل أوانه وانقطاعه .

(ومنها) حيوان يعرف بالتنين شر من الكوسج طوله كالنخلة السحوق أحمر العينين كريه المنظر له أنياب كأسنة الرماح يقهر الحيوانات كلها حتى الكوسج .

(ومنها) سمكة خضراء أطول من ذراع لها خرطوم عظيم كالمنشار تضرب به من عارضها فتقده . وفي هذا البحر دردور صغير .

حكى القزوينى : أن رجلا من أصفهان ركبته ديون كثيرة ففارق اصفهان وركب هذا البحر صدفة مع تجار فتلاطمت بهم الأمواج حتى حصلوا فى الدردور ببحر فارس فقال التجار للرئيس هل تعرف لنا سبيلا إلى الخلاص فنسعى فيه ؟ فقال : إن سمح أحدكم بنفسه تخلصنا فقال الرجل الأصفهانى المديون فى نفسه كلنا في موقف الهلاك وأنا قد كرهت الحياة وسئمت البقاء

وكان فى السفينة جمع من التجار الأصفهانيين فقال الرجل لهم هل تحلفون لى بوفاء ديونى وخلاص روحى وأفديكم بروحى وأوثركم بحياتى وتحسنون إلى عيالى ما استطعتم فحلفوا له على ذلك وفوق ما شرط . فقال الأصفهانى للرئيس ما تأمرنى أن أفعل فقد سلمت نفسى لله طلبا لخلاصكم إن شاء الله تعالى فقال له الرئيس آمرك أن تقف ثلاثة أيام على ساحل هذا البحر وتضرب على هذا الدهل ليلا ونهاراً ولا تفتر عن الضرب أبدا . قلت أفعل إن شاء الله تعالى فأعطونى من الماء والزاد ما أمكن ، قال الأصفهانى فأخذت الدهل والماء والزاد وتوجهوا بى نحو الجزيرة وأنزلونى بساحلها فأخذت وشرعت فى ضرب الدهل فتحركت المياه وجرى المركب وأنا أنظر اليهم حتى غاب المركب عن بصرى فجعلت أطوف فى تلك الجزيرة وإذا أنا بشجرة عظيمة شبه سطح فلما كان الليل وإذا بهدة عظيمة فنظرت فاذا طائر عظيم فى الخلقة قد سقط على ذلك السطح الذى فى الشجرة فاختفيت خوفا منه فلما كان الفجر انتفض بجناحيه وطار فلما كان الليل جاء أيضاً وحط على مكانه البارحة فدنوت منه فلم يتعرض لى بسوء ولا التفت إلى أصلا وطار عند الصباح فلما كان ثالث ليلة وجاء الطائر على عادته وقعد مكانه جئت حتى قعدت عنده من غير خوف ولا دهشة إلى أن نفض جناحيه فتعلقت باحدى رجليه بكلتا يدى فطار بى إلى أن ارتفع النهار فنظرت إلى تحتى فلم أر إلا لجة ماء البحر فكدت أن أترك رجله وأرمى بنفسى من شدة ما لقيت من التعب فتصبرت زمانا وإذا بالقرى والعمارة تحتى ففرحت وذهب ما كان بى من الشدة فلما دنا الطائر من الأرض رميت نفسى على صبرة تبن فى بيدر وطار الطائر فاجتمع الناس حولى وتعجبوا منى وحملونى إلى رئيسهم وأحضروا لى من يفهم كلامى فأخبرتهم قصتى فتبركوا بى وأكرمونى وأمروا لى بمال وأقمت عندهم أياما فخرجت يوما لأتفرج وإذا أنا بالمركب الذى كنت فيه قد أرسى فلما رأونى أسرعوا الى وسألونى

عن أمرى فأخبرتهم فحملونى إلى أهلى وقاموا لى بمال لهصورة فوق الشرط فعدت بخير وغنى وسلامة .

فصل فى بحر القلزم وجزائره وما به من العجائب

وهذا البحر شعبة من بحر الهند جنوبيه بلاد بربر والحبشة وعلى ساحله الشرقى بلاد العرب وعلى ساحله الغربى بلاد اليمن والقلزم اسم لمدينة على ساحله وهو البحر الذى غرق فيه فرعون وهو بحر مظلم وحش لا خير فيه باطنا ولا ظاهراً وفى هـذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكة .

(فمن جزائره) جزيرة قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو حداب ليس لهم زرع ولاضرع ولا ماء عذب معاشهم من السمك وبيوتهم السفن المكسرة ويشحذون الماء والخبز ممن يمر بهم من المسافرين وعندهم دوارة فى سفح جبل إذا وقع الريح عليها انقسمت قسمين ويلقى المراكب بين شعبين متقابلين فيثور الريح بينهما ويخرج من كليهما متخالفين فتنقلب المركب بمن فيها ، وقيل إن هذا الموضع غرق فيه فرعون .

(وجزيرة الجساسة) وهى دابة تجس الأخبار وتأتى بها إلى الدجال ، قال تميم الدارى رضى الله عنه ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اختطفته الجن من صحن داره ومكث فى بلاد الجن وغيرها مدة طويلة ورأى العجائب وقصته طويلة مشهورة ، قال : ركبنا فى هذا البحر فأصابتنا ريح عاصف ألجأتنا إلى هـذه الجزيرة فاذا نحن بدابة استوحشنا منها! وقلنا لها : ما أنت، قالت أنا الجساسة ، قلنا لها : أخبرينا الخبر ، قالت : إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير ، فان به رجلا هو بالشوق إليكم فأتيناه ، فقال لنا كيف وصلتم ؟ فأخبرناه الخبر ، فقال . ما فعلت طبرية ؟ قلنا تدفق الماء بين أجوافها ، قال : فما فعلت نخلات عمان ؟ قلنا يجنيها أهلها ، قال : فما

فعلت عين زغر؟ قلنا يشرب منها أهلها ، فقال : لو نفدت لتخلصت من وثاقى فوطئت بقدمى هذا كل سهل وجبل إلا مكة والمدينة ، وبعضهم يزعم أنه ابن صياد الذى كان بمكة ، وكان يقال ذلك بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره ، قال ابن سعيد : صحبت ابن صياد من مكة ، قال ماذا لقيت من الناس يزعمون أنى الدجال ألم يقل نبى الله إنه يهودى وقد أسلمت ، وقال إنه لا يولد له وقد ولد لى ، وقال إن الله حرم عليه المدينة ومكة وقد ولدت بالمدينة وحججت إلى حرم مكة ، ثم قال فى آخر قوله والله إنى أعرف أين هو الآن وأعرف أباه وأمه ، وقيل له يوما أيسرك لو كنت ذاك ، فقال لو عرض لى لما كرهته . وقال نافع مولى ابن عمر رضى الله عنهم ، لقيت ابن صياد فى بعض طرق المدينة ، فقلت له قولا أغضبته فانتفخ حتى ملأ الطريق ، ثم دخلت بعد ذلك على حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم : وقد بلغها الخبر ، فقالت يرحمك الله ما أردت من ابن صياد ، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما يخرج من غضبة يغضبها . وأما عجائب هذا البحر فمنها سمكة تزيد على مائتى ذراع تضرب السفينة بذنبها فتغرقها .

(ومنها) سمكة مقدار ذراع بدنها كبدن السمك ووجهها كوجه البوم .

(ومنها) سمكة طولها نحو عشرين ذراعا ومن ظهرها الذبل الجيد وهى تلد كالآدمية وترضع مثلها .

(ومنها) سمكة تصاد وتجفف فيبقى لحمها مثل القطن يتخذ منه غزل وينسج منه ثياب فاخرة تسمى تلك الثياب سمكين .

(ومنها) سمكة على خلقة البقر تلد وترضع كالبقرة وسمكة عريضة عرضها أميز من طولها يقال لها البهاروز يقارب وزنها قنطارا طيبة اللحم والطعم .

(وسمكة) طولها شبران ولها رأسان رأس فى موضع رأس العادة ورأس فى موضع ذنبها وتسمى الخنجر .

(وسمك) يقال له الفرس وهو نوع من كلاب الماء فى البحر فى فه سبع صفوف أضراس وطوله عشرة أشبار وهو كثير الضرر والأذى .

فصل فى بحر الزنج وهو بحر الهند بعينه

وبلاد الزنج منه فى جانب الجنوب تحت سهيل وراكب هذا البحر يرى القطب الجنوبى ولا يرى القطب الشمالى ولا بنات نعش وهو متصل بالبحر المحيط موجه كالجبال الشواهق وينخفض كأخفض ما يكون من الأودية وليس له زبد مثل سائر البحار وفيه جزائر كثيرة ذوات أشجار وغياض لكنها ليست بذوات ثمار مثل شجر الآبنوس والصندل والساج والقنا والعنبر يصاد ويلقط من ساحله ، وبها يوجد منه كل قطعة كالتل العظيم .

(فمن جزائره المشهورة الجزيرة المحترقة) وهى جزيرة واغلة فى هذا البحر قل أن يصل إليها أحد ، قال بعض التجار ركبت في هذا البحر فدارت بى الأوقات حتى حصلت فى هذه الجزيرة فرأيت فيها خلقا كثيرا وأقمت بها زمانا وتأنست بأهلها وتعلمت لغتهم ، فلما كان فى بعض الأيام رأيت الناس مجتمعين ينظرون إلى كوكب طلع من أفقهم وهم يبكون ويلطمون ويتودعون فسألت عن السبب ، فقالوا إن هذا الكوكب يطلع بعد كل ثلاثين سنة مرة حتى إذا وصل إلى سمت رءوسهم يركبون البحر ومعهم جميع مايخافون عليه من المال والقماش والأمتعة فسامت الكوكب رءوسهم فركبوا البحر وركبت معهم وصحبوا فى المراكب جميع ما كان فى الجزيرة مما يحمل وينقل وسرنا وغبنا عن الجزيرة مدة ، ثم عدت معهم فوجدنا جميع ما كان بها من الأماكن والبنيان والأشجار وغيرها قد احترق وصار رمادا فشرعوا فى العمارة ثانيا ولا يزالون كذلك على الدوام فى كل ثلاثين سنة تحترق الجزيرة ويجددون بناءها .

(ومن جزائره جزيرة الضوضاء) وهي مما يلي الزنج ، حكى بعض التجار أن بها مدينة من حجر أبيض ولا ساكن بها غير أنهم يسمعون بها جلبة وضوضاء يدخلها البحريون ويشربون من مائها ويحملون منه إلى المراكب وهو ماء طيب عذب وفيه رائحة الكافور ، وبقربها جبال عظيمة تتوقد منها نار عظيمة في الليل وحواليها حية تظهر في كل سنة مرة واحدة فيحتال عليها ملوك الزنج ويصيدونها ويتخذون من جلدها فراشا يجلس عليه صاحب السل فيبرأ .

(جزيرة العور) وهي جزيرة كبيرة ، حكى يعقوب بن إسحق السراج ، قال : قال لي رجل من أهل رومية ، ركبت في هذا البحر فألقتني الريح في هذه الجزيرة فوصلت إلى مدينة أهلها قاماتهم طولها ذراع وأكثرهم عور فاجتمع علي منهم جمع وساقوني إلى ملكهم فأمر بحبسي في قفص فكسرته فأمنوني وتركوا الاحتجار علي ، فلما كان في بعض الأيام رأيتهم قد استعدوا للقتال فسألتهم عن ذلك ، فقالوا : لنا عدو يأتينا في كل سنة ويحاربنا وهذا أوانه فلم ألبث إلا قليلا حتى طلعت علينا عصابة من الطيور والغرانيق ، وكأن مابهم من العور من نقر الغرانيق فحملت الطيور عليهم وصاحت بهم ، فلما رأيت ذلك شددت وسطي وأخذت عصا وشددت عليها وحملت عليهم وصحت فيهم صيحة منكرة ورميت منهم جماعة فصاحوا وطاروا هاربين مني ، فلما رأى أهل الجزيرة ذلك أكرموني وعظموني وأفادوني مالا وسألوني الاقامة عندهم فلم أفعل فحملوني في مركب وجهزوني .

وذكر أرسطاطاليس أن الغرانيق تنتقل من بلاد خراسان إلى بلاد مصر حيث مسيل النيل فتقاتل أولئك العور في طريقهم وهم قوم في طول ذراع .

(جزيرة سكسار) وهي جزيرة عظيمة وهم قوم لاعظام لأرجلهم وسوقهم حكى المؤرخ ابن إسحق قال : لقيت رجلا في وجهه خموش كثيرة فسألته عنها ، فقال : كنت في بحر الزنج مع جماعة فألقتنا الريح إلى جزيرة سكسار فلم نستطع أن نخرج منها لشدة الريح فأتانا قوم وجوههم وجوه

الكلاب وأبدانهم أبدان الناس فسبق إلينا واحد منهم بعصا كانت معه و وقف جماعة من ورائنا فساقونا إلى منازلهم فرأينا فيها جماجم وقحوفا وسوقا وأذرعا وأضلاعا كثيرة فأدخلونا بيتا فيه إنسان ضعيف وجعلوا يأتوننا بأكل كثير وطعام غزير وفواكه طيبة ، فقال لنا ذلك الرجل الضعيف إنما يطعمونكم لتسمنوا وكل من سمن أكلوه قال فجعلت أقلل أكلى دون أصحابى وصار كلما سمن واحد ذهبوا به وأكلوه حتى بقيت وحدى وذلك الرجل الضعيف ، فقال لى الرجل يوما إن هؤلاء قد حضرهم عيد يخرجون إليه و يغيبون مدة ثلاثة أيام فان استطعت أن تنجو بنفسك فانج ، وأما أنا فكما ترانى لا أستطيع الحركة ولا أقدر على الهرب فانظر فى تدبير لنفسك ، فقلت جزاك الله الجنة ، وخرجت فجعلت أسير ليلا وأختفى نهارا ، فلما رجعوا من عيدهم فقدونى فتبعونى حتى يئسوا فرجعوا ، فلما أيست منهم سرت فى تلك الجزيرة ليلا ونهارا فانتهيت إلى أشجار بها ثمار وفواكه وتحتها رجال حسان الصورة إلا أنه ليس لسوقهم عظم فقعدت لا أفهم كلامهم ولا يفهمون كلامى فلم أشعر إلا و واحد منهم ركب على رقبتى وأكتافى وطوق برجليه على وأنهضنى فذهبت به وجعلت أعالجه لأتخلص منه وأطرحه عنى فلم أقدر وجعل يخمش وجهى بأظفاره المحددة فجعلت أدور به على الأشجار وهو يأكل من فواكهها وثمارها ويطعم أصحابه وهم يضحكون على فبينما أنا أطوف به بين الأشجار إذ دخلت فى عينه شوكة من شجرة فانحلت رجلاه عنى فرميته عن رقبتى وسرت فنجانى الله بكرمه وهذه الخنوش منه فلا رحم الله عظامه . وأما عجائب هذا البحر فكثيرة .

(منها المنشار) وهى سمكة عظيمة كالجبل العظيم ومن رأسها إلى ذنبها كالمنشار من عظام سود مثل الآبنوس كل سن منها أطول من ذراعين وعند رأسها عظمان طويلان طول كل واحد عشرة أذرع تضرب بالعظمين يمينا وشمالا فى الماء فيسمع لها صوت عظيم ويخرج الماء من فيها ومناخيرها

ويصعد نحو السماء رمية سهم وينعكس على المركب كالسيل وهى بعيدة عن المركب وإذا عبرت تحت المركب قطعتها نصفين فاذا رآها أصحاب المركب يبكون ويضجون إلى الله تعالى بالدعاء ويتحاللون ويتودعون ويصلون صلاة الموت خوفا منها .

(وسمكة البال) وهى سمكة طولها من أربعمائة ذراع إلى خمسمائة وستمائة تظهر فى بعض الأوقات طرف جناحها كالشراع العظيم وتخرج رأسها من الماء وتنفخ فيصعد الماء كرمية سهم فى العلو فاذا أحس بها أهل المراكب ضربوا الطبول والصنوج وصاحوا حتى تذهب وهى تحوش بذنبها وأجنحتها السمك إلى فمها فاذا زاد بغيها فى البحر على دوابه أرسل الله عليها سمكة طول ذراع تسمى اللشك فتلتصق بأذنها فلا تجد البال منها خلاصا فتطلب قعر البحر وتضرب برأسها الأرض حتى تموت فتطفو على وجه الماء كالجبل العظيم فيجرونها بالكلاليب والحبال ويشقون بطنها فيخرج منها العنبر كالتل العظيم لأنها تأكله وتعرفه التجار بشوكته .

فصل فى بحر المغرب وعجائبه وغرائبه

وهو بحر الشام وبحر القسطنطينية مخرجه من المحيط يأخذ مشرقا فيمر بشمالى الأندلس ، ثم ببلاد الفرنج إلى القسطنطينية ويمتد ببلاد الجنوب إلى سبتة إلى طرابلس الغرب إلى الاسكندرية ثم إلى سواحل الشام إلى أنطاكية

وذكر فى كتاب أخبار مصر أنه بعد هلاك الفراعنة كانت ملوك بنى دلوكة فى شق البحر المحيط من المغرب وهو البحر المظلم فتغلب الماء على بلاد كثيرة وممالك عظيمة فأخربها وركبها وامتد إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجزاً بين بلاد مصر وبلاد الروم على أحد ساحليه المسلمون وعلى الآخر النصارى وهناك مجمع البحرين وهما بحر الروم والمغرب وعرضه ثلاثة فراسخ وطوله خمسة وعشرون فرسخا والمد والجزر هناك فى كل يوم

وليلة أربع مرات وذلك أن البحر الأسود وهو بحر المغرب عند طلوع الشمس يعلو فيصب في مجمع البحرين حتى يدخل في بحر الروم وهو البحر الأخضر إلى وقت الزوال فاذا زالت الشمس غاض البحر الأسود وانصب فيه الماء من البحر الأخضر إلى مغيب الشمس ويعلو البحر الأخضر على الدوام وفى هذا البحر من الجزائر شيء كثير .

فمن جزائره جزيرة (الأندلس) وقد تقدم ذكرها .

(وجزيرة مجمع البحرين) وهي جزيرة كبيرة وفيها منارة مبنية بالصخر المانع الصلد لها أساس راسخ ولا باب لها ولا يعمل فيها الحديد وعلوها أكثر من مائة ذراع وعلى رأسها صورة إنسان ملتحف بثوب كأنه من ذهب ويده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود كأنه يشير بأصبعه لذلك الموضع من العدو .

(وجزيرة صقلية) وهي جزيرة عظيمة بها أنهار وأشجار وثمار ومزارع ، وبها جبل يقال له جبل البركات يظهر منه في النهار دخان وبالليل نار يطير منه شرر إلى البحر فتصير حجارة سوداء مثقبة تحرق كل شيء صادفته وتطفو على وجه الماء ويأخذها الناس فيستعملونها في الحمامات لحدة الأرجل

(جزيرة قريطس) وهي في بحر الروم ، وبها معادن الذهب .

(جزيرة طاوزاق) وهو ملك له أربعة آلاف امرأة وليس له ولد وعندهم شجر إذا أكلوا منه أفادهم القوة في الجماع وأطاق الواحد منهم أن يجامع في اليوم مائة مرة وأكثر .

(الجزيرة السيارة) أخبر البحريون أنهم رأوها مرارا كثيرة فيها أشجار وعمارات وجبال كلما هبت الريح عليها من المغرب سارت لنحو المشرق وكلما هبت من المشرق سارت لنحو المغرب وحجارتها خفاف فترى الحجر تظن أنه قنطار فيكون رطلا واحدا .

وذكر بعض اليهود أن مركبهم انكسر على هذه الجزيرة فأقاموا أياما لم يكن غذاؤهم إلا السمك ووقعوا في جزيرة حجارتها وجبالها ووهادها وترابها كلها ذهب ، وكان قد سلم معهم زورق المركب فأوسقوه من ذلك الذهب فوق طاقته وسافروا فلم يسيروا إلا قليلا حتى عطب الزورق ولم ينج إلا من قدر على السباحة .

(جزيرة تنيس) وهى فى بحر الروم وفيها مدن كثيرة ويخرج إليها من البحر نوع من السمك فيقيم بها يوما وينقطع ويظهر نوع آخر ويقيم يوما وينقطع ويظهر نوع ولا يزال كذلك إلى آخر السنة تتمة ثلثمائة وستين نوعا ثم يعود النوع الأول كالعادة .

(وجزيرة النوم) بها أشجار وثمار وأزهار من شم شيئا منها نام من ساعته .

(جزيرة خالطة) قال أبو حامد الأندلسى رأيت هذه الجزيرة ، وبها من الغنم شىء لا يحصى كالجراد المنتشر لا ينفر من الناس يأخذ أهل المراكب منها ما شاءوا وبها أشجار وثمار وأعشاب وليس بها إنس ولا جان .

(جزيرة الدير) ذكر البحريون أنها بقرب قسطنطينية وفيها دير غائب فى البحر فينكشف عنه الماء يوما فى السنة وتحج أهل تلك النواحى إليه ويبقى ظاهرا إلى وقت العصر ثم يزيد الماء فيغطيه إلى العام القابل .

(جزيرة الكنيسة) ذكر أبو حامد الأندلسى أن بهذه الجزيرة جبلا على شاطىء البحر الأسود عليه كنيسة منقورة فى الصخر فى الجبل وعليها قبة عظيمة وعلى تلك القبة طائر غراب يطير ويحط ولا يزال عليها ومقابل القبة مسجد يزوره المسلمون ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب وقد شرط على أهل تلك الكنيسة ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين فاذا قدم زائر للمسجد أدخل الغراب رأسه إلى داخل الكنيسة وصاح صيحات بعدد الزوار إن كان واحد فواحدة أو اثنين فاثنتان أو عشر فعشرة لا يخطىء أبدا فينزل أهل تلك الكنيسة بالضيافة إليهم على عدتهم لا يزيدون ولا ينقصون

وذكر القسيسون أنهم ما زالوا يرون ذلك الغراب ولا يدرون من أين مأكله ومشربه وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب .

ومن عجائب هذا البحر ما ذكره أبو حامد من أنه قال لما غاض بحر الروم انكشف عن مدن وعمارات لا توصف . وبه الشيخ اليهودى وهو حيوان كالانسان وله لحية بيضاء وبدن كبدن الضفدع وشعره كشعر البقر وهو فى قدر البغل يخرج من البحر فى كل ليلة سبت فلا يزال فى البر حتى تغيب الشمس فيثب وثبة فلا يلحقه أحد وهو يثب كما يثب الضفدع .

وحدث عبد الرحمن بن هرون المغربى قال : ركبت هذا البحر فوصلنا إلى موضع يقال له الرطون ، وكان معنا غلام صقلبى ومعه صنارة فدلاها فى البحر فصاد سمكة قدر الشبر فنظرنا فاذا مكتوب خلف أذنها الواحدة لا إله إلا الله وفى قفاها وخلف أذنها الأخرى محمد رسول الله .

(البغل) وهو سمكة كبيرة ، قال أبو حامد الأندلسى رأيت هذه السمكة بمجمع البحرين مثل الجبل العظيم وقد لازمتها سمكة أكبر منها فى الظلمات فهربت المسماة بالبغل منها وجدت الأخرى فى طلبها ولما عاين البغل منها الجد صاحت صيحة عظيمة ما سمع أهول منها فكادت قلوبنا أن تنشق من الخوف واضطرب البحر وكثرت أمواجه وخفنا الغرق وأتت السمكة الطالبة لتعبر خلف البغل من الظلمات إلى مجمع البحرين فلم تقدر لعظمها .

(حوت موسى عليه السلام) قال أبو حامد رأيت سمكة تعرف بنسل الحوت فى مدينة سبتة وهو الحوت المشوى الذى صحبه موسى ويوشع حين سافرا فى طلب الخضر عليهم السلام . وهى سمكة طولها ذراع وعرضها شبر وأحد جانبيها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشائها ورأسها نصف رأس بعين واحدة فمن رآها من هذا الجانب استقذرها ونصفها الآخر صحيح بهيج والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الرؤساء سيما اليهود .

(وسمكة كأنها قلنسوة سوداء) قال أبو حامد رأيت هذه السمكة وفى

جوفها شبه المصارين ولا رأس لها ولا عين ، ولها مرارة كمرارة البقر سوداء فإذا صادها أحد تحركت فيسود ما حولها من الماء حتى يبقى كالحبر الدخانى وأظنه من مرارتها فيؤخذ ذلك الماء ويكتب به فى الورق وهو أحسن من الحبر وأعظم سوادا وأثبت وأجود وأبص منه .

(وسمكة) يقال لها الخطاف على ظهرها جناحان تخرج من الماء وتطير حيث شاءت ثم تعود إلى الماء .

(وسمكة تعرف بالمنارة) وهذه السمكة تخرج يدنها من الماء وتقف على عجزها كالمنارة ثم ترمى بنفسها على المركب العظيم فتغرقه وتهلك أهله فإذا أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات وأضرموا مكاحل النفط فتهرب عنهم .

(وسمكة) كبيرة إذا نقص عنها الماء بقيت على الطين ملقاة ولا تزال تضطرب إلى مقدار ست ساعات ، ثم تنسلخ من جلدها ويظهر لها جناحان من تحت إبطها فتطير مع عظمتها إلى بحر آخر وهذا من أعظم عجائب القدرة .

(ومنها التنانين) وهى كثيرة فى هذا البحر ولاسيما عند طرابلس واللاذقية .

فصل في بحر الخزر

وهو بحر الأتراك وهو فى جهة الشمال شرقيه جرجان وطبرستان وعلى شماله بلاد الخزر وغربيه اللان وجبال القبق وعلى جنوبه الجيل والديلم وهو بحر واسع ولا اتصال له بشىء من البحار وهو بحر صعب خطر المسلك سريع الهلاك شديد الاضطراب والأمواج لا جزر فيه ولا مد وليس فيه شىء من اللآلىء والجواهر .

ذكر السمرقندى فى كتابه : أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر فبعث قوما فى مركب وأمرهم بالمسير فيه سنة كاملة لعل أن يأتوه بخبر ساحل فساروا بالمركب سنة كاملة فلم يروا شيئا سوى سطح الماء وزرقة السماء فأرادوا الرجوع ، فقال بعضهم نسير شهرا آخر لعلنا أن نرجع بخبر فساروا

شهرا آخر فاذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهم كلام الآخر فدفع قوم ذى القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلا ورجعوا إلى الاسكندر وأخبروه بالأمر، قال فزوج الاسكندر الرجل بامرأة من عسكره فأتت بولد يفهم كلام الوالدين، فقال له: سل أباك من أين جئت فسأله، فقال: جئت من ذلك الجانب، فقيل له: فهل هناك ملك؟ قال: نعم أعظم من هذا الملك، قيل فكم لكم فى البحر؟ قال سنتين وشهرين، وقيل إن دور هذا البحر ألفان وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة فرسخ وعرضه ستمائه فرسخ وهو مدور الشكل إلى الطول أميز. وبهذا البحر عجائب كثيرة

منها ما ذكره أبو حامد عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر قال: لما توجهت من عند الخليفة اليهم أقمت عندهم مدة فرأيتهم يوما قد اصطادوا سمكة عظيمة فجذبوها بالكلاليب والحبال فانتفخت أذن السمكة فخرج منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر سوداؤه حسنة الصورة طويلة القامة كأنها القمر المبدر وهى تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح وفى وسطها غشاء لحمى كالثوب الضيق من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود عليها فما زالت كذلك حتى ماتت.

ومنها التنين ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم يشبه السحاب الأسود وينظر اليه الناس وزعموا أنها دابة عظيمة فى البحر تؤذى دوابه فيبعث الله عليها سحابا من سحب قدرته فيحملها ويخرجها من البحر وهى صفة حية سوداء لا يمر ذنبها على شىء من الأبنية العظام إلا سحقته وهدمته ولا من الأشجار إلا هدتها وربما تنفست فأحرقت الأشجار والنباتات قال فيلقيها السحاب فى الجزائر التى بها يأجوج ومأجوج فتكون لهم غذاء وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما هذا القول.

وحكى: أن الاسكندر لما أن فرغ من السد وأحكمه سر بذلك سرورا عظيما وأمر بسرير فنصب له على السد فرقى عليه وحمد الله تعالى وأثنى عليه

ثم قال : يارب الأرباب ومسهل الصعاب أنت ألهمتني بسد هـذا المكان صونا للبلاد ، وراحة للعباد ، وقمعا لهذا العدو المطبوع على الفساد ، فأحسن لى المثوبة فى يوم المعاد ، ورد غربتى وأحسن أوبتى ثم سجد سجدة أطال فيها ، ثم استوى على فراشه واستلقى على ظهره لانتعاشه وقال : الآن قد استرحت من سطوة الخزر ومقاساة الأتراك ثم أغفى إغفاءة فطلع طالع من البحر حتى سد الأفق بطوله وارتفع كالغمامة العظيمة السوداء فسد الضوء عن الأرض فبادرت الجيوش والمقاتلة إلى قسيهم واشتد الصياح فانتبه الاسكندر ونادى ما الذى نابكم وما شأنكم فقالوا الذى ترى قال أمسكوا عن سلاحكم وكفوا عن انزعاجكم لم يكن الله عز وجل ليلهمنى لما أراد ويغربنى عن أهلى ومسقط رأسى فى البلاد لإصلاح الخلق والعباد مدة عشرين سنة وستة شهور ثم يسلط على بهيمة من بهائم البحر المسجور ، فكف الناس عن السلاح وأقبل الطالع نحو السد حتى علاه وارتفع عليه رمية سهم ثم قال : أيها الملك أنا ساكن هذا البحر وقد رأيت هذا المكان مسدودا سبع مرات وفى وحى الله عز وجل أن ملكا عصره عصرك ، وصورته صورتك ، وصوته صوتك ، واسمه اسمك ، يسد هذا الثغر سداً مؤبداً فأحسن الله معونتك وأجزل مثوبتك ورد غربتك وأحسن أوبتك فأنت ذلك الملك الهمام وعليك من الله السلام . ثم غاب عن بصره فلم يعلم كيف ذهب .

وليكن هذا آخر الكلام على البحار والجزائر والعجائب .

فصل فى ذكر المشاهير من الأنهار وعجائبها

قيل : إن الأمطار والثلوج إذا وقعت على الجبال تنصب إلى مغارات بها وتبقى مخزونة فيها فى الشتاء فان كان فى أسافل الجبال منافذ ينزل الماء من تلك المنافذ فيحصل منها الجداول وينضم بعضها إلى بعض فتحدث منها الأنهار والغدران والأودية فان كانت المغارات التى هى الخزانات لهذه المياه فى أعالى

الجبل استمر جريانه أبداً من غير انقطاع لأن المياه تنصب إلى سفح الجبل ولا تنقطع لاتصال الامتداد من الأمطار والثلوج ، وإن انقطعت لانقطاع المدد بقيت المياه بها واقفة كما ترى فى الأودية من الغدران التى تجرى فى وقت وتنقطع فى وقت .

قال بطليموس فى كتاب جغرافيا : إن بهذا الربع المسكون مائة نهر طوال كل نهر منها من خمسين فرسخاً إلى ألف فرسخ . فمنها مايجرى من المشرق إلى المغرب . ومنها مايجرى بالعكس . ومنها مايجرى من الشمال إلى الجنوب . ومنها ما يجرى بالعكس . وكلها تبتدئ من الجبال وتصب فى البحار بعد انتفاع العالم بها وفى ضمن ممرها تتصور بطائح وبحيرات فاذا صبت فى البحر المالح وأشرقت الشمس على البحار فتصعد إلى الجو بخاراً ثم تنعقد غيوما وأندية كالدولاب الدائر فلا يزال الأمر كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله فسبحان المدبر لمملكته بدائع حكمته لا إله إلا هو .

فأول مانبدأ بذكره (نهر أثل) وهو نهر عظيم فى بلاد الخزر يقارب دجلة ومجيئه من أرض الروس وبلغار ومصبه فى بحر الخزر وقد ذكر الحكماء أنه يتشعب من هذا النهر خمس وسبعون شعبة كل شعبة منها نهر عظيم وعموده لايتغير ولا ينقص ذرة لغزارة مائه وقوة امتداده فاذا انتهى إلى البحر يجرى فيه يومين ولونه بائن من لون البحر ثم يختلط ويجمد فى الشتاء لعذوبته وفى هذا البحر حيوانات عجيبة .

حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر من خلفاء بنى العباس إلى بلغار قال : لما دخلت بلغار سمعت أن عندهم رجلا عظيما فى الخلقة فسألت الملك عنه فقال نعم : ماكان من بلادنا ولكن قوم خرجوا إلى نهر أثل وكان قد مد وطغى ثم أتوا وقالوا أيها الملك إنه قد طغى على وجه الماء رجل كأنه من أمة بالقرب منا فان كان ذاك فلا مقام لنا فركبت معهم حتى سرت إلى النهر فاذا برجل طوله اثنا عشر ذراعاً ورأسه كأكبر ما يكون من القدور وأنفه نصف ذراع وعيناه عظيمتان وكل أصبع أطول من شبر فأخذنا نكلمه

وهو لا يزيد على النظر إلينا فحملته إلى مكانى وكتبت إلى راسوا كتابا وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر أستخبرهم عن أمره فعرفونى أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج وقالوا إن البحر يحول بيننا وبينهم فأقام بين أظهرنا مدة ثم اعتل فمات .

(نهر أذربيجان) قال صاحب المسالك والممالك الشرقية إن هذا البحر يجرى ماؤه ويستحجر فيصير صفائح صخر فيستعملونه فى البناء .

(نهر اشعار) قال صاحب تحفة الغرائب إن هذا النهر يخرج من موضع يقال له فج عروس ويفيض تحت الأرض ثم يخرج من مكان بعيد ثم يفيض ثانيا بين أرض منادرة وبطليوس ويخرج وينصب فى البحر

(نهر جيحون) قال الاصطخرى : نهر جيحون يخرج من حدود بدخسان ثم تنضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل ودخس فيصير نهراً عظيما ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم ولا ينتفع به شىء من البلاد فى ممره إلا خوارزم ثم ينصب فى بحيرة خوارزم التى بينها وبين خوارزم ستة أيام . وهذا النهر يجمد فى الشتاء عند قوة البرد فيصير قطعا ، ثم تصير القطع قطعا على وجه الماء حتى يلصق بعضها ببعض إلى أن تصير سطحا واحدا على وجه الماء ويثخن حتى يصير سمك ذراعين أو ثلاثة أذرع ويستحكم حتى تعبر عليه العجلات والقوافل المحملة ، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق . والماء يجرى تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم بالمعاول آبارا يستقون منها ويبقى كذلك شهرين فاذا انكسر البرد تقطع قطعا كما بدأ أول مرة ويعود إلى حالته الأولى وهو نهر قتال قل أن ينجو منه غريق .

(نهر حصن المهدى) قال صاحب تحفة الغرائب : هو بين البصرة والأهواز وهو نهر كبير ويرتفع منه فى بعض الأوقات منارة يسمع منها أصوات كالطبل والبوق ثم تغيب ولا يعرف شأن ذلك .

(نهر خزلج) وهو بأرض الترك وفيه حيات إذا وقعت عين ابن آدم عليها يغشى عليه .

(دجلة) هى نهر بغداد مخرجه من أصل جبل بقرب آمد عند حصن ذى القرنين وكلما امتد انضم إليه مياه جبال ديار بكر وبآمد يخاض فيه بالدواب ويمتد إلى ميافارقين وإلى حصن كيفا وإلى جزيرة ابن عمر وإلى الموصل وتنصب فيه الزيادات ومنها يعظم أمره ويستمر ممتدا إلى بغداد إلى واسط إلى البصرة وينصب فى بحر فارس وماء دجلة أعذب المياه وأكثرها نفعا لأن ماءه من مخرجه إلى مصبه جار فى العمارات .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أوحى الله عز وجل إلى دانيال عليه السلام أن أجر لمصالح عبادى نهرا واجعل مصبه فى البحر فقد أمرت الأرض أن تطيعك قال فأخذ خشبة فجرها فى الأرض والماء يتبعه وكلما مر بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ ناشده الله فيحيد عنهم وهو الدجلة وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه .

وحكى أنهم وجدوا فيه غريقا فأخذوه فاذا فيه رمق فلما رجعت روحه إليه سألوه عن مكانه الذى وقع منه فأخبرهم فكان من موضع وقوعه إلى موضع نجاته خمسة أيام .

(نهر الذهب) وهو بأرض الشام وبلاد حلب زعم أهل حلب أنه وادى بطنان ومعنى قولهم نهر الذهب أن جميعه يباع أوله بالميزان ، وآخره بالكيل . فان أوله تزرع عليه الحبوب والبزور ، وآخره ينصب إلى بطيحة فرسخين فى فرسخين فينعقد ملحا .

(نهر الرس) بأذربيجان وهو شديد الجرى وبأرضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطاة بالماء ولهذا السبب لا تجرى فيه السفن وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه .

حكى : ديسم بن ابراهيم صاحب أذربيجان قال كنت مجتازا على قنطرة الرس بعسكرى فلما صرت بوسط القنطرة رأيت امرأة ومعها طفل فى قماطه إذ صدمتها دابة فانقلب الطفل من يدها إلى الماء فما وصل إلى الماء إلا بعد زمان لبعد ما بين ظهر القنطرة ووجه الماء ثم غاص الطفل وطفا على وجه

الماء وسلم من تلك الأحجار والقرابيص وجرى مع الماء. والآم تصيح
وللعقبان أوكار على حروف النهر فأرسل الله عز وجل عقاباً منها فانقض
على الطفل ورفعه بقماطه وخرج به إلى الصحراء فصحت بأصحابى إليه
فركضوا فى أثر العقاب فاذا العقاب قد اشتغل بحل القماط فلما أدركوه
وصاحوا عليه طار العقاب وترك الطفل فوجدوه سالما موقى فردوه إلى أمه
وهو ساكت.

(نهر الزاب) وهونهر بين الموصل وأربل يبتدئ من أذربيجان وينصب
فى دجلة يقال له الزاب المجنون لشدة جريه قال القزوينى شربت من مائه فى
شدة القيظ فاذا هو أبرد من الثلج والبرد وذلك لشدة جريه وعدم تأثير
الشمس فيه.

(نهر زرود) وهو بأصبهان موصوف باللطافة والعذوبة يغسل فيه
الثوب الخشن فيعود أنعم من الخز والحرير وهو يخرج من قرية يقال لها
ماكان ويعظم بانضمام الماء إليه عند أصبهان ويسقى بساتينها ورساتيقها ثم
يغور فى رمل هناك ويظهر بكرمان ويجرى وينصب فى بحر الهند. ذكروا
أنهم أخذوا قصبة وعلموها وأرسلوها فى موضع غوران الماء فخرجت بكرمان

(نهر سبحة) وهو نهر بين حصن منصور ويكسوم لا يتهيأ خوضه لأن
قراره رمل سيال وعلى هذا النهر قنطرة وهى إحدى عجائب الدنيا لأنها عقد
واحد من الشط إلى الشط مقدار مائتى خطوة من حجر صلد مهندم طول كل
حجر عشرة أذرع.

وحكى: أن عند أهل تلك البلدة بالأرض لوحا عليه طلسم فاذا انعاب
من تلك القنطرة مكان أدلوا ذلك اللوح إلى موضع العيب فينعزل الماء
عنه ويحيد فيتصلح ذلك الموضع بلا مشقة ويرفع اللوح فيعود الماء
إلى مكانه.

(نهر سلق) بافريقية الغرب وهو نهر كبير يجرى فيه الماء بند كل ستة

ايام يوما واحداً وهذا دأبه دائما وقيل هو نهر صقلاب .

(نهر طبرية) هو نهر عظيم والماء الذى يجرى فيه نصفه بارد ونصفه حار فلا يختلط أحدهما بالآخر فاذا أخذ من الماء الحار فى إناء وضربه الهواء صار باردا .

(نهر العاصى) هو نهر حماة وحمص مخرجه من قدس ومصبه فى البحر بأرض السويدية من أنطاكية وسمى العاصى لأن أكثر الأنهار هناك تتوجه نحو الجنوب وهذا يتوجه نحو الشمال .

(نهر الفرات الأعظم) هو نهر عظيم عذب طيب ذوهيبة مخرجه من أرمينية ثم يمتد إلى قالى قلا بالقرب من خلاط ، وإلى ملطية ، وإلى شميصات وإلى الرقة ثم إلى غانة إلى هيت فيسقى هناك المزارع والبساتين والرساتيق ثم ينصب بعضه فى دجلة وبعضه يسير إلى بحر فارس .

(وللفرات فضائل كثيرة) روى«أن أربعة أنهار من أنهار الجنة سيحون وجيحون والنيل والفرات» .

وعن على رضى الله عنه قال : يا أهل الكوفة إن نهركم هذا ينصب إليه ميزابان من الجنة .

وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه شرب من ماء الفرات ثم استزاد وحمد الله تعالى وقال : ما أعظم بركته لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ما انغمس فيه ذو عاهة إلا برئ .

وعن السدى أن الفرات مد فى زمن عمر رضى الله عنه فألقى رمانة عظيمة فيها كر من الحب فأمر المسلمين أن يقسموها بينهم وكانوا يرون أنها من الجنة .

(نهر القورج) هو نهر بين القاطول وبغداد وكان سبب حفره أن كسرى أنوشروان ملك الفرس لما حفر القاطول أضر بأهل الأسافل فخرج أهل تلك النواحى للتظلم فرآهم فثنى رجله على دابته ووقف وكان قد خرج

متنزها فقال بالفارسية ما شأنكم أيها المساكين قالوا لقد جئناك متظلمين قال ممن ؟ قالوا من ملك الزمان كسرى أنوشروان فنزل عن دابته وجلس على التراب وقال بالفارسية : زنهاراى مسكينان فأتى بشيء ليجلس عليه فأبى وأدناهم منه ونظر إليهم وبكى وقال : قبيح وعار على ملك يظلم المساكين ما ظلامتكم ؟ قالوا ياملك الزمان حفرت القاطول فانقطع الماء عنا وقد بارت أراضينا وخربت . فدعا كسرى بموبذانه وقال له ماجزاء ملك أضر برعيته من غير قصد ؟ قال الموبذان جزاؤه أن يجلس على التراب كما فعل ملك الزمان ويرجع عن الخطأ إلى الصواب وإلا سخطت عليه النيران فقال : قد رجعت عما وقعت فيه فهل ترضون بسد ماحفرت قالوا : لانكلف الملك ذلك . قال : فما تريدون ؟ قالوا مرنا أن نجرى من القاطول نهراً لنحيي أرضنا فقال لا أكلفكم ذلك ثم أمر أصحابه وجنوده بالاقامة فى مجلسه وقال : لا أبرح من مكانى حتى أرى نهراً يجرى دون القاطول يسقى أراضى هؤلاء المساكين والجانى أولى بالخسارة فما برح من مكانه ذلك حتى أجرى لهم نهراً دون القاطول بناحية القورج وساقوا الماء إلى أراضيهم وعمرت وسقوا منها أنفسهم ومواشيهم فهذا كان عدله فى رعيته وهو كافر يعبد النيران .

(نهر الكر) هو بين أرمينية وأزال وهو نهر مبارك وكثيراً ما ينجو غريقه قال بعض فقهاء نقجوان وجدنا غريقا فى الكر يجرى به الماء فبادر القوم إليه فأدركوه على آخر رمق فلما رجعت إليه روحه قال فى أى موضع أنا ؟ قالوا فى نقجوان قال إنى وقعت فى الموضع الفلانى فاذا مسيرة ذلك المكان ستة أيام فطلب منهم طعاما فذهبوا ليأتوه به فانقض عليه جداز فمات

(نهر مهران) وهو بالسند عرضه عرض جيحون يجرى من المشرق إلى المغرب ويقع فى بحر فارس قيل إنه يخرج من جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون وهو نهر عظيم فيه تماسيح كنيل مصر إلا أنها أضعف وأصغر وهو يمتد على الأرض ويزرع عليه كما يزرع على النيل وينقص ويزيد كالنيل حذو

النمل بالنعل ولا يوجد التمساح قط إلا بنهر مهران والنيل .

(نهر مكران) هو نهر عظيم عليه قنطرة قطعة واحدة من عبر عليها يتقايأ جميع مافى بطنه ولو كانوا ألوفا وإن وقفوا عليه زمانا هلكوا من القىء

(نهر اليمن) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض اليمن نهر من طلوع الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب . ومن غروب الشمس يجرى من المغرب إلى المشرق .

(نهر هندمند) وهو بسبجستانة ينصب فيه ألف نهر ولا يتبين فيه زيادة ويتشعب منه ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان بل هو فى الحالين سواء

(نهر العمود) وهو بالهند عليه شجرة باسقة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من جنسها ارتفاعه عشرة أذرع وفى رأس العمود ثلاث شعب غلاظ مستوية محددة كالسيوف وعنده رجل يقرأ كتابا ويقول للنهر يا عظيم البركة وسيل الجنة أنت الذى خرجت من عين الجنة فطوبى لمن صعد على هذه الشجرة وألقى نفسه على هذا العمود فيصعد ممن حوله رجل أورجال فيلقون أنفسهم على ذلك العمود ويقعون فى الماء فيدعوا لهم أهلوهم بالمصير إلى الجنة .

(وفى الهند نهر آخر) ومن أمره أن يحضره رجال بسيوف قاطعة فاذا أراد الرجل من عبادهم أن يتقرب إلى الله تعالى بزعمهم أخذوا له الحلى والحلل وأطواق الذهب والأسورة بالكثرة ويخرجون به إلى هذا النهر فيطرحونه على الشط فيأخذ أصحاب السيوف ما عليه من الزينة والأطواق والأسورة ويضربونه بالسيوف حتى يصير قطعتين فيلقون نصفه فى مكان ونصفه فى مكان آخر بالبعد عنه ويزعمون أن هذا النهر وما قبله خرجا من الجنة .

(نهر النيل المبارك) ليس فى الدنيا نهر أطول منه لأنه مسيرة شهرين فى الاسلام وشهرين فى الكفر وشهرين فى البرية وأربعة أشهر فى الخراب ومخرجه من بلاد جبل القمر خلف خط الاستواء ويسمى جبل القمر لأن القمر

لا يطلع عليه أصلا لخروجه عن خط الاستواء وميله عن نوره وضوئه يخرج من بحر الظلمة ويدخل تحت جبال القمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها » .

وكان عبقام وهو هرمس الأول قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل المعروف بالقمر ورأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ويدخل تحت القمر وبنى فى سفح ذلك الجبل قصرا فيه خمسة وثمانون تمثالا من نحاس جعلها جامعة لما يخرج من الماء من هذا الجبل معاقد ومصاب فى إحكام مدبرة يجرى الماء منه إلى تلك الصور والتماثيل فيخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع معدودة فتصب إلى أنهار كثيرة فيتصل بالبطيحتين ويخرج منهما حتى يصل إلى البطيحة الجامعة وعلى هذه البطيحة بلاد السودان . ومدينتها العظمى (طرمى) وبالبطيحة جبل معترض يشقها ويخرج نحو الشمال مغربا ويخرج النيل منه نهرا واحدا ويفترق فى أرض النوبة ففرقة إلى أقصى المغرب وعلى هذه الفرقة غالب بلاد السودان والفرقة التى تنصب إلى مصر منحدرة من أرض أسوان تنقسم فى مجرى البلاد على أربع فرق كل فرقة إلى ناحية ثم تصب فى بحر الاسكندرية ويقال إن ثلاثة منها تصب فى البحر الشامى وفرقة تصب فى البحيرة الملحة التى تنتهى إلى الاسكندرية والأذرع التى صنعها عبقام هى ثمانية عشر ذراعا كل ذراع اثنتان وثلاثون أصبعا وما زاد على ذلك فهو سائر إلى رمال وغياض لا منفعة فيها ولولا ذلك لغرقت البلاد .

وذكروا أن سيحون وجيحون والنيل والفرات كلها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال هناك وتسلك على البحر المظلم وهى أحلى من العسل وأذكى رائحة من المسك ولكنها تتغير بتغير المجارى وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد فى شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل . وسبب مده أن الله تعالى

يبعث عليه الريح الشمالى فتغلب عليه من البحر المالح فيصير كالسكر له فيزيد حتى يعم البلاد فاذا بلغ حد الرى بعث الله عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر ، ولما كان زمن يوسف عليه السلام اتخذ بمصر مقياسا يعرف به مقدار الزيادة والنقصان فاذا زاد على قدر الكفاية يستبشرون بخصب البلاد وهو عمود قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل ولها طريق يدخل إليها منها الماء وعلى ذلك العمود خطوط معروفة بالأصابع والأذرع ، وكانت كفايتهم فى ذلك الوقت أربعة عشر ذراعا فاذا استوى الماء كما ذكرنا فى الخلجان والوهاد يملأ جميع أرض مصر فاذا استوفت الأرض ريها انكشفت تربتها وزرع عليها أصناف الزرع وتكتفى بتلك الشربة الواحدة وليس فى الدنيا نهر يشبهه إلا نهر الملتان وهو نهر السند. شعر فى المعنى:

إن مصرا لأطيب الأرض طرا ليس فى حسنها البديع التباس
وإذا قستها بأرض سواها كان بينى وبينك المقياس

وحكى : أن رجلا من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام يسمى جايدا ، لما دخل مصر ورأى عجائبها آلى على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل إلى منتهاه أو يموت فسار ثلاثين سنة فى العامر وثلاثين سنة فى الخراب حتى انتهى إلى بحر أخضر فرأى النيل يشق ذلك البحر ، وأنه ركب دابة هناك سخرها الله له فعدت به زمانا طويلا وأنه وقع فى أرض من حديد جبالها وأشجارها حديد ، ثم وقع فى أرض من نحاس جبالها وأشجارها نحاس ، ثم وقع فى أرض من فضة جبالها وأشجارها فضة ، ثم وقع فى أرض من ذهب جبالها وأشجارها ذهب ، وأنه انتهى فى مسيره إلى سور مرتفع من ذهب وفيه قبة عالية من ذهب لها أربعة أبواب والماء ينحدر من ذلك السور ويستقر فى تلك القبة ، ثم يخرج من الأبواب الأربعة فمنها ثلاثة تغيض فى الأرض والرابع يجرى على وجه الأرض وهو النيل والثلاثة سيحون وجيحون والفرات ، وأنه أتاه ملك حسن الهيئة ، فقال له

السلام عليك يا جايد هذه الجنة ، ثم قال له إنه سيأتيك رزق من الجنة فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا ، فبينما هو كذلك إذ أتاه عنقود من العنب فيه ثلاثة ألوان لون كاللؤلؤ ولون كالزبرجد الأخضر ولون كالياقوت الأحمر ، فقال له الملك : يا جايد هذا من حصرم الجنة فأخذه جايد ورجع ، فرأى شيخا تحت شجرة من تفاح فحدثه وآنسه ، وقال له ياجايد : ألا تأكل من هذا التفاح ، فقال : إن معى طعاما من الجنة وإنى لمستغن عن تفاحك ، فقال له : صدقت يا جايد إنى لأعلم أنه من الجنة ، وأعلم من أتاك به وهو أخى وهذا التفاح أيضا من الجنة ولم يزل به ذلك الشيخ حتى أكل من التفاح وحين عض على التفاحة رأى ذلك الملك وهو يعض على أصبعه ، ثم قال له أتعرف هذا الشيخ قال لا ، قال هو والله الذى أخرج أباك آدم من الجنة ولو قنعت بالعنقود الذى معك لأكل منه أهل الدنيا مابقيت الدنيا ولم ينفد وهو الآن مجهودك إلى مكانك ، قال فبكى جايد وندم وسار حتى دخل مصر وجعل يحدث الناس بما رأى فى مسيره من العجائب .

(بحيرة تنيس) قيل إنها كانت جنات عظيمة وبساتين وكانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد إتريب بن مصر ، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا فأنفق المؤمن ماله فى وجوه البر والخير حتى إنه باع حصته فى الجنات والبساتين إلى أخيه الكافر فزاد فيها ألفا من الجنات والبساتين وأجرى خلالها أنهارا عذبة فاحتاج أخوه المؤمن إلى ما فى يده فمنعه وسبه وجعل يفتخر عليه بماله ويقول له أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، فقال له أخوه المؤمن إنى ما أراك شاكراً لله تعالى ويوشك أن ينتزعها منك ، فقال هذا كلام لاأسمعه ومن ينتزع منى ذلك فدعا المؤمن عليه فجاء البحر وأغرق ذلك كله فى ليلة واحدة حتى صارت كأن لم تكن . وقد ورد فى الكتاب العزيز ذكر قصتها فى سورة الكهف فى قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ﴾ إلى قوله

{خير ثوابا وخير عقبا} وكان لتنيس مائة باب ويقال إن هذه البحيرة تصير عذبة ستة أشهر، ثم تصير ملحا أجاجا ستة أشهر وهذا دأبها أبدا بإذن الملك القادر.

(وبمدينة قليوب بحيرة) ظهر بها فى سنة من السنين نوع من السمك كانت عظامها ودهنها تضىء فى الليل المظلم كالسراج من أخذ من عظامها عظمة فى يده أضاءت معه كالشمعة الرائقة إلى منزله وحيث شاء وأغنت الناس عن إيقاد السرج فى بيوتهم وإذا دهن بدهنها أصبعا من أصابعه فكذلك تضىء أصبعه كالسراج الوهاج حتى حكى أن بعض الناس تلوثت أصابعه من ذلك الدهن فمسح بها فى حائط بيته فبقي أثر الدهن فى الحائط فكان ذلك الأثر يضىء فى الحائط كأربع شمعات ثم انقطع مجىء ذلك النوع من السمك فلم يوجد بها شىء منها إلى يومنا هذا.

(نهر الرمل) هو نهر فى أقصى بلاد المغرب جار كالأنهار لا ينقطع جريانه ومن نزل فيه هلك، ويقال إن ذا القرنين وصل إليه ورآه ونظر إلى الرمل وجريانه فبينما هو ناظر إليه إذ انكشف الرمل وانقطع الجريان فأمر أناسا من أصحابه أن يعبروا فيه فعبروا ولم يعودوا إليه وهلكوا فنصب ذو القرنين هناك شخصا قائما كالمنارة من النحاس الأصفر وأحكمه وكتب عليه ليس وراء هذا شىء فلا يتجاوزه أحد. وليكن هذا آخر الكلام على ذكر الأنهار وعجائبها.

فصل فى عجائب العيون والآبار

(منها عين أذربيجان) قال فى كتاب تحفة الغرائب: قيل يأخذون قالب لبن فيمكن فى الارض ويصب فيه ماء هذه العين ويصبرون عليه مقدار ساعة فيصير الماء لبنا من حجر صلد ويبنون به ما شاءوا وأرادوا.

(وعين بقرية من قرى قزوين) تسمى ادرند بهسند إذا شرب الانسان

منها حصل له إسهال مفرط ويمكن الانسان أن يشرب من ذلك الماء عشرة أرطال لخفته وعذوبته وإذا حمل ذلك الماء إلى خارج حد تلك القرية بطلت الخاصية .

(عين باذخانى) قال صاحب تحفة الغرائب بدامغان قرية تسمى كهرا بها عين تسمى باذخانى إذا أراد أهل هذه القرية هبوب الريح أخذوا خرقة حيض ووضعوها فى العين فتتحرك الرياح ، ومن شرب من مائها ولو جرعة انتفخ بطنه كالطبل ، ومن حمل ذلك إلى مكان آخر انعقد حجرا .

(عين ابلانستان) قال صاحب تحفة الغرائب : ابلانستان قرية بين جرجان واسفراين فيها عين تسمى بها ينبع منها ماء كثير فينتفع بمائها خلق كثير وتنقطع فى بعض الأوقات شهرا فيخرج أهل تلك الأرض رجالها ونساؤها فى أحسن زينة وأجمل هيئة بالدفوف والصنوج والشبابات وأنواع الملاهى ويرقصون عند تلك العين ويلعبون : ويضحكون فلا يرجعون إلا وقد مدت العين بالماء الكثير مقدار ما يدير رحيين .

(عين باميان) قال فى كتاب تحفة الغرائب : بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت عظيم وجلبة ويشم منها رائحة الكبريت من اغتسل من مائها زال عنه الحكة والجرب والدمامل ، وإذا جعل فى إناء من مائها وسد الاناء سدا محكما وترك يوما صار كالطين وإن قرب من النار اشتعل والتهب .

(عين جاج) قال صاحب تحفة الغرائب : بقرب جاج عقبة على رأسها عين ماء إذا كانت السماء صاحية لا يرى فيها قطرة ماء وإذا كانت السماء مغيمة تراها مملوءة طافحة . وبناحية باميان جبال فيها عيون لا تقبل أبدا شيئا من النجاسات وإذا ألقى فيها أحد شيئا من النجاسات هاج الماء وعلا وفار فان لحق الذى ألقاها أغرقه .

(عين زغر) وهى طرف البحيرة المنتنة بالشام بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام ، وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام وهى العين التى أوردنا ذكرها

فى حديث الجساسة والدجال وغورانها من علامات الساعة .

(عين سياه سنك) قال فى تحفة الغرائب : بجرجان موضع يسمى سياه سنك به عين على تل يأخذ الناس منها الماء للشرب وهو عذب طيب وفى الطريق إلى العين دودة معروفة بين أهلها فمن أخذ من ذلك الماء وأصابت رجله تلك الدودة وهو ذاهب بالماء صار الماء مرا علقما فيريقه ويمضى إلى الماء ثانيا .

(عين الأوقات) وهى بالمغرب لا تجرى إلا فى أوقات الصلوات الخمس فى أولها ثم تنقطع ولبثه بقدر ما يتوضأ الناس .

(عين شيرم) وهى بين أصفهان وشيراز ، بها مياه مشهورة وهى من عجائب الدنيا وذلك أن الجراد إذا نزلت ووقعت بأرض يحمل إليها من تلك العين ماء فى ظرف أو غيره فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمى السمرمر ويقال لها السودانية بحيث أن حامل الماء لا يضعه إلى الأرض ولا يلتفت وراءه فتبقى تلك الطيور على رأس حامل الماء فى الجو كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التى بها الجراد فتصيح الطيور عليها وتقتلها فلا ترى من الجراد متحركا بل يموتون من أصوات تلك الطيور إذا سمعوها .

(عين شير كيران) وهى من قرى مراغة فيها عينان تفوران ماء إحداهما بارد عذب والآخر حار ملح وبينهما مقدار ذراع .

(عين العقاب) قال صاحب تحفة الغرائب : بأرض الهند عين برأس جبل إذا هرم العقاب وضعف تأتى به أفراخه وتحمله إلى تلك العين وتغسله فيها ثم تضعه فى شعاع الشمس فيسقط ريشه وينبت له ريش جديد ويذهب هرمه وضعفه وترجع إليه قوته وشبابه .

(عين غرناطة) قال الأندلسى : بقرب غرناطة كنيسة عندها عين ماء وشجر زيتون يقصدها الناس فى يوم معلوم من السنة فاذا طلعت الشمس فى ذلك اليوم فاضت تلك العين ثم يظهر على تلك الشجرة زهر الزيتون ثم ينعقد زيتونا فى الحال والوقت ويكبر ويسود فى يومه ذلك ويأخذه الناس

ويأخذون من ماء تلك العين كل أحد بمقدرته ثم يدخرون ذلك الزيتون والماء للتداوى ولذلك فيما بينهم منافع عظيمة .

(عين غزنة) وبقرب مدينة غزنة عين إذا ألقى فيها شىء من القاذورات والنجاسات يتغير الهواء فى الحال ويظهر البرد والريح العاصف والمطر والثلج فيبقى ذلك الحال حتى تزول عنها تلك القاذورات . وزعموا أن السلطان محمود ابن سبكتكين السلجوقى تغمده الله برحمته لما أراد فتح غزنة كان كلما قصدها ألقى أهلها فى العين شيئا من القاذورات فتقوم القيامة لشدة الريح والبرد والمطر فيرجع بعسكره بغير قصد كالمكسور فصلى ليلة من الليالى ودعا ، فقال إلهى إن كان قصدى فى فتح هذه البلاد حصول الدنيا فاثن عزمى عن ذلك وخذ بناصيتى إلى الخير ، وإن كان قصدى الثواب والأجر والآخرة وتقوية شوكة الاسلام فاجعل لى إلى فتح هذه المدينة سبيلا وأرح عبادك المسلمين المجاهدين فى سبيلك ، ثم سجد سجدة ونام فى سجوده ووجهه على الثرى فأتاه آت وخاطبه بكلام مبين قائلا : يا ابن سبكتكين إن رمت الخلاص من هذه المحنة فأرسل جنودا لحفظ العين ، وقد افتتحت غزنة فسعيك مشكور وفعلك مبرور ، فانتبه وأرسل مقدما لحراسة تلك العين ، ثم زحف على غزنة فافتتحها كطرفة عين .

(عين الفرات) بقرب أردن الروم من اغتسل من مائها أيام الربيع أمن من أمراض تلك السنة .

(عين نهاوند) قال صاحب تحفة الغرائب : بالقرب من نهاوند عين فى شعب جبل وتحت الشعب وطاة فكل من احتاج إلى الماء ليسقى أرضه مشى إلى العين ودخل الشعب وهو يقول بصوت عال أنا محتاج إلى الماء ثم يغمس رجله فى العين ويمشى نحو زرعه والماء يمشى خلفه حتى يسقى أرضه فاذا انقضت حاجته يرجع إلى الشعب وهو يقول قد اكتفت أرضى وربحتم أجرى ، ثم يضرب برجله الأرض فينقطع الماء عنه وهذا دأب الماء ودأب

أهل تلك الأرض . وهذه من أعجب العجائب . وليكن هذا آخر الكلام على عجائب العيون .

فصل فى الآبار وعجائبها

(بئر أبى كود) بقرب طرابلس من شرب من مائها تحمق وهو مثل يقال بينهم للأحمق : شرب من بئر أبى كود .

(بئر بابل) قال الأعمش كان مجاهد يحب أن يسمع الأعاجيب ويقصدها وكان لا يسمع بشىء من ذلك إلا توجه إليه وعاينه فأتى بابل فلقيه الحجاج فقال له : ما تصنع ههنا ؟ قال أريد أن تسيرنى إلى رأس الجالوت وأن ترينى موضع هاروت وماروت فأمر به فأرسل إلى رجل من أعيان اليهود وقال اذهب بهذا فأدخله على هاروت وماروت ولينظر إليهما فانطلق به حتى أتى موضعاً فرفع صخرة فاذا هو شبه سرداب فقال له اليهودى : انزل معى وانظر إليهما ولا تذكر اسم الله تعالى قال مجاهد : فنزل اليهودى ونزلت معه ولم نزل نمشى حتى نظرت إليهما وهما كالجبلين العظيمين منكوسين على رءوسهما والحديد فى أعناقهما إلى ركبتيهما فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر اسم الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديداً حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد فهرب مجاهد واليهودى حتى خرجا فقال اليهودى لمجاهد أما قلت لك لا تفعل كدنا والله نهلك .

قال المفسرون : إن رجلا أراد أن يتعلم السحر فأتى أرض بابل ودخل عليهما فقال لا إله إلا الله فاضطربا اضطرابا شديداً وقالا له ممن أنت ؟ قال من بنى آدم ، قالا من أى الأمم ؟ قال أمة محمد ، قالا أو بعث محمد ؟ قال نعم ، فاستبشرا بذلك وفرحا ، فقال الرجل لم تفرحان ؟ قالا قد قرب فرجنا فان محمدا نبى الساعة وقد قربت . قال لهما أريد أن أتعلم السحر ؟ قالا له اتق الله ولا تكفر قال لا بد من ذلك فعاوداه ثلاثا فلم يرجع فقالا له امض إلى ذلك

التنور قيل فيه . قال ففعل فخرج منه نور حتى صعد إلى السماء ونزل دخان أسود فدخل فى فيه فقالا له فعلت ؟ قال نعم : قال فما رأيت ؟ فأخبرهما فقال أحدهما النور الذى خرج منك هو نور الايمان . وقال الآخر الدخان الذى دخل فيك هو ظلمة الكفر اذهب فقد علمت .

وحكى : أن امرأة جاءت إلى عائشة رضى الله عنها باكية تطلب النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجده فقالت لها عائشة مم تبكين ، وما الذى تريدين منه ؟ قالت : أريد أن أسأله عن شىء فى السحر . فقالت وما هو ؟ قالت إن زوجى سافر عنى وغاب مدة طويلة فجاءت امرأة إلىّ وقالت : أتريدين مجيئه . قلت نعم ، قالت فاعملى بما أقول لك . قلت نعم : فغابت وأتتنى بكبشين عند العشاء أسودين فركبت واحداً وأركبتنى الآخر فلم نلبث إلا قليلا حتى دخلنا على هاروت وماروت . فقالت لهما إن هذه المرأة تريد أن تتعلم السحر فقالا لها اتقى الله ولا تكفرى وارجعى ، فأبيت وقلت لابد من ذلك فأعادا على ثلاثا فأبيت وقلت لابد من ذلك . فقالا اذهبى فبولى فى ذلك التنور قالت : فذهبت ووقفت على التنور فأدركنى خوف الله تعالى فلم أفعل ورجعت إليهما فقالا فعلت ؟ قلت نعم . قالا فما الذى رأيت ؟ قلت لم أر شيئا قالا لم تفعلى شيئا اذهبى فبولى فى التنور فذهبت فقالا ما رأيت ؟ قلت لم أر شيئا قال اذهبى فافعلى . قالت فذهبت وأنا أرتعد ففعلت فخرج منى فارس مقنع بحديد فصعد إلى السماء فرجعت إليهما وأخبرتهما قالا فذلك الايمان خرج من قلبك اذهبى فقد تعلمت فخرجت أنا والمرأة وقلت لها والله ما قالا لى شيئا قالت بلى تعلمت خذى هذه الحنطة فابذريها فبذرتها فنبتت قالت افركى ففركت قالت اطحنى فطحنت قالت اخبزى فخبزت ووالله لم أفعل بعد ذلك شيئا أبداً .

(بئر بدر) وهى بين مكة والمدينة فى الموضع الذى كانت فيه وقعة بدر بين النبى صلى الله عليه وسلم وكفار قريش ورمى منهم جماعة فى القليب وهو هذا البئر .

حكى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه رأى فى اجتيازه هناك شخصا مشوها خرج من البئر هاربا وخرج فى أثره آخر ومعه سوط يلتهب ناراً فصاح به وضربه ورده إلى البئر وأنا أنظر إليهما .

(بئر برهوت) وهى بقرب حضرموت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فيها أرواح الكفار والمنافقين» وهى بئر عادية فى فلاة مقفرة وواد مظلم . وعن علىّ رضى الله عنه أنه قال : أبغض البقاع إلى الله برهوت فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوى إليه أرواح الكفار .

حكى الأصمعى عن رجل من أهل الخير : أن رجلا من عظماء الكفار هلك فلما كان فى تلك الليلة مررت بوادى برهوت فشممنا ريحا لايوصف نتنه على خلاف العادة فعلمنا أن روح ذلك الكافر الهالك قد نقلت إلى البئر .

وروى بعضهم قال : بتّ بوادى برهوت فكنت أسمع طول الليل قائلا ينادى يادومة يادومة إلى الصباح فذكرت ذلك لرجل من أهل العلم فقال دومة هو اسم الملك الموكل بتلك البئر لتعذيب أرواح الكفار .

(بئر قضاعة) وهى بالمدينة الشريفة ، روى : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بئر قضاعة فتوضأ من الدلو وردّ ما بقى إلى البئر وبصق فيها وشرب من مائها وكان ملحا فعاد عذبا طيبا . وكان إذا أصاب الانسان مرض فى أيامه صلى الله عليه وسلم يقول اغسلوه من بئر قضاعة فاذا غسل فكأنما نشط من عقال» وقالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما : كنا نغسل المريض من بئر قضاعة ثلاثة أيام فيعافى

(بئر ذروان) بالمدينة المشرفة ، روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فبينما هو بين النائم واليقظان إذ نزل ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رأسه ما وجعه ؟ قال الذى عند رجليه طب قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودى قال فأين طبه ؟ قال

كرية تحت صخرة فى بئر ذروان . فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفظ كلامهما فوجه عليا وعمارا مع جماعة من الصحابة فأتوا البئر فنزحوا مابها من الماء وانتهوا إلى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكرية تحتها وفيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة فأخرجوها وحلوا العقد فزال وجع النبي صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله عليه المعوذتين إحدى عشرة آية فحل بقراءتها العقد المعقودة فى الوتر».

(بئر زمزم) لما ترك إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اسماعيل وهاجر بموضع الكعبة وانصرف والقصة مشهورة قالت له هاجر يا إبراهيم آلله أمرك أن تتركنا فى هذه البرية الحارة وتنصرف عنا ؟ قال نعم ، قالت حسبنا الله إذا فلا نضيع فأقامت عند ولدها حتى نفد ماء الركوة فبقى اسماعيل يتلظى من العطش فتركته وارتفعت إلى الصفا تلتمس غوثا أو ماء فلم تر شيئا فبكت ودعت هناك واستسقت ثم نزلت حتى أتت المروة وتشوفت ودعت مثل ما دعت بالصفا ثم سمعت أصوات السباع فخافت على ولدها فسعت إليه بسرعة فوجدته يفحص برجليه الأرض وقد انفجر من تحت عقبه الماء ، فلما رأت هاجر الماء حوطت عليه بالتراب من خوفها أن يسيل فلو لم تفعل ذلك لكان الماء جاريا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينا جارية» وقال صلى الله عليه وسلم «ماء زمزم لما شرب له» ولكم أبرأ الله به من مرض عجزت عنه حذاق الأطباء.

قال محمد بن أحمد الهمدانى : كان ذرع زمزم من أعلاه إلى أسفله أربعين ذراعا وفى قعرها عيون غير واحدة ، عين حذاء الركن الأسود ، وعين حذاء أبي قبيس والصفا ، وعين حذاء المروة ثم قل ماؤها فى سنة أربع وعشرين ومائتين فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة أذرع فزاد ماؤها . وأول من فرش أرضها بالرخام المنصور ثانى الخلفاء العباسيين .

حكى المسعودى : أن ملوك الفرس يزعمون أن جدهم الخليل عليه الصلاة

والسلام وأنهم كانوا يحجون البيت ويطوفون به تعظيما لجدهم وآخر من حج منهم أزدشير بن بابك طاف بالبيت فرموه بالزمزمة على زمزم وهى قراءتهم عند صلاتهم .

(بئر أريس) وهي بالمدينة الشريفة ، وروى أن فيها عينا من الجنة ، وكان صلى الله عليه وسلم يستطيب ماءها ويبرك فيها ، وروى أنه بصق فيها .

(بئر المطرية) هى بئر قرية من قرى مصر ، وبها شجر البلسان وسقيها من البئر والخاصية فى البئر لا فى الأرض .

ذكر أن عيسى عليه السلام اغتسل فيها والأرض التى ينبت فيها هذا الشجر نحو ميل فى ميل محوطة عليها وليس فى الدنيا موضع ينبت فيه البلسان إلا هذه القرية .

(البئر المعظمة) وتسمى بئر العظام وهى بالقاهرة عند الركن المخلق ، يقال إنها من آبار موسى عليه السلام .

وحكى : أن طاسة لفقير وقعت فى بئر زمزم وعليها منقوش اسم ذلك الفقير فرجع الفقير مع الركب المصرى إلى القاهرة فجاء إلى البئر المعظمة ليتوضأ منها للتبرك فطلعت الطاسة بعينها فى المستقى وشهد له جماعة من الحجاج أنهم شاهدوا وقوعها فى بئر زمزم . وليكن هذا آخر الكلام على عجائب الآبار .

فصل فى عجائب الجبال وما بها من الآثار

قال الله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ فلو قال قائل ما وجه النسبة بين الابل والسماء والجبال والأرض والنسبة بينهن غير ظاهرة ، فالجواب أن القرآن نزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو بين ظهرانى العرب ونزل بلغاتهم ومن المعلوم أن أجل أموال العرب وأعظمها الابل فبدأ بذكر الابل لاستمالة قلوبهم إذ مدحت عظائم أموالهم ، ثم ذكر

السماء إذ الابل لا بلاغ لها إلا بالنبات ولا يكون النبات فى الغالب إلا بالمطر والمطر لا ينزل إلى الأرض إلا من السماء ، ثم ذكر الجبال لأن العرب وأهل البادية ليس لهم حصون ولا قلاع يتحصنون فيها من أعدائهم إذا راموهم فكانت الجبال حصونا لهم وقلاعا وبها لهم الماء والمرعي ، ثم ذكر الأرض وتسطيحها لأن العرب فى أكثر الدهر يرحلون وينزلون فى الأراضى السهلة الوطيئة لإراحة الابل التى هى سفن البر ومنها معاشهم وبلاغهم وهذه حكمة إلهية ومن بعض معانى هذه الآية الشريفة هذا الوجه وهو وجه حسن .

(فأعظم جبال الدنيا قاف) وهو محيط بها كإحاطة بياض العين بسوادها وما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا ، وقال بعض المفسرين: إن الله سبحانه وتعالى خلق من وراء جبل قاف أرضا بيضاء كالفضة الجلية طولها مسيرة أربعين يوما للشمس ، وبها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه من هيبة الله جل جلاله ولا يعرفون ما آدم وما إبليس وهكذا إلى يوم القيامة .وقيل إن يوم القيامة تبدل أرضنا هذه بتلك الأرض والله سبحانه وتعالى أعلم .

(جبل سرنديب) هو جبل بأعلى الصين فى بحر الهند وهو الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام وعليه أثر قدمه غائصا فى الصخرة طوله سبعون شبرا وعلى هذا الجبل ضوء كالبرق ولا يتمكن أحد أن ينظر إليه ولا بد كل يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم وحوله من أنواع اليواقيت والأحجار النفيسة وأصناف العطر والأفاوية ما لا يوصف وأن آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهى مسيرة يومين .

(جبل أوليان) هو بأرض الروم وفى وسط هذا الجبل درب من دخله وهو يأكل الخبز من أول الدرب إلى آخره لا تضره عضة الكلب الكلب ومن عضه الكلب الكلب وعبر بين رجلى هذا الرجل برئ وأمن من الغائلة

(جبل أبي قبيس) هو جبل مطل على مكة زعموا أن من أكل عليه رأسا مشويا أمن من وجع الرأس .

(جبل راوند) بالقرب من همذان وفيه ماء إذا شربه المريض عوفي .

حكى : أنه دخل على جعفر الصادق رضى الله عنه رجل من همذان ، فقال له جعفر : من أين أنت ؟ قال من همذان ، فقال : أتعرف جبلها ؟ فقال له الرجل : جعلت فداك أراوند ، قال نعم ، قال : إن فيه عينا من عيون الجنة .

(جبل سبستان) فيه ماء ينبت فيه قصب كثير فما كان فى الماء من القصب فهو قصب من حجر وما كان خارجا عن الماء فهو قصب على حقيقته ومارمى فى الماء من ورق القصب الخارجي صار حجرا فى الحال .

(جبل أسبرة) وهو بناحية الشاس مما وراء النهر ، قال الاصطخرى : هناك جبال فيها منافع كثيرة من الذهب والفضة والفيروذج والحديد والنحاس والصفر والآنك والنفط والزئبق وفيه حجر أسود يحرق ويبيض به الثياب ولا يقوم شئ مقامه .

(جبل التر) على ثلاث مراحل من قزوين وهو جبل شامخ لاتخلو قلته من الثلج لاصيفا ولا شتاء وعليه مسجد تأويه الأبدال ويتولد من ثلجه دود أبيض إذ غرز فيه أدنى شئ يخرج منه ماء أبيض صاف يرى دابة وليس هو حيوانا .

(وبالأندلس جبل) فيه عينان بينهما مقدار شبر واحد إحداهما فى غاية البرودة والعذوبة والأخرى غاية الحرارة والملوحة ولهما رائحة عطرة طيبة ، وبه جبل البرنس وفيه معدن الكبريت الأحمر والكبريت الأصفر والزئبق ومنه يحمل إلى سائر البلاد وفيه معدن الزنجفر وليس فى جميع الأرض معدن للزنجفر إلا هناك .

(جبل القدس) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض القدس جبل فيه غار كالبيت تزوره الناس فاذا أظلم الليل أضاء البيت وليس فيه ضوء ولا سراج ولا كوة ولا طاقة .

(جبل ثبير) وهو بمكة بقرب منى وهو جبل مبارك يقصده الزوار وعليه أهبط الكبش الذى فدى به إسمعيل عليه السلام .

(جبل ثور) وهو بقرب مكة وفيه الغار الذى كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما خرجا مهاجرين .

(جبل الجودى) بقرب جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقى الذى استوت عليه سفينة نوح عليه السلام وبنى به نوح مسجداً وهو إلى الآن باق تزوره الناس .

(جبل جوشن) غربى حلب وفيه معدن النحاس قيل إنه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن على رضى الله عنهما ، وكانت زوجة الحسين مثقلة بالحمل فطرحت هناك وبه مشهد مبارك يعرف بمشهد الطرح وطلبت من صناع الناس ماء للشرب فمنعوها وسبوها فدعت عليهم فامتنع الربح من ذلك الحين .

(جبلا حارث وحويرث) هما بأرض أرمينية لا يقدر أحد على ارتقائهما أصلا قال ابن الفقيه السيرافى كان على نهر الرأس بأرمينية ألف مدينة عامرة آهلة فبعث الله عز وجل إليهم نبيا دعاهم إلى الله فكذبوه وآذوه فدعا عليهم فحول الله الحارث والحويرث من الطائف وأرسلهما على المدن وأهلها فهم تحت هذين الجبلين حتى الساعة .

(جبل حراء) هو على ثلاثة أميال من مكة المشرفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه للخلوة ويعبد الله فيه قبل نزول الوحى وأتاه جبريل هناك

(جبل جود قور) وهو بين حضرموت وعمان .

حكى أحمد بن يحيي اليمنى : أن فى ناحية قورشق جبلا يقال له جود قور غوره مقدار خمسة أرماح وعرضه قليل فمن أراد أن يتعلم السحر فليأخذ ماعزا أسود ليس فيه شعرة بيضاء ويذبحه ويسلخه ويقسمه سبعة أجزاء يعطى منها جزءا واحدا للمقيم بذلك الجبل وستة أجزاء ينزل بها إلى الغار ثم يأخذ الكرش يشقها وينطلى بما فيها ويلبس الجلد مقلوبا ويدخل الغار ليلا وشرطه أن لا يكون له أب ولا أم فينام فى الغار تلك الليلة فان أصبح جسمه

نقيا من حشو الكرش مغسولا فقد قبل وحصل له السحر وإن وجده بحاله لم يقبل ولا يحصل له القصد فاذا خرج من الغار بعد القبول لا يحدث أحدا ثلاثة أيام يصير ساحراً ماهراً.

(جبل الحيات) بأرض تركستان فيه حيات من نظر إليها مات الناظر لوقته إلا أنها لا تتجاوز هذا الجبل أبداً.

(جبل نهاوند) بقرب الرى يناطح النجوم ارتفاعا. قال مسعود بن مهلهل هذا الجبل لا يفارق أعلاه الثلج لاليلا ولا نهاراً ولا صيفا ولا شتاء البتة، ولا يقدر أحد أن يعلوه.

زعموا أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس فيه صخرا المارد وزعموا أن أفريدون الملك حبس فيه بيوراسف الذى يقال له الضحاك ومن صعد إلى هذا الجبل لايصل إليه إلا بمشقة شديدة ومخاطرة بالنفس قال مسعود بن مهلهل صعدت إلى نصفه بمشقة شديدة وما أظن أحدا وصل إلى ماوصلت إليه فرأيت هناك عين كبريت وحولها كبريت مستحجر إذا طلعت الشمس اشتعل ناراً وسمعت من أهل تلك الناحية أن النمل إذا أكثر من جمع الحب على هذا الجبل استشعر الناس بعده بجدب وقحط وأنه متى دامت عليهم الأمطار والأنداء وتضرروا بذلك صبوا لبن الماعز على النار فتنقطع الأمطار والأنداء فى الحال والحين وجربته مراراً فوجدته صحيحا كما قيل. وأما ذروة هذا الجبل فمتى انكشف من الثلج وقعت فى تلك الأرض فتنة عظيمة على مر الأيام لا تنخرم أبدا بل تكون الفتنة فى الجهة المنكشفة دون غيرها.

قال محمد بن ابراهيم الضراب عرف والدى معدن الكبريت الأحمر فاتخذ مغارفا طوالا من حديد فأدخلها فيه فذابت ولم يحصل على قصده وقال له أهل تلك الناحية هذا المكان لايدخل فيه حديد إلا ذاب فى وقته.

وذكروا: أن رجلا جاءهم من خراسان ومعه مغارف طوال من حديد ولها سواعد قد طلاها بأدوية حكمية فأخرج بها من الكبريت الأحمر

شيئا كثيراً لبعض ملوك خراسان

وذكر محمد بن إبراهيم أن الأمير موسى بن خضر كان واليا على الرى إذ ورد عليه كتاب من المأمون بن الرشيد يأمره بالشخوص إلى هذا الجبل وتعرف حال المحبوس به قال فوافينا حضيض الجبل وأقمنا أياما لا نرى الاهتداء لصعوده حتى أتانا شيخ مسن طاعن وهو ذو همة عالية فسألنا فعرفناه أمر الخليفة فقال: أما هذا فلا سبيل إليه أصلا وإن أردتم صحة ذلك أريتكم عيانا فاستحسن الأمير موسى كلامه وقال هو القصد فعند ذلك صعد الشيخ بين أيدينا ونحن فى الأثر فأوقفنا على موضع فبالغنا فى حفره حتى انكشف لنا عن بيت منقور من الحجارة وفيه تمثال شخص على صورة عجيبة يضرب بمطرقة على أعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور فاستخبرنا الشيخ عن شأنه فقال: هذا طلسم موضوع على بيوراسف الضحاك المحبوس ههنا لئلا ينحل من وثاقه ثم أمرنا أن لا نتعرض للطلسم وأن نرده إلى ما كان عليه ففعلنا ثم دعا بسلاسل وسلالم طوال فربط بعضها إلى بعض بالحبال وكلبها من أسافلها وأوسطها وأوثقها بالسلاسل فارتفعت مقدار مائة ذراع ونقب موضعاً على رأس السلالم فظهر باب من حديد عليه مسامير كبار جداً مذهبة الرءوس فوصلنا إلى عتبة فوجدنا على الأسكفة كتابة بالفارسية كأنما كتبت الآن بالذهب مدهونة بأدهان التأييد تنطق الكتابة عن كلام معناه إن على هذه القلة سبعة أبواب من حديد على كل مصراع منها أربعة أقفال من حديد وعلى العضادة مكتوب هذا سجن لهذا الحيوان المفسد وله أمد ينتهى إلى غاية فلا يتعرض أحد إلى هذه الأقفال بمكروه فانه متى فتح من أقفالها ولو قفلا واحداً هجم على هذه البلاد آفة لا تندفع أبداً، فقال الأمير موسى لا أتعرض لشيء حتى أستأذن أمير المؤمنين فجاء الجواب برد البيت إلى ما كان وترك ذلك على حاله.

(جبل الربوة) وهى على فرسخ من دمشق. ذكر بعض المفسرين أنها

المراد بقوله تعالى ﴿ وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ وهو جبل عال على قلته مسجد حسن بين بساتين وأشجار ورياض ورياحين من جميع جوانبه وله شبابيك تطل على ذلك كله ولما أرادوا إجراء نهر ثور وقع هذا الجبل فى طريقه معترضا فنقبوه من تحته وأجروا الماء من النقب وعلى رأسه نهر يزيد وهو ينزل من أعلاه الماء إلى أسفله وفى هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى بن مريم عليهما السلام ولد فيه . قال القزوينى : رأيت فى هذا المسجد فى بيت صغير حجراً كبيراً حجمه كحجم الصندوق ذا ألوان مختلفة عجيبة وقد انشق نصفين كالرمانة المنشقة وبين الشقين من أعلاه فتح ذراع وأسفله ملتئم لم ينفصل شق عن الآخر ولأهل دمشق فى هذا الجبل أقاويل كثيرة أضربنا عنها .

(جبل رضوى) قال عرامة بن الأصبع هو من المدينة على نحو سبع مراحل وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية وهو أخضر يرى من البعد وبه أشجار وثمار ومياه كثيرة تزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية رضى الله عنه حى وأنه مقيم به بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان ماء وعسلا وأنه سيعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وكان السيد الحميرى على هذا المذهب وهو القائل :

الا قل للرضى فدتك نفسى   أطلت بذلك الجبل المقاما

ومن رضوى يقطع حجر المسن ويحمل إلى جميع البلاد .

(جبل الرقيم) وهو المذكور فى القرآن ، قيل هو اسم القرية التى كان فيها أصحاب الكهف ، وقيل اسم الجبل وهو بالروم بين أرقية ونبقية

حكى عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : أرسلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى ملك الروم رسولا لأدعوه إلى الاسلام فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف فوصلنا إلى دير فيه وسألنا أهل الدير عنهم فأوقفونا على سرب فى الجبل فوهبنا لهم شيئاً وقلنا نريد أن

ننظر إليهم فدخلوا ودخلنا معهم وكان عليه باب من حديد فانتهينا إلى بيت عظيم محفور فى الجبل فيه ثلاثة عشر رجلا مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود وعلى كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بهما من رءوسهم إلى أقدامهم فلم ندر ما ثيابهم أمن صوف أم من وبر إلا أنها كانت أصلب من الديباج فلمسناها فاذا هى تتقعقع من الصفاقة وعلى أرجلهم الخفاف إلى أنصاف سوقهم متنعلين بنعال مخصوفة وفى خفافهم ونعالهم من جودة الخرز ولين الجلود مالم ير مثله قال: فكشفنا عن وجوههم رجلا رجلا فاذا هم فى وضاءة الوجوه وصفاء الألوان وحسن التخطيط وهم كالأحياء وبعضهم فى نضارة الشباب وبعضهم أشيب وبعضهم قد خطه الشيب وبعضهم شعورهم مضفورة وبعضهم شعورهم مضمومة وهم على زى المسلمين فانتهينا إلى آخرهم فاذا فيهم واحد مضروب على وجهه بسيف كأنما ضرب فى يومه فسألنا عن حالهم وما يعلمون من أمرهم فذكروا أنهم يدخلون عليهم فى كل عام يوما وتجتمع أهل تلك الناحية على الباب فيدخل عليهم من ينفض التراب عن وجوههم وأكسيتهم ويقلم أظفارهم ويقص شواربهم ويتركهم على هيئتهم هذه، قلنا لهم هل تعرفون من هم وكم مدة لهم ههنا ؟ فذكروا أنهم يجدون فى كتبهم وتواريخهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا إلى هذه البلاد فى زمان واحد قبل المسيح بأربعمائة سنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أصحاب الكهف سبعة وهم مكسلمينا كمليخا مرطونس يمبنونس نارينونس ذوأنوانس كسيططيونس وكلبهم قطمير.

(جبل تانك) قال صاحب تحفة الغرائب جبل بأرض تانك وهم طائفة من الترك ببلاد تركستان ليس لهم زرع ولا ضرع وفى جبالهم ذهب كثير وفضة كثيرة وربما يقع لهم كل قطعة كرأس الشاة من الذهب والفضة فمن أخذ القطع الكبار مات فى الحال واليوم، ومن أخذ من القطع الصغار انتفع بها من غير ضرر يمسه ومن ذهب بقطعة كبيرة إلى بيته مات هو وأهل بيته

إلا أن يرجع بها من أثناء الطريق وإذا أخذ الغريب من القطع الكبار فلا بأس عليه ولا سوء .

(جبل ساوة) وهو على مرحلة منها وهو شاخ جدا فيه غار شبه إيوان يسع سبعة آلاف نفس وفى آخر الغار قد برز في صدر حائطه أربعة أحجار متفرقة شبه ثدى المرأة يتقاطر الماء من ثلاثة منها والرابع يابس لا يقطر منه شيء ، يزعم أهل تلك الأرض أن كافراً مصه فيبس وتحته حوض يجتمع الماء فيه وهو ماء طيب لا يتغير بطول مكثه وعلى باب الغار نقب ذو بابين يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر يزعمون أنه من لم يكن ولدا حلالا لايقدر على الخروج منه قال القزوينى رأيت رجلا دخله وما خرج حتى عاين الهلاك .

(جبل سيلان) بقرب مدينة أردبيل من أذربيجان وهو من أعلى جبال الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى وكذلك تخرجون كتب الله له من الحسنات بعدد كل ورقة ثلج تقع على جبل سيلان قيل وما سيلان يارسول الله ؟ قال جبل بأرمينية وأذربيجان عليه عين من عيون الجنة وفيه قبر من قبور الأنبياء » قال أبو حامد الأندلسى على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه ماؤها أبرد من الثلج وكأنما شيب بالعسل لشدة عذوبته وبجوف الجبل ماء يخرج من عين يصلق البيض لحرارته يقصدها الناس لمصالحهم وبحضيض هذا الجبل شجر كثير ومراع وشيء من حشيش لايتناوله إنسان ولا حيوان إلا مات لساعته ، قال القزوينى : ولقد رأيت الجبل والدواب ترعى فى هذا المكان فاذا قربت من هذا الحشيش نفرت وولت منهزمة كالمطرودة،قال:وفى سفح هذا الجبل بلدة اجتمعت بقاضيها واسمه أبو الفرج عبد الرحمن الأرديلى وسألته عن حال تلك الحشيشة فقال الجن تحميها وذكر أيضاً أنه بنى فى قرية

مسجداً فاحتاج إلى قواعد كبار حجرية لأجل العمد فأصبح فوجد على باب المسجد قواعد منحوتة من الصخر محكمة الصنعة كأحسن ما يكون

(جبل السماق) وهو بأعمال حلب يشتمل على مدن وقرى وقلاع وحصون وأكثرها للاسماعيلية والدرزية وهو منبت السماق، وهو مكان طيب كثير الخيرات.

(جبل السم) قال الجهانى إن أهل الصين نصبوا قنطرة من رأس جبل إلى جبل آخر فى طريق آخذة إلى تبت من جاز على تلك القنطرة يؤخذ بأنفاسه ويلتهب قلبه ويثقل لسانه ويموت في الغالب من المارين جماعة مستكثرة وأهل التبت يسمونه جبل السم.

(جبل الشب) بأرض اليمن على قلته ماء يجرى من جانب إلى جانب وينعقد شبا والشب اليمانى من ذلك.

(جبل الصور) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض كرمان جبل من أخذ منه حجراً وكسره يرى فى وسطه صورة إنسان قائم أو قاعد أو مضطجع، وإن سحقت الحجر ناعما وحللته فى الماء وتركته حتى يرسب ترى فى الراسب منه ما رأيته فى الحجر من الصورة وهيئتها وهذا من أعجب العجب.

(جبل الصفا) هو ببطحاء مكة والواقف على الصفا يرى الحجر الأسود قبالته، والمروة تقابله، يقال إن الصفا اسم رجل والمروة اسم امرأة زنيا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فوضع كل واحد على الجبل المسمى باسمه لاعتبار الناس وجاء فى الحديث، إن الدابة التى هى من أشراط الساعة تخرج من الصفا، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يضرب بعصاه حجر الصفا ويقول إن الدابة لتسمع قرع عصاى هذه.

(جبل صقلية) هو فى وسط بحر الروم وهو بحر المغرب أعلاه مسيرة ثلاثة أيام فيه أشجار كثيرة من البندق والصنوبر والأرز وفى أعلاه منافس

كثيرة يخرج منها الدخان والنار وربما سالت النار فأحرقت جميع ما مرت عليه وتجعله مثل خبث الحديد وعلى قلة هذا الجبل السحاب والثلوج صيفا وشتاء لاتفارقه ، وزعم أهل الروم أن الحكماء كانوا يدخلون إلى هذه الجزيرة ليروا عجائبها وكيف اجتماع الضدين الثلج والنار وفيها معدن الذهب وتسميه أهل الروم جزيرة الذهب .

(جبل الطاهرة) هو بأرض مصر قال صاحب تحفة الغرائب بهذا الجبل كنيسة فيها حوض يجرى فيه من الجبل ماء عذب يجتمع فى ذلك الحوض فاذا امتلأ من جميع جوانبه ترده الناس فاذا ورد الحوض جنب أو امرأة حائض وقف الماء وانقطع جريانه ولا يجرى حتى ينزح جميع مافيه من الماء ويغسل الحوض غسلا بالغا فيجرى بعد ذلك .

(جبل طبرستان) قال صاحب تحفة الغرائب بهذا الجبل ضرب من الحشيش يسمى جوزماثل من قطعه وهو ضاحك غلب عليه الضحك فى عمره ومن قطعه باكيا غلب عليه البكاء ، ومن قطعه راقصا غلب عليه الرقص وكذلك على أى صفة كان فمن قطعه استمر على تلك الصفة

(جبل طورسيناء) هو بين الشام ومدين قيل إنه بالقرب من أيلة وهو المكلم عليه موسى عليه السلام كان إذا جاء موسى عليه السلام للمناجاة ينزل غمام فيدخل فى الغمام ويكلم ذا الجلال والاكرام ، وهو الجبل الذى دك عند التجلى وهناك خر موسى صعقا وهذا الجبل اذا كسرت حجارته يخرج من وسطها صورة شجرة العوسج على الدوام وتعظم اليهود شجرة العوسج لهذه المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود

(جبل طورهرون) هو جبل مشرف على بيت المقدس وإنما سمى جبل طور هرون لأن موسى عليه السلام بعد أن عبدت بنو إسرائيل العجل أراد المضى إلى مناجاة الرب العلى ، فقال له هارون : احملنى معك فانى لست بآمن أن تحدث بنو إسرائيل أمرا بعدك ، فغضب موسى وحمله ، فلما كان

بعض الطريق إذ هما برجلين يحفران قبرا فوقفا عليهما ، وقالا لمن القبر ؟ قالا لرجل فى طول هذا وهيئته وأشار إلى هارون ، ثم قالا له بحق الملك إلا ما نزلت لتعرف القياس فنزع هرون أثوابه ونزل القبر واضطجع فيه فقبضه الله فى الحال وانطبق القبر على هرون فانصرف موسى بثيابه حزينا باكيا ، فلما صار إلى بنى إسرائيل اتهموه بقتل أخيه فدعا موسى ربه حتى أراهم هرون فى تابوت فى الجو على رأس ذلك الجبل .

(جبل فرغانة) قال صاحب تحفة الغرائب ينبت بهذا الجبل ضرب من النبات على صور الآدميين منها ما هو على صورة الرجل ومنها ما هو على صورة المرأة وتوجد هذه الصور مع بعض الطرقيين يتكلمون عليها ويقولون إنها تزيد فى المحبة والقبول وأكلها يزيد فى الباه ولا تقلع حتى يربط فيها حبل طويل ويربط طرفه فى رقبة كلب ، ثم ينفر الكلب فيقطع الصورة من أصلها وتقع صيحة على الكلب فيموت فى الحال .

(جبل قاسيون) هو جبل مشرف على دمشق فيه آثار الأنبياء وهو معظم من الجبال وفيه مغارات وكهوف ومعابد للصالحين وفيه مغار يعرف بمغارة الدم ، يقال إن قابيل قتل هابيل ، وهناك حجر يزعمون أنه الحجر الذى فلق به هامته وفيه مغارة أخرى يسمونها مغارة الجوع ، يقال إن أربعين نبيا ماتوا بها من الجوع .

(جبل الهند) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض الهند جبل عليه صورة أسدين والماء يجرى من أفواههما فيروى قريتين فوقع بين أهل القريتين خصومة على الماء ، فقال أهل إحدى القريتين نوسع فم الأسد الذى يصب إلى أرضنا حتى يكثر الماء على أراضينا فكسروا فم الأسد فانقطع الماء أصلا من ذلك الأسد وخربت تلك القرية وارتحل أهلها والأسد الآخر على حاله والقرية الأخرى عامرة .

(جبل تلاسيم) قرية من قرى قزوين ، قال القزوينى : حدثنى من صعد

على هذا الجبل ، قال عليه صور كل حيوان من الحيوانات على اختلاف أجناسها وصور الآدميين على أنواع أشكالها عـــدد لا يحصى وقد مسخوا حجارة وفيها الراعى متكئ على عصاه والماشية حوله كلها حجارة والمرأة تحلب بقرة وقد تحجرتا والرجل يجامع امرأته وقد تحجرا والمرأة ترضع وهلم جرا وهكذا . وهذا آخر الكلام على الجبال وعجائبها .

فصل فى ذكر الأحجار وخواصها ومعرفة منافعها

الحجر الأبيض إذا حككته على حجر صلب وخرج محكه أبيض فلا يعبأ به وإذا كان محكه أصفر فمن حمله وتكلم بما شاء وأخبر بما شاء وقع الأمر كما تكلم وأخبر، وإن خرج محكه أحمر فحمله فكل شىء يقوم فيه يصعد معه وإن خرج المحك أغبر فكل من استعان بحامله أعين به وإن خرج أخضر وعلق فى بستان أو زرع أو كرم أو نخل أمن من الآفات وإن خرج مسودا ينفع من السموم القاتلة حكا وشربا .

(الحجر الأحمر) إذا حك وخرج محكه مبيضا نجحت أمور حامله وإن خرج مسودا فأى شىء حدث حامله به نفسه قدر عليه وإن خرج محكه مغبرا أو مصفرا فمن حمله أحبه الناس وإن خرج المحك مخضرا فكل من حمله لم يؤثر فيه السلاح .

(الحجر البنفسجى) إذا حك فخرج محكه مبيضا فكل من حمله زال عنه الهم والغم والحزن وإن خرج مسودا فكل من حمله لم تنجح مقاصده وإن خرج مصفرا فكل من حمله أتاه كل شئ وصعد معه وإن رمى فى بئر أو عين قل ماؤها فان خرج محمرا يرى حامله كل خير وإن خرج مخضرا يزكو زرع حامله وتنمو غنمه وإن خرج مغبرا فكل من اكتحل به على اسم أحد أحبه رجلا كان أو امرأة .

(الحجر الأخضر) إذا حك وخرج محكه مبيضا فمن حمله درت عليه

الخيرات والبركات وإن خرج مسودا فكذلك وإن خرج مصفرا فكل دواء يصفه لعليل أو مريض ينفعه ويشتفى وإن خرج محمرا لحامله لا يزال ترد عليه الصلات والعطايا من الأكابر وإن خرج مغبرا لحامله متى وضع يده على رأس مريض وذكر شيئا من أسماء الله تعالى شفاه الله وقام من مرضه باذن الله تعالى .

(الحجر الأسود) إذا حك وخرج محكه مبيضا نفع من جميع السموم القاتلة حكا وشربا وإن خرج المحك مسودا فكل من حمله زاد عقله وحسن رأيه وقضيت حوائجه عند الملوك والسلاطين وإن خرج مخضرا لم يؤثر فى حامله سم أصلا . .

(الحجر الأغبر) إذا حك فخرج محكه مبيضا فسحق كالكحل وا كتحل به إنسان على اسم رجل أو امرأة وقعت محبة المكتحل فى قلب من سماه وأحبه حبا زائدا وإن خرج مخضرا أو مسودا وا كتحل به أ كرمه كل من رآه وإن ا كتحلت به النساء أحبهن أزواجهن وإن خرج مصفرا أو محمرا وحمله إنسان أفلح حيث توجه .

(الحجر الأصفر) إذا خرج محكه مبيضا حصل لحامله من الخلق كل ما يروم وإن خرج مخضرا فان حامله لا يغلب فى الكلام والخصومة وإن خرج مسودا فمن حمله وذكر اسم شخص يراه ولا يزال يتبعه حيث شاء حتى لا يكاد ينقطع عنه .

(حجر السامور) هو الذى يقطع به جميع الأحجار بالسهولة . قيل إن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، لما شرع فى بناء بيت المقدس استعمل الجن فى قطع الصخر فشكا الناس إليه من صداع سماع قطع الصخور وشدة حنينها . فقال سليمان للجن : أتعرفون شيئا يقطع الصخر من غير صوت ولا جلبة ؟ فقال بعضهم نعم يانبي الله : أنا أعرفه وهو حجر يسمى السامور ولكن لا أعرف مكانه ، فقال احتالوا فى تعرفه فاستدعى آصف بن برخيا وزيره

باحضار عش عقاب وبيضه على حاله من غير أن يخربوا منه شيئا فجئ به فجعله فى جام كبير غليظ من زجاج وأمر برده إلى مكانه من غير تغيير فأعيد فجاء العقاب ورأى ذلك فضرب الجام برجله ليرفعه فلم يقدر فاجتهد فما أفاد فعاد وجاء فى اليوم الثانى بحجر فى رجله وألقاه عليه فقسم الجام الزجاج نصفين فأمر سليمان باحضاره فحضر ، فقال له من أين لك هذا الحجر الذى ألقيته فى عشك ؟ فقال : يا نبي الله من جبل بالمغرب يقال له السامور فبعث بالجن مع العقاب إلى ذلك الجبل فاحضروا له من حجر السامور كالجبال فكانوا يقطعون به الحجارة من غير صوت ولا صداع وأسكت الناس .

(حجر حامى) هو حجر شديد الحمرة منقط بنقط سود صغار يوجد ببلاد الهند من أزال عنه تلك النقط وسحقه وألقاه على الفضة صارت ذهبا خالصا .

(حجر الخطاف) يوجد فى عش الخطاف حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالأبيض يبرئ حامله من الصرع والأحمر يقوى القلب ويذهب الجزع والخوف والفزع عن حامله .

(حجر الرحى) يؤخذ من حجر الرحى السفلانى قطعة وتعلق على المرأة التى تسقط الأولاد فلا تسقط بعد ذلك .

(حجر الصنونو) هو حجر يوجد فى عش الصنونو تنفع حكاكته من اليرقان والحيلة فى تحصيله أن يعمد الانسان إلى فراخ الصنونو فيلطخها بالزعفران المذاب بالماء ويدعها فاذا رأتهم الأم تظن أن بهم يرقانا فتغيب وتأتى بهذا الحجر وتضعه عندهم فيأخذه الطالب له .

(حجر القئ) وهو حجر بأرض مصر إذا أمسكه الانسان غلب عليه الغثيان حتى يلقى ما ببطنه فان لم يرمه هلك من القئ .

(حجر المطر) هو حجر يوجد ببلاد الترك إذا وضع فى الماء غيمت الدنيا ووقع المطر والثلج والبرد إلى أن يرفع من الماء ، قال القزوينى : رأيت من

شاهد هذا وأخبرنى به .

(حجرالحية) وهو حجر يوجد فى رأسها فى حجم بندقة صغيرة وحجرها ينفع الملدوغ تعليقا ويقطع نزف الدم وعسر البول ويقوى الفكر وإن علق فى رقبة المصروع زال عنه الصرع .

(حجر السبج) وهو حجر أسود شديد الرخاوة يجلب من الهند شديد البريق ينكسر سريعا إذا ضعف بصر الانسان يديم النظر إليه فينفعه وإن حمله منع عنه العين السوء ويجلو البصر اكتحالا وإذا جعل على الرأس أزال الصداع .

(حجر السنبادج) يجلو الأسنان ويدمل القروح .

(حجر الماس) هو حجر فى لون النوشادر الصافى لا يلصق بشىء من الأحجار وإذا وضع على السندان وضرب عليه بالمطرقة غاص فيهما أو فى أحدهما ولم يتكسر وإذا ضرب بالأسرب تكسر ولو تكسر ألف قطعة لا تكون مقطعاته إلا مثلثة يضعون منها قطعة فى طرف المثقب ويثقبون به الأحجار الصلبة والجواهر وإن ألقى فى دم تيس وقرب من النار ذاب لوقته وهو سم قاتل .

(حجر الجزع) هو حجر صلب له ألوان كثيرة فمن حمله أورثه الهم والغم والحزن وأراه أحلاما رديئة ويعسر عليه قضاء الحوائج وإن علق على صبى كثر بكاؤه وفزعه وسال لعابه وعظم نكده ومن سقى منه مسحوقا قل نومه وثقل لسانه وإن وضع بين جماعة حصلت بينهم فتنة وخصومة وعداوة وليس فيه منفعة إلا أنه يسهل الولادة على الحامل .

(حجر البحر) هو حجر أسود خفيف خشن من استصحبه فى ركوب البحر أمن من الغرق وإن وضع فى قدر لم تغل أبدا .

(حجر الدجاجة) وهو يوجد فى قوانص الدجاج إذا وضع على مصروع أبرأه وإن حمله إنسان فانه يزيد فى قوة باهه ويدفع عن حامله عين السوء

ويوضع تحت رأس الصبي فلا يفزع فى نومه .

(حجر البهت) وهو أبيض شفاف يتلألأ حسنا وهو مغناطيس الانسان إذا رآه الانسان غلب عليه الضحك والسرور وتقضى حوائج حامله عند كل أحد .

(حجر المغناطيس) أجوده ما كان أسود مشربا بحمرة ويوجد بساحل بحر الهند والترك وأى مركب دخل هذين البحرين فمهما كان فيه من الحديد طار منه مثل الطير حتى يلصق بالجبل ولهذا لا يستعمل فى مراكب هذين البحرين شيء من الحديد أصلا وإذا أصاب هذا الحجر رائحة الثوم بطل فعله فاذا غسل بالخل عاد إلى فعله فاذا علق هذا الحجر على أحد به وجع نفعه خصوصا من به وجع المفاصل ووجع النقرس ويزيد فى الذهن ويعلق على الحامل فتضع فى الحال وقد قيل فيه :

قلبي العليل وأنت جالينوسه　　　فعسى بوصل آن يزول رسيسه
يشتاقك القلب العليل كأنه　　　إبر الحديد وأنت مغناطيسه

وقد قيل فى المعنى دوبيت :

من آدم فى الكون ومن إبليس　　　ما عرش سليمان وما بلقيس
الكل إشارة وأنت المعنى　　　يا من هو للقلوب مغناطيس

الأحجار الصلبة ذوات الجواهر

(الياقوت) هو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته ولا يثقب لغلظ رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته بل يزداد حسنا على ممر الليالى والأيام وهو عزيز قليل الوجود سيما الأحمر وبعده الأصفر على أن الأصفر أصبر على النار من سائر أصنافه وأما الأخضر منه فلا صبر له أصلا ومن تختم بهذه الأصناف أمن من الطاعون وإن عم الناس ومن حمل شيئا منها أو تختم به

كان معظما عند الناس وجيها عند الملوك .

(الدر واللؤلؤ) يتكون في بحر الهند وفارس وزعم البحريون أن الصدف الدرى لا يكون إلا فى بحر تصب فيه الأنهار العذبة فاذا أتى الربيع كثر هبوب الريح فى البحر وارتفعت الأمواج واضطرب البحر فاذا كان الثامن عشر من نيسان خرجت الأصداف من قعور هذه البحار ولها أصوات وقعقعة وبوسط كل صدفة دوية صغيرة وصفحتا الصدفة لها كالجناحين وكالسور تتحصن به من عدو مسلط عليها وهو سرطان البحر فربما تفتح أجنحتها لشم الهواء فيدخل السرطان مقصه بينهما ويأكلها وربما يتحيل السرطان فى أكلها بحيلة دقيقة وهو أنه يحمل فى مقصه حجرا مدورا كبندقة الطين ويراقب دابة الصدف حتى تشق عن جناحيها فيلقى السرطان الحجر بين صفحتى الصدفة فلا تنطبق فيأكلها ففى اليوم الثامن عشر من نيسان لا تبقى صدفة فى قعور البحر المعروفة بالدر واللؤلؤ إلا صارت على وجه الماء وتفتحت حتى يصير وجه البحر أبيض كاللؤلؤ وتأتى سحابة بمطر عظيم ثم تنقشع السحابة وقد وقع فى جوف كل صدفة ما قدر الله من القطر إما قطرة واحدة وإما اثنتان وإما ثلاثة وهلم جرا إلى المائة والمائتين وفوق ذلك ثم تنطبق الأصداف وتلتحم وتموت الدابة التى كانت فى جوف الصدفة فى الحال وترسب الأصداف إلى قرار البحر وتلصق به وينبت لها عروق كالشجرة فى قرار البحر حتى لا يحركها الماء فيفسد ما فى بطنها وتلتحم صفحتا الصدفة التحاما بالغا حتى لا يدخل إلى الدر ماء البحر فيصفره وأفضل الدر المتكون فى هذه الأصداف القطرة الواحدة ثم الاثنتان ثم الثلاثة وكلما كثر العدد كان أصغر جسما وأخس قيمة وكلما قل العدد كان أكبر جسما وأعظم قيمة والمتكون من قطرة واحدة هى الدرة اليتيمة التى لا قيمة لها والأخريان بعدها فالصدفة تنقلب إلى ثلاثة أطوار فى الأول طور الحيوانية فاذا وقع القطر فيها وماتت الدوية صار فى طور الحجرية ولذلك غاصت

إلى القرار وهذا طبع الحجر وهو الطور الثانى وفى الطور الثالث وهو الطور النباتى تشرش فى قرار البحر وتمد عروقا كالشجرة ذلك تقدير العزيز العليم ولمدة حمله وانعقاده وقت معلوم وموسم يجتمع فيه الغواصون لاستخراج ذلك ، هذا فى البحر . وأما فى البر ففى الثامن عشر من نيسان فى كل عام تخرج فراخ الحيات التى ولدت فى تلك السنة وتسير من بطن الأرض إلى وجهها وتفتح أفواهها كالأصداف فى البحر نحو السماء كما فتحت الأصداف جوفها فما نزل من قطر السماء فى فمها أطبقت فمها عليها ودخلت فى جوف الأرض فاذا تم حمل الصدف فى البحر لؤلؤا ودرا صار ما دخل فى فم فراخ الحيات داء وسما فالماء واحد والأوعية مختلفة والقدرة صالحة لكل شىء ، وقد قيل فى هذا المعنى :

أرى الاحسان عند الحر دينا　　وعند النذل منقصة وذما

كقطر الماء فى الأصداف در　　وفى جوف الأفاعى صار سما

(البلخش) هو حجر صلب شفاف كالياقوت فى جميع أحواله ومنافعه

(الدهنج) هو أخضر كالزبرجد لين المجس يتكون فى معدن النحاس وهو أنواع كثيرة . ومن عجيب أمره أنه يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته ومن عجيب أمره أيضا أنه إذا سقى الانسان من محكه فعل فعل السم ، وإذا سقى منه شارب السم نفعه وإذا مسح به موضع اللدغة برأ ويطلى بحكاكته البرص فيزيله وينفع من خفقان القلب ويهيج على حامله شهوة الجماع

(الزبرجد) هو حجر أخضر شفاف يشبه الياقوت الأخضر وليس كقوته ولا فعله ولا قيمته .

(الزمرذ) هو حجر أخضر شفاف يدخل في معالجة أدوية من سقى السم وفى أكحال بياض العين وحمله يقطع نزف الدم ووضعه فى الفم يقطع عطش الماء ، ويبرد حرارة القلب (ومنه) جنس يقال له الذبابى خاصيته

أن حامله لايقع عليه الذباب (ومنه) جنس إذا نظرت إليه الأفاعى سالت أحداقها على خدودها

(حجر الباهت) هو حجر أبيض شفاف يتلألأ حسنا ، وهو مغناطيس الانسان إذا أبصره الانسان غلب عليه الضحك والسرور ، ومن أمسكه معه قضيت حوائجه وعقدت عنه الألسن ، ويسمى حجر البهت .

(حجر الفيروزج) هو أخضر مشوب بزرقة يوجد بخراسان وهو كالدهنج يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته . ينفع العين اكتحالا والتختم به ينقص الهيبة إلا أنه يورث الغنى والمال .

وعن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أنه قال : ما افتقرت يد تختمت بالفيروزج .

(والمرجان) ينبت فى البحر ، كالشجر وإذا كلس تكليس أهل الصنعة عقد الزئبق فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوى البصر كحلا وينشف رطوبته بخاصية ذلك فيه

(العقيق) وهو معروف من تختم به سكن غضبه عند الخصومة وسكن ضحكه عند التعجب والسواك بنحاتته يجلو وسخ الأسنان ورائحتها الكريهة وينفع من خروج الدم من اللثة ومحرقه يقوى السن وينفع من الخفقان وقال صلى الله عليه وسلم «من تختم بالعقيق لم يزل فى خير وبركة وسرور» .

(الكهرباء) هو حجر أصفر مائل إلى الحمرة ، ويقال إنه صمغ شجر الجوز الرومى ينفع حامله من اليرقان والخفقان والأورام ونزف الدم ويمنع القىء ويعلق على الحامل فيحفظ جنينها .

(البلور) وهو حجر أبيض شفاف أشف من الزجاج وأصلب ، وهو متجمع الجسم فى موضع بخلاف الزجاج وهو يصبغ بألوان كثيرة كالياقوت واستعمال آنيته ينفع لالتهاب فى القلب ، والأغبر إذا علق على من يشتكى وجع الضرس أبرأه فى الحال .

(الزجاج) معروف وهو يقبل الألوان ويجلو الأسنان ويجلو بياض العين وينبت الشعر إذا طلى بدهن الزنبق .

(اللازورد) وهو حجر أزرق ينفع العين اكتحالا إذا خلط فى الأكحال ومن تختم به نبل فى عيون الناس ، وهو يسقط الثآليل حملا وحكا ، وينفع أصحاب الماليخوليا .

(وأما غير ذلك من المعادن فهو حجر اليشم) وهو حجر الغلبة من حمله لا يغلبه أحد فى الحروب ولا الخصومات ولا المحاجة ومن وضعه فى فمه سكن عطشه ولهذا اتخذه الملوك فى حوائصهم ومناطقهم وأسلحتهم .

(التوتياء) هو حجر منه أخضر ومنه أصفر ومنه أبيض يجلب من سواحل الهند وأجوده الأبيض الخفيف الطيار ثم الأصفر ثم الفستقى الرقيق وهو بارد يابس يمنع الفضلات من النفوذ إلى عروق العين وطبقاتها وينفع من الرطوبة وينشف الدمعة ويزيل الصنان من الجسد .

(الأثمد) هو الكحل الأسود أجوده الأصفهانى وهو بارد يابس ينفع العين اكتحالا ويقوى أعصابها ويمنع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع سيما الشيوخ والعجائز وإن جعل معه شىء من المسك كان غاية فى النفع وينفع من حرق النار طلاء مع الشحم ويقطع النزف ويمنع الرعاف إذا كان من أغشية الدماغ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير أكحالكم الأثمد ينبت الشعر ويجلو البصر » .

(الملح) هو حار يابس وهو يدفع العفونات كلها ويجلو كآبة اللون طلاء ويذيب الأخلاط الغليظة والبلغم والعفن والخام والسوداء ويأكل اللحم الزائد ويحسن اللون أكلا ويضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب ومع العسل والخل لنهش أم أربعة وأربعين وينفع من الجرب والحكة البلغمية والنقرس ويمنع من أوجاع المعدة الباردة ويحد الذهن ويشد اللثة المسترخية ويسهل خروج الثفل إلا أنه يضر بالدماغ والبصر والرئة . قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه «يا على ابدأ بالملح واختم بالملح فانه شفاء من سبعين داء» والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل فى النباتات والفواكه وخواصها

اعلم وفقنا الله تعالى جميعا إلى التفكر فى عجائب صنعته وغرائب قدرته أن عقول العقلاء وأفهام الأذكياء قاصرة متحيرة فى أمر النباتات وعجائبها وخواصها وفوائدها ومضارها ومنافعها وكيف لا وأنت تشاهد اختلاف أشكالها وتباين ألوانها وعجائب صورة أوراقها وروائح أزهارها وكل لون من ألوانها ينقسم إلى أقسام كالحمرة مثلا وردى وأرجوانى وسوسنى وشقائقى وخمرى وعنابى وعقيقى ودموى ولكى وغير ذلك مع اشتراك الكل فى الحمرة ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها بعضا واشتراك الكل فى طيب الرائحة وعجائب أشكال ثمارها وحبوبها وأوراقها دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى ولكل لون وريح وطعم وورق وثمر وزهر وحب خاصية لاتشبه الأخرى ولا يعلم حقيقة الحكمة فيها إلا الله تعالى والذى يعرفه الانسان من ذلك بالنسبة إلى ما لايعرفه كقطرة من بحر

حكى المسعودى: أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة خرج ومعه ثلاثون قضيبا مودعة أصناف الثمار. (منها) عشرة لها قشر وهى الجوز واللوز والفستق والبندق والشاهبلوط والصنوبر والرمان والنارنج واللوز والخشخاش. (ومنها) عشرة لاقشر لها ولثمارها نوى وهى رطب والزيتون والمشمش والخوخ والاجاص والعناب والغبيراء والدراقن والزعرور والنبق (ومنها) عشرة ليس لها قشر ولا نوى وهى التفاح والكمثرى والسفرجل والتين والعنب والأترج والخرنوب والبطيخ والقثاء والخيار.

(النخل) هو أول شجرة استقرت على وجه الأرض وهى شجرة

مباركة لا توجد فى كل مكان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكرموا عماتكم النخل» وإنما سميت عمتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام ولأنها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها من بين الاناث واختصاصها باللقاح ورائحة طلعها كرائحة المنى ولطلعها غلاف كالمشيمة التى يكون الولد فيها ولو قطع رأسها ماتت ولو أصاب جمارها آفة هلكت والجمار من النخلة كالمخ من الانسان وعليها الليف كشعر الانسان وإذا تقاربت ذكورها وإناثها حملت حملا كثيراً لأنها تستأنس بالمجاورة وإذا كانت ذكورها بين إناثها ألقحتها بالريح وربما قطع إلفها من الذكور فلا تحمل لفراقه وإذا دام شربها للماء العذب تغيرت وإذا سقيت الماء المالح أو طرح الملح فى أصولها حسن ثمرها ويعرض لها أمراض مثل أمراض الانسان .

(منها) الغم وعلاجه أن يقطع من أسفلها قدر ذراعين ثم تخلل بالحديد. والعشق: وهو أن تميل شجرة إلى أخرى ويخف حملها وتهزل ، وعلاجها أن يشد بينها وبين معشوقها الذى مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه ، ومن أمراضها منع الحمل وعلاجه أن تأخذ فأسا وتدنو منها وتقول لرجل معك أنا أريد أن أقطع هذه النخلة لأنها منعت الحمل فيقول ذلك الرجل لاتفعل فانها تحمل فى هذه السنة فتقول لابد من قطعها وتضربها ثلاث ضربات بظهر الفأس فيمسكه الآخر ويقول بالله لاتفعل فانها تثمر فى هذه السنة فاصبر عليها ، ولا تعجل وإن لم تثمر فاقطعها فتثمر فى تلك السنة وتحمل حملا طائلا .

ومن أمراضها سقوط الثمرة بعد الحمل وعلاجه أن يتخذ لها منطقة من الأسرب فتطوق به فلا تسقط بعدها أو يتخذ لها أوتادا من خشب البلوط ويدفنها حولها فى الأرض ، ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت نوى تمر من نخلة واحدة وزرعت منها ألف نخلة جاءت كل نخلة منها لا تشبه الأخرى

قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا نقعت النوى فى بول البغل وزرعت منها مازرعت جاءت نخله كلها ذكورا وإن نقعت النوى فى الماء ثمانية أيام وزرعته جاء بسره كله محمراً وإن نقعت النوى فى بول البقر أياما وجففته ثلاث مرات وزرعته جاءت كل نخلة تحمل حملا قدر نخلتين وإذا أخذت نوى البسر الأحمر وحشوته فى ثمر الأصفر وزرعته جاء بسره أصفر وكذلك بالعكس وكذلك فلاحة النوى المتطاول والنوى المدور .

(وكيفية) غرسه أن تجعل طرف النوى الغليظ مما يلى الأرض وموضع النقير إلى جهة القبلة .

وحكى أن بعض الرؤساء أهدى له عذق واحد فيه بسرة حمراء وبسرة صفراء . وحكى أن قرية بنهر معقل كانت نخلها كلها تخرج الطلع فى السنة مرتين . وحكى أن بالسكن من أعمال بغداد نخلة تخرج كل شهر طلعة واحدة على مر السنين ، وكان فى بستان ابن الخشاب بمصر نخلة تحمل أعذاقها في كل عذق بسرة نصفها أحمر ونصفها أصفر والأعلى أحمر والأسفل أصفر والعذق الآخر بالعكس الفوقانى أصفر والتحتانى أحمر .

وعن بعض ملوك الروم أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد بلغنى أن ببلدك شجرة تخرج ثمرة كأنها آذان الحمر ثم تنشق عن أحسن من اللؤلؤ المنظوم ثم تخضر فتكون كالزمرد ، ثم تحمر وتصفر فتكون كشذور الذهب وقطع الياقوت ثم تينع فتكون كأطيب الفالوذج ثم تيبس فتكون قوتا وتدخر مؤنة فلله درها شجرة وإن صدق الخبر فهذه من شجر الجنة فكتب إليه عمر رضى الله عنه صدقت رسلك وأنها الشجرة التى ولد تحتها المسيح وقال إنى عبد الله فلا تدع مع الله إلها آخر

ووصف خالد بن صفوان النخل فقال : هى الراسخات فى الوحل ، المطعمات فى المحل ، الملقحات بالفحل المينعات كشهد النحل تخرج أسفاطا غلاظا وأوساطا كأنما ملئت حللا ورياطا ثم تنشق عن قضبان لجين وعسجد

كالشذر المنضد ثم تصير ذهبا أحمر بعد أن كانت فى لون الزبرجد ومن خواص النخلة أن مضغ خوصها يقطع رائحة الثوم وكذلك رائحة الخمر، شعر:

كأن النخيل الباسقات وقد بدت ... لناظرها حسنا قباب زبرجد
وقد علقت من قلبها زينة لها ... قناديل ياقوت بأمراس عسجد

(النارجيل) وهو الجوز الهندى زعم أهل اليمن والحجاز أن شجر النارجيل هو شجر المقل لكنها أثمرت نارجيلا لطيب طباع التربة والأهوية وأجوده الطرى ثم جديد عامه الأبيض وهو حار يابس يزيد فى الباه وقوة الجماع وينفع من تقطير البول ودهن العتيق منه ينفع البواسير والريح ويقتل الدود شربا ولبن الطرى منه كثير الحلاوة وليفه يتخذ منه حبال للسفن

(الاجاص والقراصيا) هما أخوان كالمشمش والخوخ الزهرى. والاجاص نوعان: أحدهما يستعمل فى الأدوية وأصغر منه، وهو الذى يقال له الخوخ التلباشرى وهو أحلى من الأول. والقراصيا أيضاً نوعان: أحدهما البرقوق وهو حلو أغبر، والآخر أسود حامض. قال صاحب «كتاب الفلاحة» من أراد أن يكونا بلا نوى فليشق أسافل قضبانهما شقا متوسطاً وقت غرسهما وليخرج من أجوافهما مخهما وهو صوفة وسط القضيب إخراجا بلطف ويضم بعضها إلى بعض ويربطها بشىء من الحشيش أو البردى ويغرسهما مع بصل العنصل فانهما يثمران ثمراً بلا نوى وكذلك يفعل بالرمان فيخرج حبه بلا نوى.

(العناب) منه برى ومنه بستانى وهو كثير الحمل ولشجره شوك ومتى أحرق فى أصله شىء من شجر الجوز حمل حملا كثيراً، وكذلك إن أحرق فى أصل الجوز شجر العناب وهو معتدل بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ينفع من حدة الدم لتغليظه له وينفع الصدر والرئة ويحبس الدم والماء المطبوخ فيه العناب نافع فانه يبرد ويرطب ويسكن الحدة واللذعة

والذى فى المعدة والأمعاء والسعال عن حرارة ويلين خشونة الصدر والحنج
إلا أنه يولد بلغما وهو عسر الهضم قليل الغذاء.

(الزيتون) نوعان: منه بستانى وبرى، والبرى هو الأسود وشجرته شج
مباركة لا تنبت إلا فى البقاع الشريفة الطاهرة المباركة. قال رسول ا
صلى الله عليه وسلم «إن آدم وجد ضربانا فى جسمه ولم يعهده فشكا إلى ا
عز وجل فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يغرسها ويأخذ
ثمرها ويعصره ويستخرج دهنه وقال له إن فى دهنه شفاء من كل د
إلا السام». ويقال إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة.

ومن خواصها أنها تصبر عن الماء طويلا كالنخل، ولا دخان لخشب
ولا لدهنها وإذا لقط ثمرتها جنب فسدت وقل حملها وانتثر ورقها، وينبغ
أن تغرس فى المدن لكثرة الغبار فان الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسم
ونضجه، وإذا دققت حولها أوتاداً من شجر البلوط قويت وكثرت ثمرت
وإذا علق على من لسعه شىء من ذوات السموم من عروق شجر الزيتون بر
لوقته وإذا أخذ ورقه ودق وعصر ماؤه على اللدغة منع سريان السم وكذلك
من سقى السم وبادر شرب عصارة ورقها لم يؤثر فيه السم وإذا طبخ ورقه
الأخضر طبخاً جيداً ورش فى البيت هرب منه الذباب والهوام وإذا طب
بالخل وتمضمض به نفع من وجع الاسنان وإذا طبخ بالعسل حتى يصير
كالعسل وجعل منه على الأسنان المتأكلة قلعها بلا وجع، ورماد ورقه
ينفع العين كحلا ويقوم مقام التوتيا، وصمغها ينفع من البواسير إذا ضمد
به وإذا نقع ورقها فى الماء وجعل فيه الخبز فاذا أكله الفأرمات لوقته وصمغ
الزيتون البرى ينفع من الجرب والقوباء ووجع الأسنان المتأكلة إذا حشيت
به وهو من الأدوية القتالة.

(والزيتون) المملوح يقوى المعدة ويضر بالرئة والأسود منه يورث
سهراً وصداعاً وخلطاً سوداويا والخل يكسر نصف شره. قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « عليكم بالزيت فانه يسهل المرة ويذهب البلغم ، ويشد العصب ، ويمنع الغثى ، ويحسن الخلق ، ويطيب النفس ، ويذهب الهم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « كلوا الزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة » ، وهو حار رطب موافق لوجع المفاصل ، وعرق الانسى ، ويسهل مع ماء الشعير شربا ، ويتقايأ به مع الماء الحار فيكسر عادية السموم لدغا وشربا

(وزيت الزيتون البرى) ينفع من الصداع واللثة الدامية مضمضة ويشد الأسنان المتحركة ونواه يبخر به لأوجاع الضرس وأمراض الرئة. وقد قيل فى الزيتون :

أنظر إلى زيتوننا فهو شفاء المهج

بدا لنا كأعين قد كحلت بالدعج

مخضره زبرجد مسوده من سبج

(التمر هندى) هو ألطف من الاجاص وأقل رطوبة وأجوده الجديد الطرى وهو بارد يابس يسهل المرة الصفراء ، ويمنع حدتها ويطفئها وينفع من القئ والعطش ومن الحميات والغثى والكرب إلا أنه يضر بالصدر وأصحاب السعال .

(الغبيراء) خشبها أصبر من كل خشب على الماء كالأرز والتوت وزهرتها إذا شمتها المرأة هاجت بها شهوة الجماع حتى تطرح الحياء ، والتنقل بثمرها يبطىء السكر ويحبس القئ وينفع من إكثار البول

(الخوخ) هو أخو المشمش ومشاكل له فى كل أموره إلا في البقاء فان المشمش أطول عمراً منه لأن الخوخ أكثر ما يحمل أربع سنين والحر والبرد يهلكه وهو نوعان : شعرى وزهرى . قال صاحب « كتاب الفلاحة » : إذا أخذ القضيب من شجر الخوخ ونقع فى بول إنسان سبعة أيام ثم تثقب شجرة الصفصاف ثقباً نافذاً متسعاً بحيث يدخل فيه قضيب القصب وتدخل القضيب في ذلك الثقب حتى يخرج من الجانب الآخر ثم تطين الموضع

المثقوب وتقطع ما فضل من القضيب من الجانبين بعد ذلك بسبعة أيام فان
يثمر ثمراً بلا عجم وإذا أردت تلوين ثمرتها فشق النواة فان أردت لونها أحمر
فضع فى النواة زنجفرا مسحوقا ناعماً ، وإن شئت أصفر فزعفراناً ، وإن
شئت أخضر فزنجاراً ، وإن أردت أزرق فلازورد ونيلة ، وإن شئت
أبيض فاسفيذاجا ثم ترد قشرة النواة على القلب رداً موافقاً وتعصبها وتزرعها
فان ثمرتها تجيء على اللون الذى وضعت فى النواة بلا مغايرة وإذا حفرت
أصل الشجرة فى أول كانون وثقبته وجعلت فيه قصبة من قصب السكر ثم
تتركها خمسة أيام ثم تسقيها فانها تحمل حملا حلوا وكذلك طعم نواه. وخاصية
ورق الخوخ أنه يقطع رائحة النورة من الجسد إذا سحق ناعما ووضعه فى
الدلوك مع ماء الليمون والشيرج ، ويقتل الدود الذى فى باطن الانسان إذا
طليت به السرة ، ويقتل دود الأذن إذا قطر فيه من عصارتها ، والخوخ بارد
رطب وهو يزيد فى الباه ويضر بالمبرودين ويشهى الطعام ، ولا يحمض فى
المعدة بخلاف المشمش.

(المشمش) هو شجر يسرع إليه الفساد عسر النشوء إلا أنه إذا نبت
طال مكثه. قال صاحب كتاب الفلاحة : من أراد أن تعظم هذه الشجرة
عنده فلينزع أكثر ثمرتها عند أول نشئها وحملها ولا يترك عليها من الحمل إلا
شيئا قليلا فى أغصان قوية منها وهى تشبه الخوخ فى جميع أحواله وإن
فعلت بها جميع ما ذكرته فى الخوخ من الألوان والأصباغ قبلت ذلك وإن
أردت المشمش بلا نوى فاقطع وسط ساق شجرتها حتى تبلغ قلبها ثم اضرب
فى ذلك الموضع وتداً من خشب بلوط فان تلك الشجرة تحمل مشمشا بلا نوى
ومتى ركبت اللوز فى المشمش اكتسب من طعمه وحلاوته. وأما خاصيته
فعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نبيا
من الأنبياء بعثه الله إلى قومه وكان لهم عيد يجتمعون فيه فى كل سنة فأتاهم
النبي فى ذلك اليوم ودعاهم إلى الله تعالى فقالوا له : إن كنت صادقا فادع لنا

ربك يخرج لنا من هذا الخشب اليابس ثمرة على لون ثيابنا وكانت ألوانها مزعفرة ونحن نؤمن لك فدعا ذلك النبي ربه عز وجل فاخضر الخشب وأورق وأثمر بالمشمش الأصفر فمن أكل منه ناويا للايمان وجد نواه حلوا ومن أكل على نية أن لا يؤمن وجد نواه مراً . وورقها إذا مضغ أزال وجع الضرس والمشمش بارد رطب ورطبه سريع العفونة يولد الحميات بسرعة ويبرد المعدة ويفسد الطعام الذى فى المعدة وقديده إذا نقع أزال الحميات ونواه إذا نقع وأكل أحدث غشيا وكربا وغثيانا ودهن لب المرمنه له منافع

حكى أن طبيبا مر برجل يغرس فى شجر المشمش فقال له : ماتصنع ؟ قال : أعمل لى ولك . قال الطبيب كيف ذلك ؟ قال أنتفع أنا بالثمرة وثمنها وتنتفع أنت بمرض من يأكلها .

(التفاح) هو أصناف حلو وحامض وعفص ومز ومنه مالا طعم له وهذه الأصناف فى التفاح البستانى وذكر أن بأرض اصطخر تفاحا نصف التفاحة حامض ونصفها حلو ومتى ركب التفاح فى الرمان يحمر ويحلو ومتى ضب فى أصله أو فى أصل الدراقن بول الناس احمر ومتى غرس فى أصلها ورد أحمر يحمر ومتى طرحت زهوتها تسقى الخمر ٧ ومتى صب فى أصل الشجرة من التفاح بول امرأة برأت من سائر أمراض الشجر ومتى غرس فى أصلها العصفر أو حولها لم تدود ثمرتها ، ومتى أردت أن تكتب على التفاح الأحمر بالأبيض فاكتب عليها وهى خضراء بالمداد لا إله إلا الله أوماشئت وتركته إلى أن يحمر ثم مسحت المداد فتخرج الكتابة وما تحتها أبيض ليس به حمرة وكذلك إذا قصيت ورقة ورسمت فيها ماشئت من النقوش وألصقتها على التفاح قبل احمراره تجد النقش بعد الاحمرار أبيض وإذا قل ثمرها وانتثرت زهرتها أو ورقها فعلق عليها صفيحة من رصاص وأرخها حتى يبقى بينها وبين الأرض شبر وإذا خرجت الثمرة وصلحت فارفع عنها الصفيحة

خاصية هذه الشجرة : عصارة ورقها تسقى لمن سقى السم أو نهشته

حية أو لدغته عقرب مع حليب ماعز فلا يؤثر فيه السم ولا النهشة ولا اللدغة وشم زهر التفاح يقوى الدماغ ، وأجوده الشامى ثم الأصفهانى والتفاح الحامض بارد غليظ مضر بالمعدة ومنسى الانسان ليس فيه نفع ظاهر والحلو منه معتدل الحرارة والبرودة وشمه وأكله يقوى القلب ويقوى ضعف المعدة وهو نافع من السموم وقشره ردىء الجوهر مضر بالمعدة ولا يؤكل بقشره وكثرة أكله بقشره تحدث وجعاً فى العصب وإذا أردت أن التفاح يبقى مدة طويلة فلفه فى ورق الجوز واجعله تحت الأرض أو فى الطين

(الكمثرى) هو أنواع كثيرة وسائرها يبلغ عروقها الماء تحت الأرض قال صاحب كتاب الفلاحة من أحرق شيئاً من شجر الدلب وشجر اللوز بالسوية فى أصول شجر الكمثرى أخرج حملا فى غير أوانه ، ومن ركب الكمثرى على التين أخرج كمثرى حلوا لطيفا دقيق البشرة سريع النضج ، ومن أراد أن لا يقرب ثمرتها دود فليطل ساقها بمرارة البقر وزهره يؤثر تقوية الدماغ وأجوده الذكى الرائحة الكثير الماء الرقيق البشرة الصادق الحلاوة الشديد الاستدارة وهو بارد يابس وأكثر الفاكهة غذاء سيما الحلو منه وحلوه ملين وحامضه قابض جداً وهو يقوى المعدة ويقطع العطش ويسكن الصفراء إلا أنه يحدث القولنج ويضر بالمشايخ وإذا أدخل الغذاء منع بخار المعدة أن يترقى إلى الرأس وهكذا الموز وحبه يقتل دود البطن .

(السفرجل) هو أصناف حلو وحامض ومن وعفص وهو حياة للنفس قال صاحب كتاب الفلاحة إذا أردت أن تتخذ تماثيل من السفرجل فخذ عوداً وانحته على أى تمثال أردت ثم خذ من طين الفخار فالبسه لذلك القالب الذى عملته ثم اتركه حتى يجف بعض الجفاف ويكون القالب الذى وضعته فى الفخار قطعتين ثم تنزع العود المنحوت من القالب الفخار وتطبقه على السفرجلة وهى كالجوزة أو دونها وتعصبه بخرق من قطن عصباً وثيقا وتشد خيطا من العصابة إلى غصن آخر من فوق السفرجلة المذكورة بحيث لا تثقل

فتسقط فاذا بدا صلاح السفرجل فاقطع الخيط وحل العصابة وفك القالب تجد السفرجلة قد تكونت على الهيئة التى وضعتها من الصور والأشكال وهو مما يخرق العقل ، ورماد ورق السفرجل يفعل في العين فعل التوتياء وكذلك رماد خشبه ولزهره خاصية عظيمة عجيبة فى تقوية الدماغ وتفريح القلب وللسفرجل منافع كثيرة غير أن فى ثفله قبضا فينبغى أن يؤكل بلا ثفـل .

روى يحيي بن طلحة عن أبيـه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده سفرجلة فألقاها إلى وقال : دونكها فانهـا تحيي الفؤاد وتنقيه .

وروى الفضل بن العباس أنه صلى الله عليه وسلم كسر سفرجلة وناول منها جعفر بن أبى طالب وقال له : كل فانه يصفى اللون ويحسن الولد

ومن عجيب أمره أنه إذا قطع بسكين نشف ماؤه وإذا كسر كان رطبا مائيا ، وهو بارد يابس يزهر اللون وييسر النفس ويدر البول ويمنع من القيء والحمى ويسكن العطش ويقوى المعدة ويحبس نزف الدم والحامل إذا دامت على أكله سيما فى شهرها الثالث كان ولدها حسن الوجه ذكى الفهم ورائحته تقوى الدماغ والقلب وإذا طبخ بالعسل نفع من عسر البول الكثرة من أكله تولد القولنج والمغص ووجع العصب ، وفى أكله بعد الطعام إطلاق للبطن وإذا وضعت السفرجلة فى موضع فيه أنواع الفواكه أفسدت الكل وإذا أردت السفرجل أن يقيم زمانا فضعه على نشارة الخشب أو على التبن .

(التين) هو أصناف ، قال صاحب «كتاب الفلاحة» : إذا أردت غرسه فاجعل قضبان القصب فى الماء المالح يوما ثم اجعله تحت خثى البقر واغرسه فان شجرته تطيب جدا وثمرته تنبل وتزكو حلاوتها وإذا سقيتها ماء الزيتون لا يسقط من ثمرتها شيء ومن عجيب أمر التين أن الطيور إذا أكلته وذرقته

على الجدار الندى والأماكن الندية تنبت أيضا وتشجر وتثمر ، ومن أخذ من السقمونيا غصنا وعمد إلى شجرة التين وسلخ منها موضعا وركب فيه غصنا من السقمونيا كتركيب سائر الأشجار وليكن ذلك إذا بلغت الشمس من الجدى ست درجات أوسبعا أو ثمانيا ودار حول شجرة التين سبع دورات ثم وضع الغصن عند فراغ سابع دورة فى شجرة التين وعصب التركيب فانها تنبت تينا كالدواء المسهل من أكل منها تينتين كان كشرب شربة وإذا غسلت شجرة التين بالماء الحار هلكت وخشبها ينفع من لسع الرتيلا نقعا بالماء وشربا ومسحا وتعليقا ولبن عيدانه إن قطر على موضع اللسعة لم يسر السم فى الجسد وقضبانها تهرى اللحم فى القدر إذا طبخت معه وإذا نثر رماد خشب التين فى البساتين هلك منها الدود وإذا دق ورق التين مع الفج منه على عضة الكلب الكلب نفعه وعصارة ورقها تقلع آثار الوشم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وضع بين يديه التين : «لو قلت إن ثمرة نزلت من الجنة لقلت هذه كلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس» ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أقسم الله بهذه الشجرة لأنها تشبه ثمار الجنة لا قشر لها ولا نوى وهى على قدر اللقمة وأجوده المائل إلى البياض ثم الأصفر ثم الأسود وأجود أصنافه الوزيرى والتين حار رطب وهو أغذى من سائر الفواكه وأسرع نفوذا وهو يصلح اللون الفاسد ويوافق الصدر ويسكن العطش الذى من البلغم المالح ويمنع الاستسقاء وينفع من لسع العقرب والرتيلا وأكله أمان من السموم وإذا استعمل منه على الريق عشرة مع قلب الجوز كان له نفع عظيم ومع اللوز فكذلك والغرغرة بمائه مطبوخة تحلل الخوانيق ولبنه يذيب الجامد من الدماء والألبان ويلطخ بلبنه الدماميل فتنضج ويقطر على الثآليل فيقطعها وعلى الجراحات التى عليها اللحم الفاسد فينقيها والاكثار من أكله بالخبز يورث القمل فى البدن ودخان التين يهرب منه البق والبعوض.

(العنب) الكرمة أكرم الشجر وثمارها أشرف الثمر وللناس بفلاحتها

عناية عظيمة لما فى العنب من الخاصية وقد صنفوا كتبا فيما يتعلق بفلاحة الكرم الدوالى لأنها أقل عملا وأخف مؤنة وأكثر حملا وأجود عصيرا . ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت من قضبانها التى فيها قوة الحمل وغرستها تأتى فى أول سقتها بالعناقيد ويكون بينها وبين الغرس شهران وهذا الأمر لا يتفق فى شىء من الشجر أصلا ، قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا أردت أن ترى من الكرمة عجبا من كثرة النفع وقوة الأصل وزيادة الحمل وسرعة الادراك فخذ قضبان غرسها من شجرة قريبة العهد ثم اغرسها فى النصف الأول من الشهر والطخ رأس القضيب بخثى البقر وابذر فى جورة غرسها شيئا من البلوط والنانخواه والباقلاء فان شجرتها تكون فى غاية العجب ومخالفة لسائر الكروم وإذا أخذت قضيبا من العنب الأبيض وقضيبا من الأسود وقضيبا من الأحمر وشققتها بحيث لا يقع شىء من قشورها ولففت بعضها ببعض وغرستها فان القضبان كلها تخرج ساقا واحدا وتحمل الألوان الثلاثة شجرة واحدة وإذا أردت أن تسود العنب الأبيض فاحفر عن أصل الكرمة واسقها شيئا من النفط الأسود فان أردت أن لا يقع فى الكرم دود فاقطع طاقاتها بمنجل قد لطخ بدم ضفدع أو دم دب وإذا أردت أن يسلم من البرد فدخن الكرم بزبل بحيث يصل الدخان إليها جميعا وانثر عليها ثمرة الطرفاء وإذا حملت الكرمة فأخذت من نوى الزبيب أو العنب وطمر فى أصلها أسرع إدراك ثمرها وعصير كل عنب على لون أرضه لا لون حبه وماء الكرم الذى يتقاطر من قضبانها بعد كسحها يجمع ويسقى للمشغوف بالخمر بعد شرب الخمر من غير علمه فانه يبغض الخمر قطعا وينفع للجرب شربا ويدق ورقها ناعما ويضمد به الصداع فيسكنه وأصناف ثمرها كثيرة وأعجبها عيون البقر وهى كالجوز وأصابع العذارى وهى كالأصبع المخضوبة وربما بلغ العنقود منه طول ذراع والعنبة أوقية بالمصرى ويقال إن فى بعض الكتب المنزلة أتكفرون بى وأنا خالق العنب . وقشر العنب بارد يابس والعنب جيد الغذاء

مقوى للبدن يسمن بسرعة ويولد دما جيدا وينفع الصدر والرئة والمقطوف لوقته ينفع ويحرك البطن ويقوى شهوة الجماع ويقوى مادة المنى وحبه ينفع من لسع الهوام والأفاعى دقا وضمادا .

(الحصرم) أجود ماء الحصرم المعتصر باليد وهو بارد يابس ينفع من الصفراء ومن الحرارة الملتهبة ويولد رياحا ومغصا ويضر بالعصب والصدر

(الزبيب) أجوده الكثير اللحم الصادق الحلاوة ، وقيل إنه اهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيب ، فقال : « بسم الله كلوا نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويرضى الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفى اللون » والزبيب حار رطب وحبه بارد يابس والزبيب تحبه المعدة والكبد وهو جيد لوجع الأمعاء وينفع الكلى والمثانة ويعين الأدوية على الاسهال إذا أخذ منه عشرة دراهم ونزع عجمها أطلق البطن والقليل اللحم منه يقوى المعدة ويحبس الدم و يضر الكلى .

(القشمش) هو زبيب صغير حلو أحمر وأخضر وأصفر ، ويحكى عن أصحابه أنهم قالوا ما زبب من قشمشنا فى الشمس جاء أحمر وما زبب معلقا جاء أصفر وما زبب فى البيوت جاء أخضر وهو كالزبيب غير أنه لا عجم له .

(الخمر) أول من استخرج الخمر جمشيد الملك فانه توجه مرة إلى الصيد فرأى فى بعض الجبال كرمة وعليها عنب فظنها من السموم فأمر بحملها حتى يجربها ويطعم العنب لمن يستحق القتل فحملوها فتكسرت حباتها فعصروها وجعلوا ماءها فى ظرف فما عاد الملك إلى قصره إلا وقد تخمر العصير فأحضر رجلا وجب عليه القتل فسقاه من ذلك فشربه بكره ومشقة فنام نومة ثقيلة ثم انتبه ، فقال اسقونى منه فسقوه أيضا مرارا ولم يحدث فيه إلا السرور والطرب فسقوا غيره وغيره فذكروا أنهم انبسطوا بعد ما شربوه ووجدوا سرورا وطربا فشرب الملك فأعجبه ثم أمر بغرسه فى سائر البلاد وقيل إن ملك السريان وهو أحد الأخوين اللذين اشتركا فى الملك رأى يوما طائرا

وقد قصدت حية فراخه فرمى الملك الحية بسهم فقتلها فغاب الطائر وأتى بثلاث حبات عنب فى منقاره ورجليه ورماها بين يدى الملك فعلم الملك أنها مكافأة له على فعله فزرعها فعلقت وأينعت وأثمرت فلم يجسر الملك على استعماله خوفا من أن يكون قاتلا أو مضرا فعصره وأودعه فى الآنية فغلى وقذف بالزبد وفاحت رائحته فتعجب الملك لذلك فسقى منه شخصا وجب عليه القتل فطرب ورقص وأظهر سرورا ثم انتبه وذكر ما حدث له من السرور والطرب فسر به الملك وأمر بغرسه فى البلاد . والأسود من الخمر بطىء الانحدار ردىء الكيموس قوى الحرارة والأبيض قليل الحرارة سريع الانحدار ومن لازم شربها حصل له خلل فى جوهر العقل ووجع فى الكبد والطحال وقلة شهوة الغذاء وضعف فى الباه وفساد فى الدماغ ويحدث النسيان والبخر فى الفم والرعشة والربع وضعف البصر والعصب والحميات والسكتة والصرع وموت الفجأة وشربها على الريق بعد التعب يحدث خفقانا فى القلب وقساوة والتهابا وأوجاعا. ومما يمنع السكر بزر الكرنب وبزر الحصرم وأكل الفالوذج وشم اللينوفر وأعظم ذمها كونها مفتاحا لكل شر وجالبة لكل سوء وضر ومميتة للقلب ومسخطة للرب ، نسأل الله تعالى أن يتوب علينا وعلى كل وأن يلهمنا رشدنا ويأخذ بنواصينا إلى الخير بمحمد وآله .

(الخل) المتخذ من الخمر بارد يابس يمنع انصباب المواد إلى داخل البدن ويلطف ويعين على الهضم وخصوصا مع وجود الشيب والتغرغر به يمنع سيلان الخلط إلى الحلق ويمنع نزف الدم وينفع من الجرب والقوابى وحرق النار ووضعه على الرأس يمنع الصداع الحار وهو صالح للمعدة الحارة ويفتق الشهوة ويبرد الرحم وينفع المنهوش وشربه مسخنا ينفع لمقاومة السموم والأدوية القتالة .

(التوت) وهو الفرصاد وهو أعز الأشجار لأن دود القز لا يأكل إلا منه ، قال المعتصم لعمال البلاد استكثروا من غرس التوت فان شمها

حطب وثمرها رطب وورقها ذهب ، وهو أنواع والأسود منه بارد يابس وإذا وضع الأسود منه على لسع العقرب سكنه فى الحال والأبيض منه حار رطب ردىء الغذاء مفسد للمعدة لكن يدر البول .

(الرمان) هى من الأشجار التى لا تقوى إلا بالبلاد الباردة المعتدلة . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ما ألقحت رمانة قط إلا بحبة من الجنة . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إذا أكلتم الرمان فكلوها ببعض شحمها فانه دباغ للمعدة وما من حبة منه تقيم فى جوف مؤمن إلا أنارت قلبه وأخرجت شيطان الوسوسة عنه أربعين يوما ، وأجوده الكبار الحلو والمليسى . وهو حار رطب يلين الصدر والحلق ويجلو المعدة وينفع من الخفقان ويزيد فى الباه وقشره تهرب منه الهوام .

(الأترج) هى شجرة حارة ولا تنبت إلا فى البلاد الحارة وتقيم نحو عشرين سنة ومتى مستها حائض أو أخذ من ورقها جنب فسدت شجرته . وقشر الأترج حار يابس ولحمه حار رطب وحماضه بارد يابس وحبه حار رطب وأجوده الكبار وهو يصلح لفساد الهواء والوباء ولحمه ردىء للمعدة ويشهى الطعام وينفع من الخفقان ويسهل الصفراء .

(النارنج) شجرة لا يسقط ورقها كالنخلة ، قال صاحب كتاب الفلاحة إذا زرعت النرجس تحت شجرة النارنج تبدلت حموضتها بالحلاوة ودواء مرض شجرة النارنج أن تسقى دم إنسان من فصد وغيره مخلوطا بالماء . خاصية ورقها إذا مضغ طيب النكهة ويذهب رائحة الثوم والبصل والخمر ورائحة زهرها تنفع الدماغ وتقوى القلب وتحلل مواد الرياح الباردة .

(الليمون) هو نبات هندى ولا يصح ويقوى إلا بالبلاد الحارة وورقه وقشره حار يابس وحماضه بارد يابس وماؤه كذلك ينفع من الصفراء ويسكن العطش ويقوى المعدة والشهوة ويضر بالصدر والعصب وهو مشاكل للأترج فى أفعاله وله خاصية عظيمة فى دفع السموم ونهش الحيات والأفاعى .

ومن عجيب أمره ما حكى عنه أبو جعفر بن عبد الله الصينى ، قال : كانت لى ضيعة على نهر الدير بالبصرة وكنت أقيم بها وبجوارى بستان ظهرت فيه حية أطول من عشرة أشبار فى عرض جراب ودوره وكثرت جناياتها وأذاها فطلبت حواء لصيدها أو يقتلها فجاء رجل فدللته نحو وكرها فبخر بدخنة كانت معه فلم يشعر إلا والحية قدخرجت إليه ، فلما رآها الرجل وهاله أمرها ولى فنهشته فمات فى الحال واشتهر أمرها وهابها الناس وامتنع الحواءون من الحضور إليها فجاء لى رجل بعد مدة ، وقال قد بلغنى أمر الحية وفسادها وتعاظم أذاها فدلنى عليها ، فقلت قد قتلت حواء ، فقال هو أخى وقد جئت لآخذ بثاره أو أموت كما مات فأرنيها ، فقلت له اعبر البستان و جلست فى طبقة تطل على البستان أنظر ما يكون منه فأخرج دهنا كان معه فادهن به وصلى ودعا ودخن كما دخن أخوه فخرجت إليه هائشة فما تزعزع عن مكانه ، فلما قربت منه هجم عليها وطلبها فهربت منه فتبعها وقبض عليها فالتفتت إليه ونهشته فمات من وقته فترك الناس الضيعة ورحلوا من أجلها وقالوا لا مقام لنا فى جيرة هذه السخطة فجاءنى بعد أيام رجل آخر فسألنى عنهما وعن الحية فأخبرته بما كان ، فقال والله هما أخواى وجئت لآخذ بثارهما أو أموت كما ماتا ولا بد لى منها فأريته البستان وجلست فى الطاقة لأنظر ماذا يصنع فأخرج دهنا وادهن به ودخن كأخويه فخرجت إليه فطلبها فوقفت له تحاربه ثم تمكن من قفاها وقبض عليها فالتفتت وعضت إبهامه فخزمها وجعلها فى سلة كبيرة أحضرها معه وبادر إلى إبهامه فقطعها وأشعل نارا وكواها فحملناه إلى الضيعة فرأى ليمونة بكف صبى فقال أعندكم من هذا شىء قلنا نعم ، قال ائتونى بما تقدرون عليه فأتيناه بكثير منه فجعل يقضم ويأكل ويدهن به موضع اللسعة وبات فأصبح سالما ، فقال ما خلصنى الله سبحانه إلا بهذا الليمون وقطع رأس الحية وذنبها ورمى بهما وغلى على بدنها وطبخه وأخذ دهنه ومضى .

(اللوز) أجوده الطرى الكثير الدهن وهو معتدل الحرارة والرطوبة يغذى غذاء حسنا ويسمن وينفع الصدر والسعال ونفث الدم ويلين البطن خصوصا إذا كان مع التين وينفع من عضة الكلب الكلب . والمر منه حار يابس وهو جيد للشرى مع الشراب ودهنه ينفع من وجع الأذن ويمنع صداع الرأس وأكله قبل السكر يمنع السكر وهو يقوى البصر ويفتح سدد الكبد والطحال والكلى .

(الجوز) ينبت بنفسه ولايصح إلافى البلاد الباردة وهوحار يابس بطىء الهضم إلا أنه ينصلح مع التين ودهنه ينفع من الحمرة وقشره يحبس نزف الدم ويضمد به لعضة الكلب الكلب وكثرة أكله تورث ثقلا فى اللسان .

(البندق.) حار مع يبوسة وإذا خط على العقرب حلقة بعود البندق لايقدر أن يخرج منها وهو يزيد فى الباه وشهوة الجماع مع السكر مدقوقا وينفع من نهش الهوام خصوصا مع التين أكلا وضمادا وإذا طلى مدقوقا على يافوخ الطفل الأزرق العينين ردهما سوداوين .

(الشاهبلوط) ينفع لادرار البول وينفع من السموم ونزف الدم .

(الفستق) حار يابس أشد حرارة من الجوز يفتح سدد الكبد ويقوى فم المعدة ويمنع من الغثيان ومن نهش الهوام والسعال البلغمى ولدغ العقارب ويزيد في الباه .

(الصنوبر) حار يابس يمنع الرطوبات من البدن ويزيد فى الباه مع عقيد العنب .

(الفلفل) حار يابس فيه جذب وتحليل وهو عدو البلغم اللزج ويلطف الأغذية ويشهى الطعام ويدر البول وينفع ظلمة البصر .

(القرنفل) حار يابس يطيب النكهة ويحد البصر وينفع من الغشاوة ويمنع القىء والغثيان ويقوى الكبد وقدر مايؤخذ منه نصف مثقال مع مثليه سكر نبات مسحوقين منخولين .

(الخولنجان) حار يابس يحلل الرياح وينفع من القولنج ووجع الكلى ويهيج الباه ويطيب النكهة ويهضم الطعام ويصلح المعدة ويطرد البلغم والرطوبة المتولدة فى المعدة وينفع من عرق النسا ولمن لا يضبط البول .

(الزنجبيل) هو كالفلفل فى منافعه .

(المصطكا) حار يابس ملين وهو يجبر العظام المكسورة ومضغه يجلب البلغم من الرأس وينقيه ويطيب النكهة وينفع من السعال البلغمى ومن أورام الكبد ونزف الدم وفساد الرحم تحملا .

(خيار الشنبر) معتدل فى الحرارة والبرودة عسله يسهل المرة المحترقة ويطفىء حدة الدم ويسكن وهجه ويذهب الورم العارض منه وينفع من الأورام الحارة فى الأحشاء خصوصا فى الحلق إذا تغرغر به ممرسا فى ماء عنب الثعلب وإذا سقى مع التربد أخرج رطوبات عجيبة وإذا سقي مع التمرهندى أخرج الأخلاط الصفراوية ونفع المحمومين وإذا سقى مع الهندبا نفع من القولنج ووجع المفاصل واليرقان وهو يسهل من غير أذى حتى الحوامل وهو يضر بالسفل وبدله نصف وزنه من ترنجبيل وثلاثة أمثاله من شحم الزبيب مع تربد

(السرو) شجرة حسنة الهيئة قويمة الساق يضرب بها المثل فى استقامة قدها ومشق قامتها وخضرة ورقها وهو أخضر صيفا وشتاء والتدخين بأغصانها فى البيت يطرد البق وطبيخه بالخل يسكن وجع الأسنان ويجعل من نشارته بنادق وتطرح فى الدقيق الدرمك يبقى زمانا طويلا لا يفسد وورقه مع الشراب ينفع من عسر البول وإذا دق ورقها رطبا وجعل على الجراحة ألحمها ورمادها ينفع من حرق النار وسائر القروح ذرورا وجوزها يطرد البق إذا دخن به .

(البطيخ) منه بستانى ومنه برى ، والبرى هو الحنظل ، والبستانى ثلاثة أصناف هندى وهو الأخضر وخراسانى وهو العبدلى وصينى وهو الأصفر

ثم الأصفر ثلاثة أصناف صيني وحلبي وسمرقندي ، وفلاحتها كلها واحدة والطعوم والأشكال مختلفة وإذا نقع بزر البطيخ فى العسل واللبن جاء فى غاية الحلاوة ، وإذا نقع فى ماء الورد شممت من بطيخه رائحة الورد ومتى دخلت المرأة الحائضة فى المقثأة فسدت وتغير طعمه وإذا أصاب بزر البطيخ أو القثاء رائحة الدهن جاء كله مراً ، وإذا وضع رأس حمار فى وسط المبطخة دفع عنها جميع الآفات وأسرع نباتها وحملها وإدراكها . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن البطيخ كان أحب الفاكهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تفكهوا بالبطيخ وعضوا منه فان ماءه رحمة وحلاوته من حلاوة الجنة » ومن أكل لقمة من البطيخ كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة لأنه خرج من الجنة .

وعن وهب بن منبه أنه وجد فى بعض الكتب أن البطيخ طعام وشراب وفاكهة وجلاء وأشنان وريحان وحلاوة ونقل ينقى المعدة ويشهى الطعام ويصفى اللون ويزيد فى ماء الصلب ويدر البول ويسهل الخام

(الصيني) وهو الأصفر وهو ثلاثة أصناف وأطيبه وأحلاه السمرقندي وأجوده العبدلي وهو بارد رطب يدر البول ويقلع الكلف والبهق الرقيق والوسخ وبزره أقوى جلاء من جرمه وقشره يلصق على الجبهة فيمنع النوازل من العين ولحمه ينفع من حصاة الكلى والمثانة وهو يستحيل إلى خلط ويرخى الجسد ويحدث هيضة وإذا فسد فى الجوف فهو كالسم .

(القرع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا طبختم فأكثروا القرع فانه يسكن قلب الحزين » . ومن خواصه أن الذباب لا يقع عليه . ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت خرج كالطفل حين يخرج من بطن أمه فأنبت الله سبحانه وتعالى عليه فى الحال شجرة من يقطين لئلا يقع عليه الذباب فيؤذيه فمكثت الشجرة حتى تصلبت بشرته وقويت أعضاؤه فأيبسها والقرع بارد رطب ويسمى الدباء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء وهو يخفى

غذاء يسيراً ، وينحدر سريعاً ، وهو جيد للصفراء وعصارته تسكن وجع الأذن مع دهن ورد ، وينفع من أورام الدماغ وسليقه ينفع من السعال ووجع الصدر من حرارة ويقطع العطش إلا أنه يفسد فى المعدة ويضر بأصحاب السوداء والبلغم ويضر بالأمعاء .

(القثاء والفقوس والعجور) فالقثاء بارد رطب يسكن الحرارة والصفراء ويدر البول ويسكن العطش ويوافق المثانة وشمه ينعش المغشى عليه وأكله ينفع من عضة الكلب الكلب وبزره يدر البول ويحسن اللون طلاء ويطفئ الحرارة لكنه ردئ الكيموس يهيج الحميات ويؤلم المعدة وكذلك الفقوس والعجور .

(الخيار) بارد رطب ينفع من الحميات المحترقة ويدر البول إلا أنه يحدث العطش وشمه ينفع المغشى عليه من حرارة ويحدث وجعا فى المعدة والخواصر .

(الباذنجان) حار يابس ينفع من نزف الدم ويورث أخلاطا رديئة وخيالات فاسدة ويولد السوداء والسدد ويسود البشرة ويفسد اللون ويصفره ويولد الكلف والصداع .

(الأرز) بارد يابس يحبس البطن حبسا ليس بالقوى وإن لم تغسل عنه الحمرة التي عليه وإلا عقل البطن وأنفع ما أكل باللبن الحليب وأكله يزيد فى النضارة بوجه الآكل ويخصب البدن ويرى أحلاما صالحة .

(السمسم) حار رطب معذ ملين محلل ينفع للسوداويين ولوجع الصدر والخشونة فى الحلق ويزيد فى المنى .

(الحمص) حار رطب ملين يدر البول ويهيجه وينفخ ويغذى أكثر من الباقلا ويجلو النمش ويحسن اللون أكلا وطلاء وينفع من الأورام الحارة الصلبة ومن وجع الظهر ويصفى اللون .

(الكمون) حار يابس يقتل الدود ويطرد الريح ويحلله ، وإذا غسل الوجه بمائه صفاه وكذلك أكله بقدر يسير ويدمل الجراحات ويقطع الرعاف مسحوقا مع خل وإذا مضغ وقطر ريقه فى العين نفع الطرفة والدم السائل من العين .

(الكمون الكرمانى) وهو الشونيز الأسود حار يابس يقطع البلغم جلاء ويحلل الرياح والنفخ ويقطع الثآليل وينفع الزكام البارد ويجعل مدقوقا فى خرقة كتان ويطلى به جبهة من به صداع بارد .

(كراويا) حار يابس يطرد الريح ويخففه وينفع الخفقان ويقتل الديدان ويدر البول وقدر ما يؤخذ منه درهم .

فصل فى البقول الكبار

(القلقاس) حار يابس رطب يزيد فى الباه ويولد الرياح .

(القنبيط) حار يابس يفتح السدد ويشفى من الخمار وينفع من ضربة السكر ويولد رياحا .

(اللفت) حار رطب يغذى غذاء كثيراً ، ويولد المنى ، ويدر البول ويشهى الطعام إذا طبخ مرتين وطيب بالخل والخردل وماؤه ينفع البصر وهو يحرك شهوة الجماع .

(الفجل) حار رطب يقطع رائحة الثوم ويقوى الباه وينقى المعدة وماؤه إذا قطر فى العين جلاها ، وبالشرب ينفع من نهش الأفاعى وإذا طرح ماؤه على العقرب ماتت لساعتها ومن أكل فجلا ولسعته عقرب فلا يضره .

(الجزر) حار رطب ينفع من ذات الجنب والسعال المزمن ويهيج الباه

(البصل) حار يابس ملطف محمر للبشرة يجذب الدم إلى خارج الجسد

كالخردل ويزيد فى الباه وينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويلين الضبع ويحسن اللون ويحد البصر .

(الثوم) حار يابس يسخن المعدة إسخانا ظاهراً . ويضر بالمحرورين وينفع أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة ، وينفع الأبدان المشرفة على الوقوع في الفالج ويخفف المني ويفتح السدد ويحلل الرياح ويطلق البطن ويقوم فى جميع الأوجاع الباردة مقام الترياق الأكبر وله منافع كثيرة .

(الهليون) حار رطب يفتح السدد وينفع القولنج البلغمى والريحى وينفع عسر البول .

فصل فى البقول الصغار

(الهندبا) قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : فى كل ورقة من الهندبا وزن حبة من ماء الجنة وهو بارد رطب ، وهو يفتح السدد ويروق الدم وينفع الكبد والعروق .

(النعنع) حار يابس وفيه قوة مسخنة وهو ألطف البقول المأكولة جوهرا وعصارته تنفع من سيلان الدم من الباطن ويقوى المعدة ويسخنها ويسكن الفواق الكائن عن امتلاء ويهضم إذا أخذ منه اليسير .

(الزعتر البرى) سريع النبات بعيد من الآفات ، وهو حار يابس محلل ملطف يسكن وجع الضرس مضغا ، وينفع من أوجاع الوركين والكبد والمعدة ويخرج الدود وحب القرع وينفع المغص وعضة الكلب الكلب

(الكرفس) حار يابس يحلل النفخ ويفتح السدد ، ويسكن الأوجاع ويطيب النكهة وينفع من ضيق النفس ويدر البول ويهيج شهوة الجماع من الرجال والنساء وطبيخه مع العدس يتقيأ به من سقى السم ينفعه .

(اسفاناخ) بارد رطب ملين ينفع السعال والصدر والصفراء وينفع أوجاع الظهر الدموية وهو سريع الانحدار مضر بأصحاب الأمزجة الباردة

(الشومر) وهو الرازيانج حار يابس يسخن إسخانا قويا ويحلل الرياح ويفتح السدد ويحد البصر ويفتت الحصى من المثانة .

(الشبث) حار رطب مسخن مجفف منضج للأخلاط الباردة ويسكن الأوجاع ويفش الأورام وينفع الفواق .

فصل فى حشائش مختلفة

(حب الرشاد) حار يابس وأكله يزيد فى الذهن والذكاء ويهيج الباه وعصارته تنفع من نهش الهوام شربا ومع العسل ضمادا ودخانه يطرد الهوام

(حرمل) صالح لأوجاع المفاصل وفيه قوة مسكرة كاسكار الخمر وينفع من القولنج شربا وطلاء وبزره ينقع فى الخل ويرش فى البيت فيطرد الذباب .

(سنا) أجوده الحجازى وهو حار يابس يسهل الصفراء والسوداء وينقى الفضول وقدر مايؤخذ منه خمسة دراهم .

(بسفايج) أجوده الغليظ الأخضر الأملس وهو حار يابس محلل للنفخ والريح والرطوبة ويسهل بلا مغص ولا كرب وينفع من نزف الدم

(شيرخشك) هو حار باعتدال وهو أقوى فعلا من الزنجبيل

(مر بطارخ) حار يابس مفتح للسدد محلل للرياح وينفع مع الشراب شربا للسع العقارب وللمعدة المسترخية .

(أشنان) هو حار يابس مفتح محلل ووزن نصف درهم منه يحل عسر البول ، ودرهم يدر الحيض ، وثلاثة دراهم تسهل مائية الاستسقاء وهو يجلو الأسنان ودخان الأخضر يهرب منه الهوام .

فصل فى البزور

(بزر قطونا) بارد رطب يصفى الحرارة والعطش ويسكن الصفراء

(بزر مرو) حار رطب يسهل البلغم وقدر مايؤخذ منه زنة درهمين .

(بزر البصل) حار يابس يحرك الباه من الأمزجة الباردة .

(بزر اللفت) حار رطب يزيد فى قوة الجماع وقدر مايؤخذ منه وزن درهمين .

(بزر الجزر) حار يابس يهيج الباه ويدر البول والحيض وينفع من لسع الهوام شربا وضمادا

(بزر السذاب) حار يابس يقاوم السموم إذا استعمل مع التين والجوز

(بزر الرازيانج) حار يابس قابض مفتح مسكن للأوجاع محلل للرياح يدر البول والحيض .

(بزر الفجل) حار يابس ينفع من نهش ذوات السموم وينفع من وجع المفاصل ويحلل ورم الطحال ويسهل خروج الطعام .

(بزر الهندبا) معتدل بين الحر والبرد ينفع من الحميات الصفراوية ومن سدد الكبد واليرقان وقدر مايؤخذ منه نحو مثقال .

(بزرقناه) بارد رطب يجلو ويدر البول وقدر مايؤخذ منه عشرة دراهم وإذا دق ودهن به البدن حسنه .

(حب الرمان الحامض) بارد يابس يمنع القيء والغثيان وينفع من المواد الصفراوية .

(بزر هليون) حار رطب يدر المنى ويحرك شهوة الجماع وقدر مايؤخذ منه درهمان .

فصل فى خواص الحيوانات

خواص البغل وأعضاؤه وأجزاؤه : (شحم أذنه) إذا سقيت منه المرأة لا تحبل أبداً (مخه) إذا طعم منه الانسان تناقص عقله وفهمه وحصل له التوهم والنسيان والسهو (قلبه) تأكله المرأة فلا تحبل (حافره) إذا أحرق أوذيب بدهن الآس وطلى به رأس الأقرع أنبت الشعر (خصيته) تجفف

بملح وتوضع فى جلد أو حرير وتعلق فى رقبة فرس أو جمل فانه لايصيبه سوء مادامت معلقة عليه (بوله) إذا شربته المرأة طرحت جنينها الميت وإن شمه المزكوم وبصق عليه وكبه فى طريق فمن داس عليه انتقل الزكام إليه ويبرأ المزكوم الذى كبه (الزنبور) الذى يوجد فى دبر البغل يجفف ويبخر به صاحب البواسير يبرأ (جلد جبهته) إذا أحرق فى مكان لايحصل فيه اتفاق ولا صلح ولا يتم فيه شيء من الأمور

خواص الحمار وأجزاؤه : (مخه) يسقى لمن غلب عليه النسيان (سنه) إذا وضع تحت رأس من قل نومه نام (كبده) يجفف ويعلق على من به حمى الربع تزول عنه (طحاله) يجفف ويدخر فان قل لبن ثدى المرأة سحق بماء وطلى به الثدى يكثر اللبن فيه (حافره) يسحق بعد حرقه ويطلى به جبهة من به صرع أياما يزول عنه ويخلط بالزيت ويطلى به الخنازير يجففها .

قال بلنياس يشق حافر الحمار ويحشى قطرانا وكلسا ويحرق بشيرج زنخ ويطلى به البرص يقلعه ولو كان عتيقا فاذا تدخنت المرأة المطلقة بحافر الحمار أسرع خروج ولدها حياً سالماً بسهولة وكذلك إذا كان الجنين ميتا أخرجه ، ويؤخذ من ذنبه ثلاث طاقات شعر حين ينزو على الأتان ويشد على ساق الرجل ينتشر ذكره ويستوى على سوقه وينعظ فى الحال

لحمه من أكل منه أمن من آفات السموم فلا يؤثر فيه سم أبداً وينفع صاحب الجذام نفعا جيداً (دمه) يطلى به البواسير مراراً تسقط (لبن الحمارة) يسقى للصبي الذى يكثر بكاؤه يزول عنه ذلك ومن ضرب بالسياط ضرب الموت يسلخ له جلد حمار فى الحال ويلبس به جسمه وينام فيه ليلة فانه يزول عنه ألم الضرب ويأمن عاقبته (جلد جبهته) يعلق على المصروع يزول عنه ويلقى شيء من شعر ذنبه فى نبيذ قوم يسكرون فيقع بينهم الشر والخصومة والعربدة (عصارة روثه) تسقى لمن فى مثانته حصاة تفتتها .

خواص أجزاء حمار الوحش : (مخه) يسحق بدهن الزنبق ويطلى به البهق يزول (مرارته) قال ابن سينا إنها تقلع القوباء من الجسم (لحمه) مدقوقا ينفع النقرس طلاء مع دهن الورد (شحمه) جيد للكلف طلاء (حافره) يتخذ خاتما ويعلق على أصحاب الجنون والصرع فى رأس الشهر يزول عنهم ذلك ويكتحل به محرقا ينفع من ظلمة العين والغشاوة (روثه) يرمى فى تنور الخباز يسقط جميع أقراصه وإذا سحق وخلط ببياض البيض واتنشقه المرعوف انقطع عنه الرعاف والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل فى حيوانات النعم

(خواص أجزاء الابل) ليس للبعير مرارة وإنما على كبده شيء يشبهها وهى جلدة فيها لعاب يكتحل به فينفع من الغشاء العتيق ويطلى به الرقبة فينفع الخوانيق (كبده) إذا داوم أكله نفع من نزول الماء فى العين (شحمه) متى وضع فى موضع هربت منه الحيات (سنامه) يذاب ويطلى به البواسير يسكن وجعه (كرشه) فيه غدة إذا أخرجت منه استحجرت وإذا سحقت بالخل ابيضت وهى من أنفع الأشياء للسموم القاتلة (عظمه) يسحق ويذاب بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه (شعره) يشد على الفخذ الأيسر يمنع سلس البول ويشد على فخذ الصبي الذى يبول فى الفراش يزول عنه (وبره) يذر على الأنف محرقا يحبس الرعاف والدم السائل من الجراحات كذلك إذا ذر عليها (لبنها) نافع من السموم كلها والمضمضة به تنفع الأسنان المتأكلة ويزيل صفرة الوجه أكلا وطلاء (بعره) قال ابن سينا يقطع الرعاف ويزيل أثر الجدرى ويقطع الثآليل .

(خواص البقر) قرنه يحرق ويجعل فى طعام صاحب حمى الربع تزول عنه ويشرب فى شيء من الأشربة يزيد فى الباه ويقوى القضيب ويشده ويورث الانعاظ وينفخ به فى منخر الراعف ينقطع دمه (قرناه) يحرقان

حتى يصيرا رماداً ويذاب بالخل ويطلى به موضع البرص مستقبلا به الشمس فانه يزول (مخه) طريا يذاب بدهن ويقطر فى الأذن الوجعة يسكن وجعها (لسان الثور الأسود) يجفف ويسحق ويمزج به حماض الأترج ويستف منه مقدار مثقال فلا يخاصم أحداً إلا غلبه وألزمه (مرارته) ببزر الجرجير وبزر الفجل ومائه يعرض للنار ليقوى ويشتد ويطلى به الكلف فانه يزول إذا لزم ذلك ويخلط بمرارته ورق الغبيراء مدقوقا وتتحمل منه المرأة فانها تحمل وفى مرارته حجر قدر عدسة تجعل فى ماء الشهدانج وماء الفرفخ ويستعط به صاحب الصرع يزول صرعه وتطلى الشجرة بمرارة البقر لايتولد فيها الدود وتخلط مرارة البقر ببعر الفأر ويتحمل بها صاحب القولنج يزول فى الحال (مرارة البقرة السوداء) يكتحل بها من به ظلمة العين يحتد بصره وإذا أردت أن ترى عجبا فخذ جرة من فخار وادفنها فى الأرض إلى عنقها واطل باطنها بشحم البقر فانه لايبقى فى ذلك الموضع شىء من البراغيث حتى يدخل فيها (خصية العجل) تجفف وتشرب مسحوقة بشراب تهيج الباه وتعين على الجماع إعانة عظيمة (قضيبه) يجفف ويسحق ويرمى على البيض النيمبرشت ويحشى فانه يزيد فى الباه (كعبه) يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها (لبنه) يزيل صفرة الوجه وإذا شرب منه مخيضا نفع البواسير (سمنه) يطلى به لسع العقرب يبرأ لوقته والعتيق منه نافع للجراحات (دمه) يطلى به الورم يسكن وجعه قال بلنياس بول الثور يخلط مع بول الانسان ويوضع على أصابع اليدين والرجلين يذهب بحمى الربع وقلما يحتاج إلى ثلاث مرات وهذا من العجائب (أخثاء البقر) يضمد بها لسعة الزنبور تسكنها .

(خواص أجزاء بقر الوحش) : (مخه) يطعم منه صاحب الفالج ينفعه نفعا بينا (قرنه) من استصحبه معه نفرت عنه السباع ويدخن به فى البيت فتهرب من ريحه الحيات (رماده) يذر منه على السن المتأكلة يسكن الوجع (دمه) ترياق للسموم كلها (شعره) يبخر به البيت يهرب منه الفأر .

خواص أجزاء الجاموس : (الدودة) التى فى دماغه إذا علقت على أحد لاينام مادامت معه (لحمه) يولد القمل (شحمه) يذاب بالملح الاندرانى ويطلى به على الكلف والنمش والجرب والبرص يزيله .

خواص أجزاء الضأن (قرن الكبش) اذا دفن تحت شجرة باكرت بثمرتها قبل كل الأشجار وكثر حملها (مرارة الضأن) يكتحل بها مع العسل ينفع من نزول الماء فى العين ومن إزالة البياض ينفع نفعا عجيبا (مخه) يورث البله وأصحاب الصرع إذا أكلوا منه يشتد صرعهم (عظمه) يحرق بنار حطب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطلى به موضع الشج والهشم يصلحه وقال بلنياس : إذا تحملت المرأة بصوف النعجة قطع الحمل .

خواص أجزاء المعز ، قال بلنياس : قرن ماعز أبيض يسحق ويشد فى خرقة ويجعل تحت رأس النائم فانه لا ينتبه مادام تحت رأسه (مرارة التيس) بعد نتف الشعر من الجفن كلا تمنعه من النبات ومرارة تيس مع مرارة بقرة مخلوطان يلطخ بهما فتيلة من قطن عتيق وتجعل فى الأذن يزيل الطرش الحادث (طحاله) يقطعه صاحب الطحال بيده ويعلقه فى بيت هو فيه فاذا جف الطحال زال ألم المطحول (لحمه) يورث النسيان ويحرك السوداء . قال بلنياس دم التيس يفتت حجر المغناطيس وتسقى إبرة بدم تيس ويثقب بها الأذن فلا تلتئم أبداً (جلده) إذا سلخ وهو حار ووضع على جلد الملسوع أو المنهوش من الحيات والأفاعى أو المضروب بالسياط دفع عنهم الآفة والألم (لبن الماعز) ينفع من النوازل ويحسن اللون شربا سيما مع السكر ويطلى ببعره الجرب مع السكر فى الحمام ثلاث مرات فانه يذهب به (لبنه) علاج للنسيان مع السكر ودواء للبلغم والوسواس والخيالات الفاسدة والأحلام الرديئة ويهيج الباه (أنفحة الجدى والخرفان) تجلب الفضول من أعماق البدن (بول الجدى) يغلى حتى يثخن ويخلط بمثله من

سكر ويطلى به الجرب فى الحمام ثلاث مرات يزول قال ابن سينا : بعر الماعز يحلل الخنازير بقوة وإذا حملته المرأة بصوفة منع سيلان الدم من الرحم وبعر المعز والضأن مع الخل يوضع على حرق النار بدهن ورد وشمع ينفعه

خواص أجزاء الغزال : (قرنه) ينحت ويدخن به لطرد الهوام (لسانه) يجفف فى الظل ، يطعم للمرأة السلطة الملسنة على زوجها تزول سلاطتها (مرارته) تقطر فى الأذن الوجعة يزول وجعها (بعر الظبى وجلده) يحرقان ويجعلان فى طعام الصبى ينشأ ذكيا فهما حافظا فصيحا .

خواص أجزاء سباع الوحوش

(الأسد) خواص أجزائه : (سنه) من استصحبه يأمن وجع السن وألمه ويعلق على الصبي تنبت أسنانه بسهولة (مرارته) تسقى للانسان يصير جريئا جسورا مقداما فى الأمور وهى تزيل الصرع حملا وتنفع داء الثعلب والاكتحال بها يمنع سيلان الدم من العين (شحمه) يطلى به البواسير والأورام الحارة ينفعها ويطلى به الوجه والبدن فلا يقربه شىء من السباع وتهابه وإن جعل فى بيت هرب منه العقارب والفأر وإن ألقى فى ماء لا يشربه شىء من الدواب (شحمه الذى بين عينيه) يذاب ويمسح به الرجل وجهه يهابه كل من يراه وينقاد إليه (لحمه) ينفع من الفالج والاسترخاء (دمه) إذا طلى به السرطان أزاله وكذلك جميع السلع والأورام التى تحدث في الانسان وإذا مزج به الحليب وطلى به البرص أزاله (خصيته) تولد العقر فى الرجال فمن أكل منها لا تحبل منه امرأة أصلا (برثنه) يحمله الانسان معه فلا يقربه شىء من السباع ويهابه كل من رآه وإذا طرح فى الماء وشربت منه الغنم أصابها هزال ولم تسمن بعدها أبدا (جلده) ينام عليه صاحب حمى الربع يوم نوبته ويغطى بالثياب حتى يعرق تزول عنه ودوام الجلوس عليه يذهب البواسير ويذهب أيضا الخوف من قلب الخائف ولو اتخذ من جلده

طبل دهل لا يقف لسماعه فرس أبدا وإذا حمل جلد جبهته إنسان تحت عمامته كان مهابا موقرا معظما عند الملوك والسلاطين معاملا بالاكرام والتبجيل .

(النمر) فمن خواص أجزائه إذا دفن رأسه فى مكان اجتمع فيه كل فأر فى تلك الأرض (مرارته) من اكتحل بها نور بصره ومنع نزول الماء فى العين (شحمه) يذاب ويجعل على الجراحات العتيقة ينظفها ويبرئها (لحمه) من أكله ولو خمسة دراهم منه لا تضره السمومات الحيوانية والنباتية (قضيبه) يطبخ ويشرب من مرقه ينفع الحصى فى المثانة ومن تقطير البول (جلده) يتخذ منه مقعد يجلس عليه صاحب البواسير والشقاق تزول عنهما ومن حمل شيئا من جلده هابه كل من رآه .

(الفهد) من خواص أجزائه : (لحمه) يورث حدة فى الذهن وذكاء وفهما وقوة فى البدن والأعضاء (دمه) من شرب منه غلبت عليه الفصاحة والبلاغة (برثنه) إذا وضع فى مكان لم يبق فيه فأر أصلا .

(الكلب) من خواص أجزائه : (عينا الكلب الأسود الميت) متى دفنتا تحت جدار انهدم سريعا وإن حملهما إنسان معه لا ينبح عليه كلب أصلا (نابه) يشد على الكلب العقور لا يعود يعقر أحدا ما دام عليه ويشد على الصبي ينبت سنه بلا وجع ولا ألم ومن كان كثير الهترة والهذيان والكلام فى نومه وحمله لا يعود لما ذكر (وناب) الكلب الكلب الذى قد عض إنسانا يشد فى قطعة جلد ويربط فى عضد الانسان يأمن من عضة الكلب الكلب ما دام حاملا لذلك (لسان الكلب الأسود) يملح ويخرز ويحمل فلا تنبح على حامله الكلاب وهذه الخاصية تعملها اللصوص (مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالا (كبده) يطعم مشويا لمن عضه الكلب الكلب (شحم الكلب) يطلى به الخنازير يحللها سيما ما كانت فى الحلق (مخه) أيضا يفعل ذلك (قضيبه) يجفف ويستصحبه الانسان يبتلى بانتصاب الذكر ما دام

حامله (شعره) يشد على المصروع يخف صرعه وشعر الأسود البهيم من الكلاب أشد نفعا للمصروع (بوله) يقلع الثآليل إذا طلي به ، قال ابن سينا قراد الكلب ينقع فى النبيذ ويسقى صاحب القولنج يزيله فى الحال إذا كان القراد أبيض اللون (زبل) الكلب الأسود تحمله المرأة تأمن من إسقاط الجنين .

(الذئب) من خواص أجزائه : (رأسه) يعلق فى برج الحمام لايقربه سنور ولا حية ويدفن رأس الذئب فى زريبة الغنم يمرض كل غنم فى الزريبة ويموت غالبها (نابه) من استصحبه لايسكر أبدا ولو شرب دنا من الخمر وإذا علق نابه على الفرس سبق الخيل (عينه اليمنى) من حملها لايفزع بالليل (عينه اليسرى) من حملها لا يغلبه النوم (مرارته) يطلى بها بين الحاجبين يبقى مكرما بين الخلق وتشد على الفخذ الأيمن فى أول الشهر تزيل الصرع عن المصروعين وإذا تحملت منها المرأة التى لاتحمل حملت والاكتحال بها ينفع من نزول الماء فى العين ومن الغشاوة (دمه) يخلط بدهن الجوز ويقطر فى الأذن يزيل الطرش وإذا سقيت منه المرأة لا تحبل أبدا (خاصيته) تؤكل مشوية لتقوية الباه وتهييج الجماع (عظمه) يحرق ويدق وينثر حول الزريبة لايقرب غنمها ذئب أصلا .

(الضبع) وخواص أجزائه : (رأسه) يجعل فى برج يكثر فيه الحمام جدا (لسانه) من حمله معه لاينبح عليه كلب ولم يغلب عند المخاصمة والمحاجة وإذا علق على باب دار فيها عرس أو دعوة لا يقع فيها شر ولا مكروه ولا خلف ويزداد فرحهم واتفاقهم (نابه) من استصحبه لم ينس شيئا أبدا مرارة الضبعة العرجاء تمنع من نزول الماء فى العين اكتحالا وتجلو البصر من الظلمة ، قال بلنياس تخلط مرارة الضبع بدم العصافير ويطلى به الانسان عينه يأمن من نزول الماء فيها مدة حياته (قلبه) يعلق على صبي يبقى نبيهاذكيا (شحمه) تطلى به الحواجب يكون فاعله محبوبا

عند الناس (يده اليمنى) من استصحبها قضيت حوائجه عند الملوك وتشد على عضد المرأة وساقها يسهل عليها الولادة (برثنه) يعلق على شجرة لا يقربها أذى (قضيبه) يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين يهيج به شهوة الجماع بحيث لا يمل ولا يفتر ولو أتى عشرين امرأة . وإن سقيت المرأة الفاجرة من ذلك تابت وتركت الفجور . قال بلنياس فرجها وجلدة سرتها إن شدا على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبته وإن شد على امرأة فلا ينظرها أحد إلا أحبها وإن شد فرجها على المحموم زالت عنه الحمى (جلده) يتخذ منه غربالا يغربل به القمح ثم يزرعه يأمن الفساد والجراد ، قال ابن سينا من عضه الكلب الكلب فاذا فزع من الماء يسقى فى إداوة من جلد ضبع وقيل إذا أخذت شيئا من جلد ضبع وشددت فيه شيئا من ورق الشيح وربطته فى خرقة وعلقته على الانسان فان النساء تتبعه ويرى من ذلك أمرا عجيبا (الشعر الذى حول فقحته) ينتف ويحرق ويسحق بزيت ويدهن به صاحب الأبنة يزول مرضه .

(الدب) فمن خواص أجزائه : (نابه) يلقى فى ابن المرضعة ويسقى للصبي تنبت أسنانه بسهولة من غير ألم (عيناه) تعلقان على صاحب حمى الربع فى خرقة حرير أو كتان تزول عنه (مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالا (شحمه) يزيل البرص طلاء (دمه) يخلط بدهن البيض ويطلى به الموضع الذى ليس به شعر ينبته .

(خواص الثعلب) رأسه إذا وضع فى برج حمام هربت كلها (نابه) يشد على الصغير الذى به ريح الصبيان يذهب فزع النوم وتحسن أخلاقه ويعلق على من يشكو ألما بأسنانه يزول عنه (مرارته) تنفخ فى أنف المصروع فلا يصرع فى ذلك الشهر والاكتحال بها يمنع نزول الماء فى العين (لحمه) ينفع اللقوة والفالج والجذام إذا داوم عليه (شحمه) يذاب ويطلى به النقرس ينفع فى الحال ويزول وجعه .

فصل فى خواص أجزاء سباع الطيور

(العقاب) مرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالا ويطلى بها ثدى المرأة إذا انعقد اللبن فيه يسكن ألم ذلك ويكثر لبنها (دمه) يجفف ويخلط بالاهليلج الأصفر مسحوقا ويكتحل به فانه ينفع من جرب العين ولو طلى به من خارج نفعه أيضا (مخه) يذاب بالزيت ويطلى به رجل المنقرس يزول ألمه وكذلك وجع المفاصل .

(الباز) مرارته من اكتحل بها يأمن من نزول الماء فى العين . وقال ابن سينا مرائر الجوارح كلها تنفع من ظلمة البصر اكتحالا (غظمه) يدق بعد الحرق ويذر على الموضع المحروق من البدن ينفعه .

(خواص أجزاء النسر) مرارته تقطر فى الأذن تذهب بالطرش الحادث والعتيق والاكتحال بها يجلو البصر (لحمه) يطبخ ويخلط بالورس والملح والكمون والعسل ويسقى للسع الهوام المسمومة (شحمه) يذاب ويقطر فى الأذن مرارا يذهب بالطرش (الشوحة) وهى الحدأة مرارتها إذا جففت وسحقت وذرت فى سلال الحيات ماتت الحيات وتنفع من النهوش واللدوغ طلاء .

(خواص أجزاء الحبارى) (داخل قانصتها) تجفف وتسحق مع الملح الأندرانى والخبز المحرق أجزاء سواء ويكتحل به فانه يزيل البياض الذى فى العين اكتحالا . وقال ابن سينا بيض الحبارى نافع للقوابى وحرق النار .

(خواص أجزاء الطاووس) مخه مع السذاب والعسل ينفع من القولنج وأوجاع المعدة (مرارته) يسقى منها وزن دانق للمبطون (دمه) من سقى منه اعتراه جنون (لحمه) يزيد فى الباه وينفع من وجع الركبتين (شحمه) يطلى به العضو المبرود يصلحه (عظمه) من صحبه يأمن من عين السوء (مخلبه) يشد على المطلقة تضع فى الحال يشد على فخذها وكذلك إذا بخر به

تحت ذيلها وضعت سريعا .

(خواص أجزاء الدجاج) تطبخ الدجاجة البيضاء بعشر بصلات وكف سمسم مقشر حتى تتهرى ويؤكل لحمها ويشرب مرقها فانه يزيد فى الباه زيادة لا ينكرها أحد ويقوى الشهوة ويلذذ الجماع للرجل والمرأة ومداومة أكل الدجاج تولد البواسير والنقرس (شحمه) يطلى به الكلف الأحمر فى الوجه ينفعه ويزيله وينفع من الشقاق العارض فى القدم من البرد (مرارتها) تمنع من نزول الماء فى العين اكتحالا (قانصتها) قال بلنياس تشوى وتطعم لمن يبول فى الفراش يذهب عنه ذلك (بيضها) ينقع فى الخل ثلاثة أيام ثم يترك فى الشمس ليجف ويطلى به للبهق يذهب به (والبيض النيمبرشت) ينفع فى تكثير مادة المنى وإسخانه وزيادة الشهوة عجيبا (دهن البيض) يطلى به النقرس يسكن وجعه وألمه (ذرقها) ينفع القولنج إذا شرب بخل أو نبيذ وينفع صاحب الحصاة ، قال بلنياس ذرق الدجاجة يلصق على باب قوم يقع بينهم شر وخصومة .

(خواص أجزاء الكركى) (ذرقه) يسحق بالماء وتبل به فتيلة وتجعل فى الأنف ينفع كل قرحة فى الخيشوم (عينه) تسحق ويكتحل بها الانسان فلا ينام (مرارته) تنفع من نزول الماء فى العين اكتحالا (لحمه وشحمه) يطبخان ويقطر مرقهما فى الأذن يزيل الطرش (مخه) يذاب بخل العنصل ويسقى لوجع الطحال فى الحمام ينفعه (قانصته) تجفف وتسحق ويسقى منها زنة درهمين لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمص ينفعه .

(خواص أجزاء الهدهد) تنزعته تعلق على من به وجع الرأس يزول قال بلنياس : من أخذ عينه وجففها وجعلها فى دهن ودهن به وجهه فلا يراه أحد إلا أحبه حبا ما عليه مزيد وتجعل عينه تحت رأس إنسان فلا ينام ويغلب عليه السهر ما دامت تحت رأسه وإذا شددتها على أحد تذكر جميع ما كان نسيه وتعلق على صاحب الجذام تنفعه نفعا بينا (لسانه) يحمله الانسان

معه لايظفر به عدو مادام معه ، وإذا علقت عينه مع لسانه على إنسان يدفع عنه غلبة السهو والنسيان ويزيد فى فهمه وذكائه وحذقه (قلبه) إذا علق على إنسان زاد فى قوة الباه وشهوة الجماع وإذا شوى ودق مع السكر وجعل فوق رغيف وأكله شخصان انعقد بينهما محبة لاانصرام لها بحيث لايصبر أحدهما عن الآخر لحظة واحدة (مرارته) يسعط بها صاحب اللقوة ثلاثة أيام فى مكان مظلم ينفعه نفعا مسرعا (جناحه الأيمن) يجعل تحت رأس النائم يثقل فى نومه ولو دخن بجناح هدهد فى برج حمام هربت منه الحمام ومن وضع على أذنه ريشة من الهدهد وخاصم أو حاكم كان هو الغالب فى خصومته وحكومته (لحمه) يقدد فى الظل ويسحق ويخلط فى الدقيق ويتخذ منه خبيص ويطعمه لمن أراد فانه يحبه محبة عظيمة (عظمه) يدخن به فى البيت تموت من دخانه الهوام الأرضية والنمل والعقرب وأشباهها (أظفاره) تحرق وتدق وتسقى للمرأة التى لاتحمل فانها تحمل إذا باشرها الرجل عقيب الشرب .

(خواص أجزاء العقعق) دماغه يخلط بالغالية ويسعط به صاحب اللقوة والفالج يذهب مابه (دمه) يجفف ويخلط بماء الورد ويسقى للصبى الذى لايتكلم ينطلق لسانه بالكلام (دمه) طريا يطلى به الموضع الذى فيه نصل أو شوكة يخرجها بسهولة (مخه) يطعم للصبى بالسكر يبقى فصيحا ذكيا فيهما حافظا (ريشه) يحرق ويدق ويذر فى عش النمل لايبقى فى الموضع شىء منه (مخ بيضها) يكتحل به بعد الحمام مرتين أو ثلاثة فانه يزيل بياض العين بالكلية .

(خواص أجزاء الخفاش) وهو المسمى بطوير الليل (رأسه) يترك فى برج الحمام يألف الحمام ذلك البرج وينمو فيه وإذا ترك تحت رأس إنسان فانه لاينام (دماغه) قال ابن سينا يكتحل به يزيل الماء من العين (قلبه) يعلق على من هاجت به شهوة الجماع يسكنها (دمه) يزيل الغشاء من العين اكتحالا ويطلى به الابط والعانة بعد النتف فانه لاينبت بعد ذلك بهما شعر

(ذرقه) يزيل الظفر من العين وكذلك البياض اكتحالا ويلقى فى عش النمل فيهرب منه ويطلى به العضو الذى ينبت عليه الشعر وهو لا يختار نباته بالزرنيخ والنورة مرارا فانه لاينبت على ذلك شعر وتعمى منابت الشعر .

(خواص أجزاء البوم) : (مرارته) يكتحل بها تنفع من ظلمة العين اكتحالا وزعموا أن إحدى عينيه تنوم والأخرى تمنع النوم عن حاملها والطريق إلى معرفة حاليهما أنك ترميهما فى إناء فيه ماء فالغائصة فى الماء هى المنومة والطافية هى المسهرة وتخلط عيناه بالمسك وتحمل فمن شم رائحة ذلك المسك أحب الحامل محبة أكيدة وهيجت بالشم روحانية المحبة (قلبه) يطعم لصاحب الفالج مشويا ينفعه (مرارته) تخلط برماد من خشب بلوط وتطعم لمن فى مثانته حصى تفتته وتخلط برماد خشب الطرفاء ويأكله من يبول فى الفراش يزول عنه (كبده) سم قاتل (لحمه) يورث الغثيان والقىء (عظمه) يبخر به بين ندمان الخمر يقع بينهم خصومات وفرقة وتشتيت فى الحال

(خواص أجزاء الخطاف) ريش رأسه يجعل تحت رأس إنسان فانه لاينام (قلبه) يجفف ويسحق ويسقى للانسان فانه يعين على الجماع بما لا يمكن وصفه ، وهذا آخر الكلام فى الخواص .

فصل فى خصائص البلدان

لم تذكر فى ترجمة العنوان لأبى منصور الثعالبي رحمة الله عليه (فمنها الشام) جعلها الله دار الاسلام على التأييد والدوام . ومن خصائصها أنها كانت مواطن الأنبياء عليهم السلام ومعدن الزهاد وعش العباد . ومن خصائصها التفاح الذى يضرب به المثل فى الحسن والطيب والرائحة . ومنها الزجاج الذى يشبه به كل شىء رقيق فيقال على ألسنة الأنام أرق من زجاج الشام . ومن خصائصها غوطة دمشق ، وأطيب نزه الدنيا أربع : غوطة دمشق ونهر الابلة وشعب بوان وصغد سمرقند .

(مصر) خلد الله ملك سلطانها . ومن خصائصها كثرة الذهب والدنانير وكان يقال فى المثل السائر ماممناه : من دخل مصر ولم يستغن فلا أغناه الله . ومنها الكتان الذى يبلغ قيمة الحمل منه مائة ألف دينار ويقال له دق مصر وهو من الكتان المحض لا غير ومثل هذا لا يوجد فى الدنيا وحمير مصر موصوفة بحسن المنظر وكرم المخبر حتى لايخرج من بلد أمثالها ولا أفهم منها ومن خصائصها الهرمان ووصفهما يعجز عنه اللسان . ومنها ثعابين لا تكون إلا بمصر وهى عجيبة الشان فى إهلاك بنى آدم والحيوان وليس لها عدو إلا النمس وهى إحدى العجائب لأنها دويبة متحركة إذ رأت الثعبان دنت منه من غير خوف ولاجزع فينطوى الثعبان عليها ويريد أن يأكلها فيزفر النمس زفرة ويقد الثعبان قطعتين أو قطعا ولولا النمس لأكلت الثعابين سكان مصر والنمس بمصر أنفع لأهلها من القنافذ لأهل سجستان : ومن خصائصها النيل والمقياس : حكى أنه ليس فى الدنيا أكبر من نيلها نهرا ولا أحكم من مقياسها أمرا . ومن عيوبها أن أهلها يكرهون المطر كراهية شديدة حتى يخرجون فى ذكر كراهيته إلى ما لا فائدة فى ذكره لأن المطر لايوافقهم ويهلك زرعهم وخصت بالتماسيح التى هى أخبث حيوان فى الماء وليس فيها منفعة بوجه من الوجوه .

(اليمن) من خصائصها السيوف والبرود والقرود والزرافة التى فيهاشبه من الناقة والثور والنمر . ومن خصائصها العقيق الذى ملأ الدنيا كثرة .

(البصرة والكوفة) كان يقال الدنيا بصرة ولا مثلك يا بغداد ، وكان جعفر بن سليمان يقول : العراق عين الدنيا والبصرة والعراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد ، وقال الحافظ : فى المد والجزر بالبصرة ماقولكم وظنكم بقوم يأتيهم الماء صباحا ومساء فان شاءوا أذنوا له وإن شاءوا حجبوه .

ويحكى : أن أمير المؤمنين هرون الرشيد ، قال لجعفر بن يحيى وزيره وهما بالكوفة فى آخر الليل قم بنا ياجعفر نتنسم هواء الكوفة قبل أن تكدره

العامة بأنفاسها . ومن أصدق ما قيل الكوفى لا يوفى .

(بغداد) قال أحمد بن طاهر هى جنة الأرض وواسطة الدنيا وقبة الاسلام ومدينة السلام وغرة البلاد ودار الخلفاء ومعدن الظرائف واللطائف ، وبها أرباب النهايات فى العلوم والدرايات والحكم والصناعات هواؤها ألطف من كل هواء وماؤها أعذب من كل ماء ونسيمها أرق من كل نسيم لم تزل مواطن الأكاسرة فى سالف الزمان الذين أظهروا المعدلة فى الرعايا ووطنوا الأقاليم والبلدان ومنازل الخلفاء الأعلام فى دولة الاسلام . ومن عجائبها أنها على كونها حظيرة الخلفاء ومقرها لا يموت فيها خليفة ، قال عمارة بن عقيل فيها :

قضى ربها أن لا يموت خليفة بها وبما قد شاء فى خلقه يقضى

(الاهواز) من خصائصها أن بها ثلاثة بلاد كل واحدة منها مخصوصة بشىء لا يوجد مثله فى البلاد . منها عسكر مكرم الذى لا يكون أحد يقاومه . ومنها السكر الذى لا يعادله شىء فى الدنيا طيبا وكثرة ولا يكون إلا بها . ومنها تستر التى بها طراز الديباج الفاخر وهو موصوف مع ديباج الروم . ومنها السوس التى بها طراز الخز النفيسة الملوكية . ومن عيوب الأهواز العقارب الجرارات القاتلة ولا يوجد بها أحد محمر الوجه لا رجل ولا امرأة ولا صبى أصلا .

(فارس) من خصائصها ماء الورد الذى لا يوجد مثله فى سائر الأرض طيبا والجورى منه منسوب إلى إحدى بلادها والموميات التى تمتحن بأن تكسر رجل ديك ثم يسقى منه وزن شعيرة فان كان خالصا انجبر الكسر حتى كأنه لم يكن .

(أصفهان) هى موصوفة بصحة الهواء وجودة التربة وعذوبة الماء وقلما تجتمع هذه الصفات فى بلدة .

ويحكى أن الحجاج ولى بعض خواصه أصفهان ، وقال له وليتك بلدة

حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران .

(الرى) من خصائصها الثياب المسيرة والمقاريض الوثيقة .

(طبرستان) يقال أنه قد شانها ما زان غيرها من كثرة الأشجار والخضرة والمياه . ومن خصائصها النارنج والأترج .

(جرجان) وهى جبلية سهلية برية بحرية يعدون بها مائة نوع من أنواع الرياحين والبقول والحشائش الصفراوية والثمار والحبوب السهلية والجبلية التى هى مبذولة بها يتعيش منها الغرباء والفقراء باجتنائها وبيعها وجمعها وفيها حب الرمان وبزر قطونا والتين مباح لهم

(ومن خصائصها) العناب الذى لا يكون فى سائر البلدان مثله وتلقى حتى فى الصيف والشتاء فى أسواقها من الخيار والفجل والجزر ومن الرياحين كالخزامى والخيرى والبنفسج والنرجس والأترج والنارنج وهى مجمع السمك وطير الماء والدراج والحجل حتى يقال لها بغداد الصغيرة إلا أنها وبيئة مختلفة الهواء كثيرة الايذاء قتالة الغرباء ويقال أن جرجان مغيرة لأهل خراسان وكان أبو تراب النيسابورى يقول : لما قسمت البلاد بين الملائكة وقعت جرجان فى قسم ملك الموت أى لكثرة الموتى بها .

(نيسابور) يقال إن كل بلدة موسومة بسابور فهى جليلة نفيسة كسابور من فارس وجند سابور من الأهواز وقرى سابور من الهند ولا كنيسابور التى هى سرة خراسان وغرتها ، ويقال أن كل بلدة لها اسمان فناهيك بها شرفا وعظمة كمكة يقال لها بكة ، والمدينة يقال لها يثرب ، ومصر يقال لها الفسطاط وحلب يقال لها الشهباء وبغداد يقال لها مدينة السلام وبيت المقدس يقال لها إيلياء ، ودمشق يقال لها الشام ، والرى يقال لها المحمدية ، وأصفهان يقال لها حى واليهودية أيضاً ، وسجستان يقال لها زرنج ، وخوارزم يقال لها كاته ، ونيسابور يقال لها أبر شهر . وكان المأمون يقول عين الشام دمشق ، وعين الروم قسطنطينية ، وعين العراق بغداد ، وعين خراسان نيسابور ،

وعين ماوراء النهر سمرقند . وكان عمر بن الليث صاحب نيسابور يقول ألا أقاتل عن بلدة حشيشها البرساس وحجرها الفيروزج وترابها طين الأكل الذى لايوجد مثله فى الأرض ويحمل من زورن نيسابور إلى أدنى الأرض وأقصاها ويتحف به الملوك والسادات .

(أما الفيروزج) فلا يكون إلا بنيسابور وربما بلغ قيمة الفص المثقال والمثقالين وفوق ذلك وقد جمع الخضرة والنضارة والخاصية وكونه لم يتغير بالماء الحار وتبلغ القطعة المتميزة منه مائة دينار . ولما دخل إليها أحمد بن طاهر قال : يالها من بلدة جليلة لولم يكن لها عينان وكان ينبغى أن تكون مياهها التى فى باطن الأرض على ظاهرها وأن تكون مسالخها التى على ظاهرها فى باطنها وأنشد :

ليس فى الأرض مثل نيسابور   بـــلد طيب ورب غفور

(طوس) من خصائصها الشيح الذى لايكون إلا بها والحجر الأبيض الذى يتخذمنه القدور والمقالى والمجامر وقد يتخذ منه كل مايتخذ من الزجاج كالأقداح والكيزان وغيرها وقيل قد ألان الله لأهل طوس الحجر كما ألان لداود عليه السلام الحديد .

(هراة) مدينة عظيمة ينشد فيها :

هراة أرض خصبها واسع   ونبتها التفاح والنرجس
ما أحد منها إلى غـــيرها   يخرج إلا بعـد ما يفلس

(ومن خصائصها) الكشمش وهو نوع من الزبيب الذى لايوجـد ببلدغيرها مثله ، والطائفى أيضاً وهو نوع فاخر من الزبيب وهو الذى يقال فيه :

وطائفى من الزبيب به   تنقل الشرب حين تنتقل
كأنه فى الاناء أوعية   من البحارى ماؤها عسل

(مرو) وهى مدينــة جليلة بناها ذو القرنين ويقال لها أم خرسان وينشد فيها :

بلد طيب وماء معين وثرى طيبه يفوح عبيرا
وإذا المرء قدر السير منه فهو ينهاه باسمه أن يسيرا

(بلخ) وإليها ينسب جيحون ويقال له نهر بلخ ويقال العيش فى الصيف ببلخ كتصحيفه ومن خصائصها النيلوفر والبنفسج والبجاد .

(سجستان) يقال ماؤها وشل ولصها بطل . ويروى فى أفاعيها عن شبيب بن شبة أنه قال : صغار أفاعيها سيوف وكبارها حتوف . ومن شروط أهلها أن لا يصيدوا شيئاً من قنافذها أصلا لأنها تأكل أفاعيها وحياتها وقد ذكرنا أفاعى سجستان مع ثعابين مصر آنفاً وجرارات الأهواز وعقارب شهرزور كما يذكر حكماء اليونان وصاغة حران وحاكة اليمن وأطباء جند نيسابور ولصوص طوس ورماة الترك وسحرة الهند

(بست) يقال إن هواءها كهواء العراق وماءها كماء الفرات وسئل بعض الفضلاء عنها فقال : صفتها تثنيتها يعنى أنها بستان .

(غزنة) هى مخصوصة بصحة الهواء وعذوبة الماء فالأعمار بها طويلة والأمراض بها قليلة وما ظنك بأرض تنبت الذهب ، ولا تلد الحيات ولا الحشرات المؤذية فهى أذكى أرض وأطيبها وأنظفها .

ومن خصائصها أن يخرج منها الرجال الأنجاد الأجلاد ، وكان أبو مسلم يكتب إلى داود صاحب غزنة أن أنفذ إلى الرجال من زو السنان والخيل من تخارستان ، ومن مناقبها أنها قليلة الثمار لأن كثرة الثمار تقترن بكثرة الأمراض وكلما كانت الثمار أقل ببلدة كانت الأمراض بها أقل ، والهواء بها أصح ، والتربة أخف ، والماء أهنأ وأمرأ .

(بلاد الهند) ناهيك بها دياراً يأتى من بحرها الدر ومن جبلها الياقوت ومن شجرها العود ، ومن ورقها العطر والكافور وأنشد الثعالبى فى غلام هندى :

هذا غزال الهند فى الغزلان كمثل عود الهند فى العيدان

وجه بديع الحسن فى الغلمان   مصور من حدق الحسان
كأنه فى ناظر الانسان   إنسان عين الحسن فى الزمان

ومن خصائصها : الفيل والكركند والتبر والببغا والطاوس والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والتنبل والنارجيل وجوز الطيب والسيوف والحراب والذهب والعطر وهى أكثر خصائص من كل البلدان على الاطلاق .

(سمرقند) لما أشرف عليها قتيبة بن مسلم قال كأنها السماء فى الخضرة وكأن قصورها النجوم اللامعة ، وكأن أنهارها المجرة ، وكان يقول سمرقند جنة فى الأرض ترعاها الخنازير .

ومن خصائصها الكواغدالتى أزرت بكواغد الأرض فى الطول والعرض والجلود الرقاق التى لاتوجد فى الدنيا وكان الأوائل يكتبون كتب العلوم والحكمة والتواريخ فيها لحسنها ولينها وإقامتها وقال الشاعر :

للناس فى أخرام جنة   وجنة الدنيا سمرقند
يامن يساوي أرض بلخ بها   هل يستوى الحنظل والقند

(الصين) ومن خصائصها الظروف الصينية ولهم الفخار الفاخر الذى لايوجد فى غيرها ولهم الابداع فى خرط التماثيل واتقانها وعمل التصاوير والنقوش المدهشة كالأشجار والوحوش والطيور والأزهار والثمار وصور الانسان على اختلاف الحالات والأشكال والهيئات حتى لا يعجزهم شىء إلا الروح والنطق ثم لايرضون بذلك حتى أن مصورهم يفصل بين الشخص الضاحك من الغضب والضاحك من العجب ، والضاحك من السرور ، والضاحك من الخجل ، ولهم الحرير المثمر وبها المماطر التى لاتبل بالمطر ، ولهم الستائر التى يستتر بها الفارس والفرس فى الحرب ولا تؤثر السهام فيها ولا الجروح ويكون زنة كل واحدة منها دون الرطل الشامى ولهم مناديل الغمر التى إذا اتسخت ألقيت فى النار فتعود جديدة ولم تحترق .

(بلاد الترك) هى بلاد توازى بلاد الهند فى كثرة خصائصها كالمسك والسمور والسنجاب والقماقم والفنك والثعالب السود والخذنك واليشم والخزحار الذى يتخذ من ذنبه وعرفه المطارد .

(فأما تبت) فهى أيضاً من بلاد الترك وقد خصت بجوهر شريف وعرض لطيف أما الجوهر فالذهب الذى ينبت فيها وأما العرض فمن أقام بها اعتراه الفرح والسرور ولو مات له عشرة من الأولاد لا يعتريه حزن ولا هم ولا يدرى ما سبب ذلك وأن الغريب الذى يدخلها لا يزال مسروراً منبسطا حتى يخرج منها وهذه خصوصية عظيمة .

(خوارزم) تناسب بلاد الترك أيضاً فى الخصائص ويجلب منها السمور والوبر الفاخر والسموك المملحة والبطيخ الغريب النوع والطعم والحلاوة وهى أشد بلاد الله برداً وشتاء حتى أن جيحون يجمد مع عمقه وعظمته فتمشى على متنه الجامد القوافل والعجل والفيول وربما بقى جامداً مدة تزيد على الشهرين لكنها تصير كالأرض اليابسة الجلدة انتهت خواص البلدان

وهنا نبذة تناسب هذا المكان

حكى أن أبا على الهاشمى وأبا دلف الخزرجى كانا يوما فى مجلس أنس عند عضد الدولة بن بويه وكانا شاعرين بليغين فقال أبو على لأبى دلف صب الله عليك الحمى الخيبرية والدمامل الجزرية والقروح البلخية فقال له أبو دلف من غير ترو يامسكين قد بلغ عظمك السكين أتنقل التمر إلى البصرة والعطر إلى اليمن . لا بل صب الله عليك ثعابين مصر وأفاعى سجستان وعقارب شهرزور وجرارات الأهواز ووباء جرجان وصب على برود اليمن ومقصب مصر وتفاصيل اسكندرية وحلل الصين وخزوز الكوفة وأكسية فارس وشربناف أصفهان وصقلاطون الروم وتصاقى بغداد ومنير الرى وطرز نيسابور وملحم مرو وسنجاب نخرير وسمور بلغار وثعالب الخزر وفنك كاشغر وحواصل هراة وقندس التغزغز وتكك أرمينية وجوارب

قزوين وأفرشني بسط شيراز وأخدمني خصيان الخطا وغلمان الترك وسراري بخاري ووصائف سمرقند وحملني على نجائب نجد وعتاق البادية وحمير مصر وبغال برذعة ورزقني تفاح الشام وموز اليمن ودبس ارجان وتين حلوان وعناب طبرستان وإجاص بست ورمان الري وكمثرى نهاوند ومشمش طوس وسفرجل خلاط وبطيخ خوارزم وأشمني مسك تبت وعود الهند وكافور قنصور وأترج المربد ونارنج البصرة ومنثور الصغد ونوفر السروان وورد جور ونرجس الدشت وشاهسفرم ترمذ . فلما سمع عضد الدولة ذلك ضحك وتعجب من استحضاره خواص البلدان في الحال وأمر له بخلعة سنية ومال . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

يتلوه نبذة من أخبار ملوك الزمان السالفة منقول من كتاب الذهب المسبوك في سير الملوك للامام الحافظ العلامة أبي الفرج بن الجوزي تغمده الله برحمته

قال: حكى بعض علماء التاريخ أن قيصر ملك الشام والروم أرسل رسولا إلى ملك فارس أنوشروان صاحب الايوان فلما وصل ورأى عظمة الايوان وعظمة مجلس كسرى على كرسيه والملوك في خدمته وميز الايوان فرأى فيه اعوجاجا في بعض جوانبه فسأل الترجمان عن ذلك ؟ فقيل ذلك بيت لامرأة عجوز كرهت بيعه عند عمارة الايوان فلم ير ملك الزمان إكراهها على البيع فأبقى بيتها في جانب الايوان فذلك ما رأيت وسألت . فقال الرومي وحق دينه إن هذا الاعوجاج أحسن من الاستقامة وحق دينه إن هذا الذي فعله ملك الزمان لم يؤرخ فيما مضى لملك ولا يؤرخ فيما بقي لملك فأعجب كسرى كلامه وأنعم عليه ورده مسرورا مجبورا

ولما افتتح كسرى بلاد العجم وأحكم البنيان وشيد الحصون ومهد البلاد ونشر العدل والانصاف في الحاضر والباد وجند الجنود وحشد الحشود

سار إلى نحو الجزيرة وآمد وفتح ما هناك من البلاد إلا آمد فانه عجز عنها لتشييد بنائها وتمكين سورها فرحل إلى الفرات وافتتح حلب وأعمالها وكثيرا من الشام وغدر بقيصر ملك الشام والروم وقتل ابن أخته بحمص ثم سار إلى أنطاكية وقتل صاحبها وافتتحها فخاف قيصر وهادنه وحمل إليه الجزية وكان ذلك فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك نزل قوله تعالى ﴿ الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ وللقضية قصة مشهورة ليس هذا موضع ذكرها قال وحمل كسرى من الشام من أعاجيب الرخام وبدائع المرمر وأنواع البلاط المجزع والأحجار البهجة فبنى بالعراق مدينة تسمى برومية وزخرفها بأنهى ما قدر عليه وكان أراد أن يصنع ذلك بآمد فلم يقدر على أخذها وفتحها فجعل رومية على هيئتها وشكلها واشتد سلطان كسرى وعظم ملكه حتى هابته ملوك الأرض وهادنته وحملت إليه الجزية ، وتزوج بشاه روزا ابنة خاقان ملك الترك ، ولم يكن فى زمانها أكمل منها محاسن ولا أبدع صورة وشكلا .

وكتب إليه ملك الصين من يقفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى ساحة قصره نهران يسقيان العود والكافور الذى يوجد ريح قصره فى فرسخين وتخدمه بنات ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل أبيض إلى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى إليه فارسا هو وفرسه من الدر المنضود وعينا فرسه من الياقوت الأحمر وأهدى إليه ثوبا من الحرير الصينى فيه صورة الملك كسرى وهو جالس على كرسيه فى إيوانه والتاج على رأسه والملوك فى خدمته والخدم بأيديهم المذاب المصورة المنسوجة بالذهب فى أرض لازوردية في صندوق مرصع بأنواع اليواقيت الفاخرة التى لا قيمة لها وأهدى إليه جارية خطائية تغيب فى شعرها الحالك إذا أسبلته يتلألأ جمالا وبهاء وغير ذلك من طرف الصين وأعاجيبه .

وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم أراكنة الشرف صاحب

قصر الذهب والزمرذ والياقوت والزبرجد الذى أبواب قصره من الزمرذ الذبانى إلى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس وأهدى إليه ألف منّ من العود الهندى الذى يذوب على النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة وأهدى إليه جاما من الياقوت البهرمانى يفتح شبراً فى شبر سمكه عرض أصبعين وأهدى إليه أربعين درة يتيمة كل واحدة تزيد على ثلاثة مثاقيل وأهدى إليه عشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر وجارية طولها عشرة أشبار إلى صدرها وخمسة أشبار إلى فرقها تضرب أهداب عينيها على خديها فكان بين أجفانها لمعان كلمعان البرق من بياض مقلتيها وسواد سوادهما مع صفاء لونها ودقة تخاطيطها وإتقان شكلها مقرونة الحاجبين وكان كتابه فى لحى شجر الكادى والكتابة بالذهب وهذا شجر يكون بأرض الصين والهند وهو نوع من نبات الطيب عجيب ذو لون أبيض كالفضة مصقول بالمرآة ينطوى كالورق ولا يتكسر وريحه أعطر شيء من الطيب.

وأهدى إليه ملك تبت من عجائب بلاده مائة جوشن تبتية ومائة قطعة تجافيف كالبرانس كل واحدة منها تستر الفارس وفرسه ومائة ترس تبتية لا تعمل في هذه الأتراس والجواشن والتجافيف عوامل الرماح ولا بواتر الصفاح ولا شدائد نصول الجراح وزنة كل قطعة من هذه المذكورات مابين أربعين درهما إلى الستين درهما وأهدى إليه أربعة آلاف منّ من المسك التبتى وتسعين غزالا من غزلان المسك فى الحياة ومائدة عظيمة من الذهب الأحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر يدور حولها نحو ثلاثين رجلا قد كتب على حافتها أشهى الطعام ما أكله الآكل من حله وجاد على ذى الفاقة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك.

وكان لكسرى خواتيم أربعة : خاتم للخراج فصه ياقوت أحمر يتقد كالنار نقشه العدل العدل. وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العمارة العمارة. وخاتم للضرب والعقوبة فصه من زمرذ نقشه التأنى التأنى. وخاتم للبرد

فصه درة بيضاء نقشه العجل العجل ، وكان له مائدة أهداها إليه قيصر ملك الروم من العنبر فتحها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصصة بأنواع الجواهر أحد الأرجل الثلاثة ساعد أسد وكفه والآخر ساق وعل والثالث كف عقاب ومخلبه وثلاثون جاما من الجزع اليمانى فتح كل منها شبر فى شبر ، وكان عنده خمسة آلاف درة زنة كل واحدة منها ثلاثة مثاقيل ، وكان يقول : خير الكنوز معروف أودعته الأحرار وعلم توارثته الأعقاب وأطول الناس عمرا من كثر علمه فانتفع به من بعده ، وكان لكسرى عشرة آلاف غلام من الترك والخطا وهم فى غاية الحسن والجمال واستقامة الصور والتخطيط فى آذانهم قروط الذهب الأحمر فيها الدر والياقوت معلقا ولباسهم أقبية الديباج المدثر عشرة صنوف كل صنف منها على قد واحد وزى واحد ولون واحد من ملابس الديباج ولا يزالون كذلك وكلما التحى واحد منهم أو مات أتى بغيره مكانه فى الوقت والحال ، وكان على مربطه تسعة آلاف فيل منها ألفان وسبعمائة فيل أشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه أربعون شبرا مات منها فيل فوزن أحد نابيه فوجد مائتين وأربعين منا بالبغدادى .

ولما ملك الاسكندر فارس والمغرب والشام وبنى الاسكندرية ودمشق وغيرهما وأحاديثه طويلة ارتحل نحو الهند والسند والصين فوطىء أرضها وذال ملوكها وأهديت إليه الهدايا من الترك والتبت وغيرهم إلى أنهى مطلع الشمس من العمران ، وكان معلمه أرسطاطاليس فبلغه أن بأقصى الهند ملكا عادلا من ملوكهم وهو ذو حكمة وديانة وسياسة وقد أتى عليه مئون من السنين وهو قاهر لطبيعته مميت لشهوات نفسه يتجمل بكل خلق كريم ويظهر بكل فعل جميل فكتب إليه الاسكندر يقول إذا أتاك كتابى هذا فلا تقعد ولو كنت ماشيا حتى تأتينى وإلا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى ، فلما ورد الكتاب على ملك الهند كتب جواب الاسكندر بأحسن خطاب وألطف جواب ولقبه بملك الملوك العادلة وأعلم الاسكندر فى جوابه أنه قد

اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند ملك من ملوك الدنيا . من ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن صورة وهيئة منها . ومنها فيلسوف يخبرك عن مرادك من قبل أن تساله . ومنها طبيب لا تخشى معه من الأدواء والأمراض والعوارض إلا ما جاء من قبل الموت . ومنها قدح إذا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص من القدح شئ وانى مهد جميع ذلك إلى ملك الملوك وسائر إليه ، قال فلما قرأ الاسكندر جوابه وسمع بذكر هذه الأشياء قلق إليها قلقا عظيما فأرسل إليه جماعة من الحكماء أن يشخصوه إليه إن كان كاذبا وأن يخبروه فى المقام إن كان صادقا ويأتوه بهذه الاربع فمضى القوم إلى ملك الهند فتلقاهم أحسن لقاء وأنزلهم أرحب منزل وأكرمهم أعظم إكرام مدة ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع جلس لهم مجلسا خاصا وأقبل على الحكماء وباحثهم فى أصول الحكمة والفلسفة والعلم الالهى والمبادى الأول والهيئة والأرض ومساحتها والبحار وغيرها حتى ملأ صدورهم من العلم والحكمة ثم أخرج ابنته إليهم وأبرزها عليهم فلم يقع أحدهم على عضو من أعضائها فأمكنه أن يتعدى ببصره عن ذلك العضو إلى غيره وشغله تأمل ذلك العضو وحسن تخطيطه وإتقان صنعه فخافوا على عقولهم الزوال ثم رجعوا إلى نفوسهم عند سترها وقد اندهشوا وسير صحبتهم القدح والطبيب والفيلسوف وودعهم مسافة من الأرض بعد أن خبروه فى المقام ، فلما ورد ذلك على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف فى دار الضيافة والاكرام ونظر إلى الجارية فطاش عقله عند مشاهدتها وشغف بها ، وكان الاسكندر إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة ، وكان من أحسن الناس خلقا وخلقاً وأكثر الملوك إنصافا وعدلا وأغزر الخلق معرفة وحكمة وأعظم الملوك هيبة وصيتا فأمر القيمة باكرامها واحترامها وتعظيمها وتقديمها على سائر حرمه وأهله ، ثم قصت الحكماء ماجرى بينهم وبين ملك الهند من المباحث فأعجب الاسكندر وامتحن القدح بأن ملأه ماء فشرب منه جميع عسكره ولم ينقص منه شئ وسير فى

الحال إلى الفيلسوف يمتحنه فيما قيل عنه بإناء مملوء من السمن بحيث لا يمكن أن يزاد فيه شيء ، وقال للرسول سر به إلى الفيلسوف وضعه بين يديه ولا تخبره بشيء أصلا ، فلما وصل به وضعه بين يديه ووقف ولم يكلمه فأخذه الفيلسوف بيده ونظره وتأمله بانتقاد بصيرته فأخذ إبرا صغارا كثيرة وغرزها فى السمن حتى بقى وجه السمن كالقنفذ وسيرها إلى الاسكندر ، فلما رآها الاسكندر ووقف عليها حرك رأسه ، ثم أمر فجعل من الابر كرة حديد وسيرها إلى الفيلسوف ، فلما وقف الفيلسوف عليها ضرب منها مرآة مصقولة ترد صورة من تأملها من الأشخاص لشدة تلألئها وصفائها وزوال درنها وأمر بردها إلى الاسكندر فجعلها الاسكندر فى طست فيه ماء وسيرها إلى الفيلسوف ، فلما نظرها الفيلسوف جعلها كرة مقعرة حتى طفت على وجه الماء وسيرها إلى الاسكندر ، فلما رآها الاسكندر ثقبها وملأها ترابا وردها إلى الفيلسوف ، فلما رآها الفيلسوف تغير لونه ودمعت عينه وسيرها إلى الاسكندر على حالها من غير أن يحدث فى التراب حادثة ، قال فلما كان من الغد جلس الاسكند جلوسا خاصا وأمر باحضار الفيلسوف ، فلما أقبل نحو الاسكندر رآه الاسكندر شابا حسنا كأحسن الناس فتعجب من حسنه وهيئته فحط الفيلسوف يده على أنفه ثم أتى بتحية الملوك فأشار الاسكندر إليه بالجلوس على كرسى وضعه له بين يديه فجلس حيث أمره ، ثم قال له الاسكندر : ما بالك لما نظرت إليك وضعت أصبعك على أنفك ؟ فقال أيها الملك المعظم دام لك الملك والنعم لما نظرت إلىّ استحسنت صورتى وخطر بخاطرك هل حكمة هذا الشاب على قدر صورته فوضعت أصبعى على أنفى أخبر الملك أنه ليس فى الهند مثلى ، فقال صدقت قد خطر ذلك بخاطرى . ثم قال له الاسكندر يا رئيس حدثنى بما كان بينى و بينك من الرسائل ، فقال أيها الملك أرسلت إلىّ بإناء مملوء من سمن لا يمكن أن يزاد فيه تخبرنى أنك قد امتلأت من الحكم فلا يمكن أن يزاد على حكمتك شيء فأخبرتك أن عندى من دقائق

الحكم ولطائفها ما ينفذ فى حكمتك كما نفذت الابر فى السمن ثم أرسلت إلىّ بالابر كرة فأخبرتنى أن نفسك قد علاها من وسخ الصدا بقتل الأعداء وسفك الدماء ما قد علا هذه الكرة فأخبرتك أن عندى من الحيلة والملاطفة ما يجعل نفسك مثل صفاء هذه المرآة حتى تشرق على الموجودات ثم أعلمتنى بالطست والماء أن الأيام والليالى قد قصرت عن ذلك فأخبرتك أنى سأعمل فى الحيلة على إيصالك إلى العلم الكثير فى العمر القصير كما شرفت الحديد الذى من طبعه الرسوب فى الماء على وجه الماء فثقبت المقعر وملأته ترابا تخبرنى بالموت والقبر فلم أغيره مخبرا للملك أن لا حيلة فى الموت فتعجب الاسكندر وقال والله ما غادر ما خطر بخاطرى ، ثم أمر له بخلع وأموال كثيرة فأبى وقال : أنا راغب فيما يزيد فى عقلى فكيف أدخل على عقلى ما ينقصه أيها الملك أحسن إلى أهل الهند وكف عن معارضتهم ، وقيل إن القدح الذى شرب منه عسكر الاسكندر وما نقص منه شئ هو قدح آدم أبى البشر عليه السلام ، معمول من ضروب الخواص والروحانية ، وشاهد من الطبيب من لطائف صنائعه ما بهر عقله . ومن عجائب علاجه وتلطفه فى إزالة الآفات والأدواء .

وقيل مر ببابل فأخبر عن غار هناك وبه آثار عظيمة فأتاه ووقف على بابه فاذا عليه مكتوب بالسريانى يامن نال المنى وأمن الفنا وقد وصل إلى هنا اقرأ وافتكر وادخل إلى الغار واعتبر واعلم أنى قد ملكت البلاد وحكمت على العباد وما نلت من الدنيا المراد ، قال فدخل الاسكندر الغار وقد أسبل الدموع الغزار فوجد شخصا عظيم الهامة طويل القامة على سرير من الذهب ملق وقد ترك جميع ما ملك وألقى يده اليمنى مقبوضة والأخرى مفتوحة ومفاتيح خزائنه عند رأسه مطروحة وعلى يمينه لوح مكتوب فيه جمعنا المال وأمكناه وعلى شماله لوح مكتوب فيه ثم رحنا وتركناه وعند رأسه لوح مكتوب فيه :

لقد عمرت في زمن سعيد ... وكنت من الحوادث في أمان

وقاربت الثريا في علـــو ... فصرت على السرير كما تراني

فقال الاسكندر : فسبحان الملك الذي لا عزل له ووقع في قلبه الوجل والوله فترك كل ما كان له وتخلى للعبادة وأصلح عمله وفرق الذخائر والخزائن وتصدق بماله في الحصون والمدائن وأعتق العبيد والخدم وانتصب لعبادة الله على أحسن قدم ، وقال أعزل نفسي قبل العزل وأحاسبها قبل حساب يوم الفصل ولبس الخشن والمسوح رغبة في ملك الأبد والثواب الممنوح وجرح نفسه بسكين الجوى حتى أعرضت عن مهاوى الهوى لما وجد في الغار الدوا وترك ما حاز واحتوى واعتزل اللهو وانزوى ولبساط الرغبة طوى ولسان حاله ينشد لما تم له واستوى :

دع الهوى فآفة العقل الهوى ... ومنتهى الوصل صدود ونوى

وراقب الله فأنت راحـــل ... إلى الثرى ومعظم العمر انطوى

ما ينفع الانسان يوم موته ... ماحاز من أمواله وما احتوى

يقسمها وارثه برغمـه ... وهو بنار إثمها قد اكتوى

تب قبل شيب الرأس فالتائب لا ... يتبع شيب رأسه إلا التوى

ما دام في العمر اخضرار عوده ... سهل وصعب عوده إذا ذوى

إذا أضيع أول العمر أبت ... أعجازه إلا اعوجاجا والتوا

قيل ورجع الاسكندر من بابل وقد أحاطت به البلابل وظهرت به آثار السقام حتى ثقل لسانه بالكلام ، وكان قد رأى في منامه وطيب لذيذ أحلامه أنه سيموت فوق أرض من حديد ، وتحت سماء من حديد ثم أخذه العطش والحمى والتلهب والظمأ ففرشوا تحته دروع الحديد وظللوا فوقه بالجحف الفولاذ استجلابا للتبريد فأفاق بعد زمان من الغشوة واللهف فرأى دروع الحديد تحته وفوقه الجحف فأيقن بارتحاله فكتب كتابا إلى أمه بصورة حاله وأوصاها بأن تعمل له وليمة عجيبة الأسلوب وأن لا يحضرها إلا من لا أصيب بخليل ولا محبوب .

فلما مات رحمه الله وضع فى تابوت من ذهب ليحمل إلى أمه إلى الاسكندرية واجتمعت له هذه النعم وعمره ست وثلاثون سنة ، وكان مدة ملكه تسع سنين . فقال حكيم الحكماء ليتكلم كل منكم بكلام ليكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا فقام أحدهم وقال لقد أصبح مستأسر الملوك أسيراً وقال آخر هذا الاسكندر كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبؤه وقال آخر : العجب كل العجب أن القوى قد غلب والضعفاء مغترون . وقال آخر : قد كنت لنا واعظا ولا واعظ أبلغ من وفاتك . وقال آخر : رب هائب لك لا يقدر أن يذكرك سرا وهو الآن لايخافك جهراً . وقال آخر : يامن ضاقت عليه الأرض فى طولها والعرض ليت شعرى كيف حالك فى قدر طولك . وقال آخر : يامن كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت . وقال آخر : سيلحق بك من سره موتك . وقال آخر : مالك لاتحرك عضوا من أعضائك وقد كنت تزلزل الأرض .

فلما ورد على أمه فى التابوت شرعت فى عمل الوليمة وهيأت المآكل والمطاعم ونادت لايحضر الوليمة إلا من لافجع فى الدنيا بمحبوب ولا خليل فلم يحضر الوليمة أحد . فقالت : مابال الناس لا يحضرون الوليمة ؟ قالوا : أنت منعتيهم من الحضور . قالت كيف ذلك ؟ قيل لها قد أمرت أن لايحضرها من فقد محبوبا ولامن فجع بخليل وليس فى الناس أحد إلا وقد أصيب بذلك مراراً فلما سمعت بذلك خف ما بها من الحزن وتسلت بعض تسلية وقالت : رحم الله ولدى لقد عزانى بأحسن تعزية وسلانى بألطف تسلية .

(ياهذا) أين القرون الأول والآخر ، أين من ملك وقهر ، أين من حشد وحشر ، أين من أمر وزجر وخرب آخرته ودنياه عمر وأمن الموت المنتظر هل كان له من الموت مفر فلما جاءه المنون بالأمر الآمر حطه من القصور إلى الحفر وعوضه عن الحرير بالمدر وسلط عليه الدود إلى أن

اضمحل واندثر ولم يبق منه عين ولا أثر إلا ذل وفتر ووهن وخور وعنف على ذنبه المحتقر ونبئ بما قدم وأخر من العجر والبجر .

تبنى وتجمع والآثار تندرس ... وتأمل اللبث والأرواح تختلس

ذا اللب فكر فما فى الخلد من طمع ... لابد أن ينتهى أمر وينعكس

أين الملوك وملاك الملوك ومن ... كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا

ومن سيوفهم فى كل معركة ... تخشى ودونهم الحجاب والحرس

أصمهم حدث وضمهم جدث ... باتوا وهم جثث فى الرمس قد حبسوا

أضحوا بمهلكة فى وسط معركة ... صرعى وماشى الورى من فوقهم تطس

كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهم بين الورى ونسوا

والله لو شاهدت عيناك ما صنعت ... يد البلاء بهم والدود تفترس

لعاينت منظراً تشجى القلوب به ... وعاينت منكراً من دونه البلس

من أوجه ناظرات حار ناظرها ... ورونق الحسن منها كيف ينطمس

وأعظم باليات ما بها رمق ... وليس تبقى بهذا وهى تنتهس

وألسن ناطقات زانها أدب ... ما شانها شأنها بالآفة الخرس

تبسهم ألسن للدهر فاغرة ... فاها فآها لهم إذ بالردى وكسوا

عروا من الوشى لما ألبسوا حللا ... من التراب على أجسامهم وكسوا

وعاد ترب المنايا من ملابسهم ... جون الثياب وقدما زانها الورس

إلام ياذا النهى لا ترعوى أبداً ... ودمع عينك لا يهمى وينبجس

هذا آخر الكلام من أخبار الملوك الماضية والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل فى ذكر الكلام فى مسائل عبد الله بن سلام لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام

وفيها فوائد كثيرة وعلوم غزيرة تزيد هذا الكتاب رونقا وبهجة وتفيد الناظر فيه استدلالا وحجة .

روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وأمر أن يكاتب ملوك الكفار وأن يدعوهم إلى عبادة الملك الجبار كتب كتابا إلى يهود خيبر حيث كانوا أقرب الكفار إليـه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياجبريل ما الذى أكتبه إليهم ؟ فأملاه جبريل فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى يهود خيبر . أما بعد : فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والدين الخالص لله والعاقبة للتقوى والسلام على من اتبع الهدى وأطاع الملك الأعلى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم به فكتب ثم ختمه وأرسل به إلى يهود خيبر ، فلما وصل إليهم أتوا به شيخهم وكبيرهم وحبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام وكان اسمه قبل إسلامه اشماويل . فقالوا يا ابن سلام هذا كتاب محمد قد أتانا فاقرأه علينا ، فقرأه عليهم ثم قال لهم : ماترون وقد علمتم أن فى التوراة علامات تعرفونها ، وآيات لاتنكرونها تظهر على يد محمد الذى بشر به موسى بن عمران فان يك هذا أطعناه فقالوا إذاً ينسخ كتابنا ويحرم ما هو حلل لنا ؟ فقال ابن سلام ياقوم لقد آثرتم الدنيا على الآخرة والعذاب على الرحمة . ثم قال لهم إن محمداً رجل أمى لايقرأ ولا يكتب وأنتم بين أظهركم التوراة وتكتبون وتقرءون فأنا أستخرج من التوراة ألفاً وأربعمائة مسئلة وأربع مسائل من غوامضها وأتوجه بها إليه فان عرفها وأجاب عنها وكشف الالتباس فهو الذى بشر به موسى بن عمران فنؤمن به حقيقة الايمان وإن تلكأ وعجز عن حلها فلا نرجع عن ديننا

ولا تتبعه لحظة من زمان فأجابه اليهود إلى ماقاله واستخرجوا من التوراة ما قدروا عليه من غوامض لاتصل إليها أفهامهم وجهزوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال فلما وصل المدينة ودخل من باب المسجد ورأى أنوار النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من حوله حن قلبه إلى الاسلام فقال : السلام عليك يا محمد أنا اشماويل بن سلام والسلام على أصحابك الأعلام. فقالوا : وعلى من اتبع الهدى السلام ورحمة الله وبركاته على الدوام . ثم أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالجلوس فجلس ، فقال له ما تريد يا ابن سلام ؟ فقال يا محمد أنا من علماء بنى إسرائيل وممن قرأ التوراة وفهمها وعلمها وأنا رسول اليهود إليك وقد أرسلوا معى رسائل لانفهمها عن يقين وقد سألوك أن تبينها لهم وأنت من المحسنين ، فقال عليه الصلاة والسلام قل مابدالك من المسائل يا ابن سلام فقد أخبرنى بها جبريل عن الملك العلام وإن شئت أخبرتك بها قبل أن تفوه بالكلام . فقال يا محمد أعلمنى بها لكى أزداد يقينا . فقال يا ابن سلام لقد جئتنى بألف مسئلة وأربعمائة مسئلة وأربع مسائل استخرجتموها من التوراة ونسختها بخطك . قال فنكس عبد الله بن سلام رأسه وبكى وقال : صدقت يا محمد وأنت الصادق الأمين يا محمد أنت نبى أم رسول ؟ فقال : إن الله جل وعلا بعثنى نبيا ورسولا وخاتم النبيين أما قرأت فى التوراة ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ قال صدقت يا محمد : أمكلم أم موحى إليك ؟ قال يا ابن سلام : إن هو إلا وحى يوحي ينزل به جبريل الأمين عن رب العالمين ، قال صدقت يا محمد ، كم خلق الله من نبى؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا . قال صدقت يا محمد ، فكم من مرسل فيهم ؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر قال صدقت يا محمد ، فمن كان أول الأنبياء ؟ قال آدم عليه السلام قال فمن كان أول المرسلين قال آدم أيضاً كان نبيا مرسلا قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن رسل العرب كم كانوا ؟ قال سبعة : ابراهيم واسمعيل وهود ولوط وصالح وشعيب ومحمد . قال صدقت يا محمد :

فأخبرني كم كان بين موسى وعيسى من نبي ؟ قال ألف نبي . قال صدقت يا محمد . فعلى أى دين كانوا ؟ فقال : على دين الله الخالص ودين ملائكته ودين الاسلام قال صدقت يا محمد ، ما الاسلام وما الايمان ؟ قال : الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا ، والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كم دين لله تعالى ؟ قال يا ابن سلام دين واحد وهو الاسلام قال صدقت يا محمد ، كم كانت الشرائع ؟ قال : كانت مختلفة فى الأمم الماضية ، قال صدقت يا محمد ، فأهل الجنة يدخلون الجنة بالاسلام أم بالايمان أم بأعمالهم ؟ قال يا ابن سلام : استوجبوا الجنة بالايمان ويدخلونها برحمة الله ويقتسمونها بأعمالهم قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كم كتاب أنزل الله تعالى ؟ قال يا ابن سلام : أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب ، قال صدقت يا محمد ، فعلى من أنزلت هذه الكتب ؟ قال : أنزل الله عز وجل على شيث بن آدم خمسين صحيفة ، وأنزل على إدريس ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشرين صحيفة ، وأنزل الزبور على داود ، والتوراة على موسى ، والانجيل على عيسى ، والفرقان على محمد قال صدقت يا محمد . لم سمى الفرقان فرقانا ؟ قال : لأن آياته وسوره مفرقة لا كالصحف والتوراة والانجيل ، قال صدقت . فهل فى القرآن شيء من الصحف ؟ قال نعم : قال وما هو يا محمد ؟ فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهم وموسى ﴾ قال صدقت يا محمد

فأخبرني ما ابتداء القرآن وما ختمه ؟ قال : ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم وختمه صدق الله العظيم قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن خمسة خلقها الله بيده ؟ قال : جنة عدن خلقها الله بيده وشجرة طوبى غرسها الله بيده ، وصور آدم بيده ، وبنى السماء بيده ، وكتب الألواح لموسى بيده قال صدقت يا محمد .

فأخبرني من أخبرك بما أخبرت ؟ قال : أخبرني جبريل ، قال صدقت يامحمد ، عمن ؟ قال عن ميكائيل ، قال عمن ؟ قال عن إسرافيل ، قال عمن ؟ قال عن اللوح المحفوظ ، قال عمن ؟ قال : عن القلم . قال عمن ؟ قال : عن رب العالمين . قال وكيف ذلك ؟ قال : يأمر الله القلم فيكتب عن اللوح وينزل اللوح على إسرافيل ويبلغ إسرافيل ميكائيل ويبلغ ميكائيل جبريل قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن جبريل في زى الذكران هو أم في زى الاناث ؟ قال : في زى الذكران قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما طعامه وشرابه ؟ قال يابن سلام : طعامه التسبيح وشرابه التهليل قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما طوله وما عرضه وما صفته وما لباسه ؟ قال يا ابن سلام : الملائكة لاتوصف بالطول والعرض لأنهم أرواح نورانية لا أجسام جثمانية ضوؤه كضوء النهار في ظلمة الليل له أربعة وعشرون جناحا خضراء مشبكة بالدر والياقوت مختومة بالدر واللؤلؤ والمرجان عليه وشاح بطانته من إستبرق وهي تأخذ بالبصر وظهارته الوقار . إزاره الكرامة ووجهه كالزعفران لا يأكل ولا يشرب ولا يسهو ولا يمل ولا ينسى وهو قائم بأمر وحي الله تعالى إلى يوم القيامة قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن بدء خلق الدنيا وأخبرني عن بدء خلق آدم ؟ قال نعم : إن الله سبحانه وتعالى تقدست أسماؤه وجل ثناؤه ولا إله غيره خلق آدم

من طين بيده وخلق الطين من الزبد وخلق الزبد من الموج وخلق الموج من الماء قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن آدم لم سمى آدم ؟ قال : لأنه خلق من طين الأرض وأديمها قال صدقت يا محمد ، فآدم خلق من طينة واحدة أم من الطين كله ؟ قال يا ابن سلام : بل خلق من الطين كله ولو خلق من طينة واحدة لما عرف الناس بعضهم بعضا ولكانوا على صورة واحدة قال صدقت يا محمد ، فهل لذلك مثل فى الدنيا ؟ قال نعم : أما تنظر إلى الدنيا محشوة من تراب أبيض وأحمر وأصفر وأشقر وأغبر وأسود وأزرق وفيه عذب وملح ولين وخشن ومتغير ومنتن وكذلك بنو آدم قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى لما خلق الله آدم من أين دخلت فيه الروح ؟ قال : دخلت من فيه قال صدقت يا محمد ، أدخلت فيه رضا أو كرها ؟ قال : بل أدخلها الله كرها وأخرجها كرها قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى ما قال الله لآدم ؟ قال يا ابن سلام ، قال الله لآدم ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى كم أكل حبة من الشجرة ؟ قال : حبتين قال وكم أكلت حواء قال حبتين قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى ماصفة الشجرة وكم غصن كان لها وكم كان طول السنبلة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان للشجرة ثلاثة أغصان وكان طول كل سنبلة ثلاثة أشبار قال وكم حبة كان فى السنبلة ؟ قال : خمس حبات قال صدقت يا محمد ، وكم فرك سنبلة ؟ قال : فرك سنبلة واحدة ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن صفة الحبة كيف كانت ؟ قال يا ابن سلام : كانت بمنزلة البيض الكبار قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن الحبة التى بقيت مع آدم ما صنع بها ؟ قال : نزلت مع آدم

من الجنة فزرعها فى الأرض فتناسل منها الحب فى الأرض وبورك فيها قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرنى عن آدم أين أهبط من الأرض ؟ قال : أهبط بأرض الهند قال صدقت يا محمد ، قال فأين أهبطت حواء ؟ قال بجدة ، قال صدقت يا محمد ، فأين أهبطت الحية ؟ قال بأصبهان ، قال صدقت يا محمد ، فأين أهبط إبليس ؟ قال : ببيسان قال صدقت يا محمد ما أغزر علمك وما أصدق لسانك .

فأخبرنى ما كان لباس آدم لما أهبط من الجنة ؟ قال : ثلاث ورقات من ورق الجنة وكان متشحا بالواحدة متزرا بالأخرى معتما بالثالثة قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى فى أى مكان اجتمعا ؟ قال : بعرفات قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أول بيت وضع للناس ؟ قال : بيت الله الحرام قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن آدم خلق من حواء أم حواء خلقت من آدم ؟ قال يا ابن سلام : بل حواء خلقت من آدم ولو خلق آدم من حواء لكان الطلاق بأيدى النساء ولم يكن بأيدى الرجال ، قال صدقت يا محمد ، قال ابن سلام : فمن كله خلقت أم من بعضه ؟ قال عليه الصلاة والسلام : خلقت من بعضه ولو خلقت من كله لكان القضاء فى النساء ولم يكن فى الرجال ، قال صدقت يا محمد فمن باطنه خلقت أم من ظاهره ؟ قال : من باطنه ولو خلقت من ظاهره لكشفت النساء عن وجوههن كالرجال وما استترن ، قال صدقت يا محمد ، فمن يمينه خلقت أم من شماله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : من شماله ولو خلقت من يمينه لكان حظ الأنثى مثل حظ الذكر وشهادتها كشهادته ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى من أى موضع خلقت منه ؟ قال : « من ضلعه الأيسر قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى من كان يسكن الأرض قبل آدم ؟ قال : الجن قال فبعد الجن ؟ قال الملائكة ، قال فبعد الملائكة ؟ قال آدم وذريته ، قال صدقت يا محمد ، كم بين الجن والملائكة ؟ قال : سبعة آلاف سنة ، قال صدقت يا محمد ،

كم بين الملائكة وآدم ؟ قال : سبعة آلاف سنة ، قال صدقت يا محمد ، هل حج آدم بيت الله الحرام ؟ قال نعم ، قال يا محمد من كور رأس آدم ؟ قال جبريل كوره ، قال صدقت يا محمد هل اختتن آدم ، قال نعم ختن نفسه بيده .

قال فأخبرني يا محمد لم سميت الدنيا دنيا ؟ قال : لأنها خلقت دون الآخرة ولو خلقت مع الآخرة لم تفن كما لا تفنى الآخرة ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن القيامة لم سميت قيامة ؟ قال : لأن فيها قيام الخلائق للحساب ، قال صدقت يا محمد ، فالآخرة لم سميت آخرة ؟ قال : لأنها متأخرة بعد الدنيا لا توصف سنينها ولا تحصى أيامها ولا ينقضى أمدها ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أول يوم بدأ الله فيه خلق الدنيا ؟ قال : يوم الأحد قال لم سمى أحدا ؟ قال : لأنه خلق الواحد الأحد وأول الأيام ، قال صدقت يا محمد ، فالاثنين لم سمى اثنين ؟ قال : لأنه ثانى يوم من أيام الدنيا وكذلك الثلاثاء والأربعاء والخميس ، قال صدقت يا محمد ، فلم سميت الجمعة جمعة ، قال : لأنه يوم مجموع فيه الخلق وهو سادس يوم من أيام الدنيا ، قال صدقت يا محمد ، فالسبت لم سمى سبتا ؟ قال : هو يوم وكل فيه مع كل من المخلوقين ملكان عن يمينه وشماله يكتبان الحسنات والسيئات فالذى عن يمينه يكتب الحسنات والذى على شماله يكتب السيآت ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى أين مقعد الملكين من العبد وما قلمهما وما دواتهما وما لوحهما وما مدادهما ؟ قال صلى الله عليه وسلم يا ابن سلام : مقعدهما بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواتهما ريقه ولوحهما فؤاده يكتبان أعماله إلى مماته ، قال صدقت يا محمد .

أخبرنى كم طول القلم وكم عرضه وكم أسنانه وما مداده وما أثر مجراه ؟ قال : طول القلم خمسمائة عام له ثمانون سنا يخرج المداد من بين أسنانه ويجرى فى اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عز وجل قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرنى كم لله من نظرة فى خلقه فى كل يوم وليلة ؟ قال : ثلثمائة وستون نظرة فى كل نظرة يحيى ويميت ويمضى ويقضى ويرفع ويضع ويسعد ويشقى ويذل ويقهر ويغنى ويفقر قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى ما خلق الله بعد ذلك ؟ قال : خلق السماء السابعة مما يلى العرش وأمرها أن ترتفع إلى مكانها فارتفعت ثم خلق السادسة ثم الخامسة ثم الرابعة ثم الثالثة ثم الثانية ثم سماء الدنيا كذلك وأمر كلا منها فاستقرت بمكانها دون الأخرى قال صدقت يا محمد فما بال لون سماء الدنيا أخضر ؟ قال : اخضرت من لون جبل قٓ قال صدقت يا محمد ، فيم خلقت سماء الدنيا ؟ قال : خلقت من موج مكفوف ، قال يا محمد وما الموج المكفوف ؟ قال يا ابن سلام : ماء قائم لا اضطراب له ، قال صدقت يا محمد فلم سميت سماء ؟ قال : لأنها خلقت من دخان ، قال صدقت يا محمد .

أخبرنى عن السموات ألها أبواب ؟ قال نعم : وهى مقفلة ولها مفاتيح وهى مخزونة قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أبواب السماء ماهى ؟ قال من ذهب ، قال فما أقفالها ؟ قال : من نور ، قال فما مفاتيحها ؟ قال اسم الله الأعظم قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن طول كل سماء وعرضها وسمكها وارتفاعها وماسكانها ؟ قال : طول كل سماء خمسمائة عام وعرضها كذلك وسمكها كذلك وبين كل سماء إلى سماء كذلك وسكان كل سماء جند وصنوف من الملائكة لا يعلم عددها إلا الله تعالى . قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرنى عن السماء الثانية التى فوق سماء الدنيا مم خلقت ؟ قال : من الغمام ، قال فالثالثة مم خلقت ؟ قال : من زبرجدة خضراء ، قال فالرابعة ؟ قال : من ذهب أحمر ، قال فالخامسة ؟ قال : من ياقوتة حمراء ، قال فالسادسة ؟ قال : من فضة بيضاء ، قال فالسابعة ؟ قال : من نور ساطع ، قال صدقت يا محمد ، فما فوق السماء السابعة ؟ قال : بحر الحيوان ، قال فما فوقه ؟ قال :

بحر الظلمة ، قال فما فوقه ؟ قال : بحر النور ، قال فما فوقه يا محمد ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فوقه الحجب ، قال فما فوق الحجب ؟ قال : سدرة المنتهى ، قال فما فوق سدرة المنتهى ؟ قال : جنة المأوى ، قال صدقت يا محمد ، فما فوق جنة المأوى ؟ قال : حجاب المجد ، قال فما فوق حجاب المجد ؟ قال : حجاب الجبروت ، قال فما فوق حجاب الجبروت ؟ قال : حجاب العزة ، قال فما فوق حجاب العزة ؟ قال : حجاب العظمة ، قال فما فوق حجاب العظمة ؟ قال : حجاب الكبرياء ، قال فما فوق حجاب الكبرياء ؟ قال : الكرسي قال صدقت يا محمد ، لقد أوتيت علوم الأولين والآخرين وإنك لتنطق بالحق المبين .

فأخبرني ما فوق الكرسي ؟ قال : العرش العظيم . قال ما فوق العرش؟ قال تعالى الله علوا كبيراً أمره فوق العرش وعلمه تحت العرش . قال صدقت يامحمد ، هل يستوي مخلوق على العرش ؟ قال : معاذ الله يا ابن سلام الأدب الأدب . قال صدقت وأصبت .

أخبرني عن الشمس والقمر أهما مؤمنان أم كافران ، قال صلى الله عليه وسلم : هما مؤمنان طائعان مسخران تحت قهر المشيئة ، قال صدقت يامحمد قال فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور ؟ قال : لأن الله تعالى محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة نعمة من الله وفضلا ولولا ذلك لما عرف الليل من النهار قال صدقت يامحمد .

فأخبرني عن الليل لم سمي ليلا ؟ قال : لأنه منال الرجال من النساء جعله الله ألفة وسكنا ولباسا ، قال صدقت يامحمد . ولم سمي النهار نهارا ؟ قال : لأنه محل طلب الخلق لمعايشهم ووقت سعيهم واكتسابهم قال : صدقت يامحمد .

فأخبرني عن النجوم كم جزء هي ؟ قال : ثلاثة أجزاء : جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها إلى السماء السابعة ، وجزء منها في السماء الدنيا

كالقناديل المعلقة تضيء لسكانها وترمى الشياطين بشررها إذا استرقوا السمع والجزء الثالث منها معلق فى الهواء وهى تضيء على البحار وعلى ما فيها . قال صدقت يا محمد . ما بال النجوم تبين صغاراً وكباراً ؟ قال يا ابن سلام : لأن بينها وبين السماء بحاراً تضرب الريح أمواجها فيضطرب فتبين صغاراً وكباراً ومقادير النجوم كلها واحدة . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى كم بين السماء والأرض من ريح ؟ قال يا ابن سلام : ثلاث الريح العقيم التى أرسلت على قوم عاد وهى ريح سوداء مظلمة يعذب الله بها من يشاء من أهل النار ، وريح أحمر يعذب الله بها الكفار يوم القيامة وريح أهل الأرض تغذو فى جوانبها ولولا تلك الريح لاحترقت الأرض والجبال من حر الشمس قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن حملة العرش كم هم صفا ؟ قال ثمانون صفا كل صف منها طوله ألف ألف فرسخ وعرضه خمسمائة عام رءوسهم تحت العرش وأقدامهم تحت الأرض السابعة ولو كان طائر يطير من أذن أحدهم اليمنى إلى اليسرى ألف سنة من سنى الدنيا لم يبلغ مدى ذلك ولهم ثياب من در وياقوت شعورهم كالزعفران وطعامهم التسبيح وشرابهم التهليل ومنها صف نصفه من ثلج ونصفه من نار ومنها صف نصفه رعد ونصفه برق ومنها صف نصفه من ماء ونصفه من مدر ومنها صف نصفه من ماء ونصفه من ريح . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن طائر ليس له فى السماء ملجأ ولا فى الأرض مأوى ماهو ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك حيات بيض أعرافها كأعراف الخيل تبيض فى الجو على أذنابها وتفرخ فى الهواء إلى يوم القيامة . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن مولود أشد من أبيه ؟ قال يا ابن سلام : ذلك الحديد ولد من الحجر وهو أشد من الحجر . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن بقعة أصابتها الشمس مرة واحدة فلا تعود إلى يوم القيامة إليها، قال : ذلك الموضع الذى أغرق الله فيه فرعون حين انفلق البحر وانطبق عليه قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن بيت له اثنا عشر بابا خرج منه اثنتا عشرة عينا لاثنى عشر قوما ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم إن أخى موسى عليه السلام لما جاوز ببنى اسرائيل البحر ودخل بهم إلى البرية شكوا اليه العطش فمر بحجر مربع فأوحى الله عز وجل إليه أن اضرب بعصاك الحجر فضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لاثنى عشر سبطا من بنى إسرائيل قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن شىء لا من الجن ولا من الانس ولا من الطير ولا من الوحش أنذر قومه ؟ قال يا ابن سلام : النملة أنذرت قومها حين قالت : ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عمن أوحى الله إليه من الأرض ؟ قال : أوحى الله إلى طور سيناء أن يرفع موسى نحو السماء ليأخذ الألواح المنزلة عليه قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن مخلوق أوله عود وآخره روح ؟ قال : ذلك عصا موسى ابن عمران عليه السلام أمره الله أن يلقيها فى بيت المقدس فألقاها فاذا هى حية تسعى قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن ثلاث ذكور لم يولدوا من فحل ؟ قال : هم آدم عليه السلام وعيسى بن مريم عليهما السلام ، وكبش اسماعيل عليه السلام . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن وسط الدنيا أى موضع هو ؟ قال : بيت المقدس . قال كيف ذلك ؟ قال لأن فيه الحشر والصراط والميزان قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن الفلك المشحون ؟ قال صلى الله عليه وسلم السفن المبنية أما قرأت فى التوراة ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ . قال ما الألواح ؟

قال : الأشجار التى شقت طولا هى الألواح والدسر المسامير والعوارض من الحديد قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى كم كان طول سفينة نوح عليه السلام وكم كان عرضها وارتفاعها قال يا ابن سلام : كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها مائة وخمسون ذراعا ، وارتفاعها مائتا ذراع . قال صدقت يا محمد فمن أين ركبها نوح عليه السلام قال : من العراق . قال وأين بلغت ؟ قال : طافت بالبيت العتيق أسبوعا وبالبيت المقدس أسبوعا ، واستوت على الجودى . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن البيت المعمور أين كان لما أغرق الله الدنيا ؟ قال : لما أغرق الله الدنيا رفع البيت الحرام من الأرض إلى السماء السابعة ، ومن ثم سمى البيت المعمور قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى أين كانت الصخرة وبيت المقدس وقت الطوفان ؟ قال : أودعهما الله عز وجل فى بطن جبل أبى قبيس . قال صدقت يا محمد .

قال أخبرنى يا محمد عن المولود الذى لم يشبه أباه وربما أشبه خاله أو عمه ؟ قال : إذا جامع الرجل امرأته فان غلبت شهوة الرجل شهوة المرأة خرج الولد بأبيه أشبه وإن غلبت شهوة المرأة شهوة الرجل خرج الولد بأمه أشبه ، وإن استويا خرج شبيها بهما ، وإن سبقت شهوة الرجل خرج الولد بعمه أشبه ، وإن سبقت شهوة المرأة كان الولد بخاله أشبه . قال صدقت يا محمد ، هل يعذب الله خلقه بلا حجة ؟ قال : معاذ الله إن الله تبارك وتعالى ملك عادل لاجور فى قضائه قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أطفال المشركين أين يكونون أفى الجنة هم أم فى النار ؟ قال يا ابن سلام : الله أولى بهم إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلق لفصل القضاء أمر الله تعالى بأطفال المشركين فيؤتى بهم فيقول لهم عزوجل عبادى وأبناء عبادى وإمائى من ربكم ومادينكم وما عملكم ؟ فيقولون اللهم أنت ربنا وأنت خالقنا ولم نك شيئاً وأمتنا ولم تجعل لنا ألسنة تنطق بها ، ولا عقولا

نعقل بها ولا قوة فى الأعضاء نتعبد بها ولا علم لنا إلا ما علمتنا فيقول الله عز وجل فالآن لكم ألسنة وعقول وقوة للحركة فى الأعضاء فان أمرتكم ياعبادى بأمر تفعلونه ؟ فيقولون إلهنا تباركت وتعاليت لك السمع والطاعة مرنا بما شئت فيأمر الله ملكا فيزجر جهنم حتى تفور ويأمر بأطفال المشركين أن يلقوا فيها فمن كان منهم قد سبق فى علم الله له السعادة ألقى بنفسه فى الحال بلا إمهال فتكون النار عليه برداً وسلاما كما كانت على إبراهيم عليه السلام ومن سبق فى علم الله له الشقاوة وامتنع من إلقاء نفسه فى النار فأولئك يتبعون آباءهم . والفرقة الأخرى يخرجون إلى الجنة مع المؤمنين . قال صدقت وبررت وبينت وأزلت الشك يامحمد فزدنى يقينا .

فأخبرنى عن الأرض لم سميت أرضاً ؟ قال : لأنها أرض يداس عليها قال صدقت يامحمد . فمم خلقت ؟ قال : من الزبد . فالزبد مم خلق ؟ قال : من الموج . قال فالموج مم خلق ؟ قال : من البحر قال صدقت يامحمد . فكيف كان ذلك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل لما خلق البحر أمر الريح أن يضرب الأمواج بعضها فى بعض فاضطربت الأمواج حتى ظهر الزبد فأمره أن يجتمع فاجتمع ثم أمره أن يلين فلان ثم أمره أن يعتدل فاعتدل ثم أمره أن يمتد فامتد فسطحها أرضا ومهدها . قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرنى بم أمسكها ؟ قال : بجبل قاف المحيط بالعالم وهو أصل أوتاد الأرض التى نحن عليها . قال صدقت يامحمد .

قال فأخبرنى ما تحت هذه الأرض ؟ قال : تحتها ثور والثور على صخرة . قال وما صفة ذلك الثور ؟ قال : له أربع قوائم وأربعون قرنا وأربعون سناما ، رأسه بالمشرق ، وذنبه بالمغرب ، ومسيرة ما بين قرن وقرن من قرونه خمسون ألف سنة قال صدقت يامحمد .

فأخبرنى ما تحت الصخرة التى عليها الثور ؟ قال : تحتها جبل يقال له

صعود . قال ولمن أعد ذلك الجبل يوم القيامة ؟ قال : لأهل النار يصعده المشركون في النار في مدة خمسين ألف سنة حتى إذا بلغوا أعلاه نفضهم الجبل فيتساقطون إلى أسفله ويسحبون على وجوههم قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ماتحت ذلك الجبل ؟ قال : أرض . قال وما اسمها ؟ قال: هاوية . قال وما تحتها ؟ قال : بحر . قال وما اسمه ؟ قال : السهيل ، قال صدقت يامحمد. فما تحت ذلك البحر؟ قال : أرض . قال وما اسمها ؟ قال ناعمة . قال وماتحتها ؟ قال : بحر . قال وما اسمه ؟ قال الزاخر ، قال وما تحته ؟ قال أرض ، قال وما اسمها ؟ قال فسيحة ، قال فصف لي يامحمد تلك الأرض ؟ فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن سلام : هي أرض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعفران يحشر عليها المتقون يوم القيامة قال صدقت يامحمد

فأخبرني أين تكون هذه الأرض التي نحن عليها اليوم ؟ قال صلى الله عليه وسلم تبدل بأرض غيرها قال صدقت يامحمد .

فأخبرني ما تحت الأرض ؟ قال : بحر . وما اسمه ؟ قال القمقام ، قال وما فيه ؟ قال النون ، قال وما النون يا محمد ؟ قال الحوت ، قال وما اسمه ؟ قال بهموت ، قال صدقت يامحمد فصف لي الحوت ؟ قال يا ابن سلام رأسه بالمشرق وذنبه بالمغرب . قال فما على ظهره ؟ قال الأراضي والبحار والظلمات والجبال . قال فمابين عينيه ؟ قال بين عينيه سبعة أبحر في كل بحر سبعون ألف مدينة في كل مدينة سبعون ألف ملك قال فما يقولون ؟ قال يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قال صدقت يامحمد .

فاخبرني ما تحت الحوت ؟ قال : ريح تحمل الحوت باذن الله تعالى قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ماتحت الريح ؟ قال : الظلمة قال فما تحت الظلمة ؟ قال الثرى :قال وما تحت الثرى؟قال لايعلم ذلك إلا الله تبارك وتعالى قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن ثلاث رياض فى الدنيا هن من رياض الجنة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولها مكة وثانيها بيت المقدس وثالثها يثرب هذه . قال صدقت يا محمد . ثم قال عبد الله بن سلام يا محمد أخبرنى عن أربع مدن من مدائن الجنة فى الدنيا ؟ قال : أولها إرم ذات العماد . الثانية المنصورة من بلاد الهند . الثالثة قيسارية بساحل بحر الشام . الرابعة البلقاء من أرض أرمينية . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أربع منابر من منابر الجنة فى الدنيا ؟ قال : أولها القيروان وهى أفريقية بالمغرب . الثانية باب الأبواب من أرمينية . الثالثة عبادان بأرض العراق . الرابعة خراسان خلف نهر جيحون . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أربع مدن من مدائن جهنم فى الدنيا ؟ قال : أولها مدينة فرعون فى أرض مصر . الثانية انطاكية بأرض الشام . الثالثة بأرض سيحان من أرمينية . الرابعة المدائن من العراق . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أربعة أنهار فى الدنيا من أنهار الجنة ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : أولها الفرات وهو فى حدود الشام . الثانى بأرض مصر وهو النيل . الثالث نهر سيحان وهو نهر الهند . الرابع جيحان وهو بأرض بلخ . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن شىء لاشىء وعن شىء بعض شىء وعن شىء لا يفنى منه شىء ؟ قال يا ابن سلام : أما شىء لاشىء فهى الدنيا يذهب نعيمها ويموت أهلها ويخمد ضوؤها ، وأما شىء بعض شىء فوقوف الخلائق فى صعيد واحد للحساب وأما شىء لا يفنى منه شىء فهى الجنة لا يفنى نعيمها والنار لا ينقضى عذابها . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن جبل قاف وما خلفه وما دونه ؟ قال صلى الله عليه وسلم خلفه أرض من ذهب وسبعون أرضاً من فضة وسبعة أراض من مسك .

قال فما سكان هذه الأراضى ؟ قال الملائكة . قال كم طول كل أرض ، وكم عرضها ؟ قال : طول كل أرض عشرة آلاف عام وعرضها كذلك . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى ما وراء ذلك ؟ قال : حجاب من الريح . قال فما وراء ذلك ؟ قال : كنف محيط بالدنيا كلها . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أهل الجنة يأكلون ويشربون فكيف لا يبولون ولا يتغوطون وما مثل ذلك فى الدنيا ؟ قال : مثله فى الدنيا الجنين الذى فى بطن أمه يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب ولا يبول ولا يتغوط ، ولو بال أو راث لانشق بطن أمه ولماتت أمه من تصاعد بخار ذلك إليها . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أنهار الجنة ما هى ؟ قال يا ابن سلام : من لبن لم يتغير طعمه وخمر وماء وعسل مصفى . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى أجامدة هى أم جارية ؟ قال بل جارية بين أشجار وثمار ورياض فقال هل تنقص تلك الأنهار أم تزيد ؟ قال لا تنقص ولا تزيد . قال فهل لذلك مثل فى الدنيا ؟ قال نعم : أما تنظر إلى البحار وما ينزل فيها من الأمطار وما يمدها من الأنهار من منذ خلقت إلى الآن ولا يؤثر فيها زيادة ولا نقصانا . قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرنى بأسماء أنهار الجنة وصفاتها ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : فى الجنة نهر يقال له الكوثر رائحته أطيب من المسك الأذفر والعنبر حصباؤه الدر والجوهر والياقوت الأحمر عليه خيام من اللؤلؤ الأبيض وهو منزل أولياء الله تعالى . قال صدقت يا محمد . فصف لى أشجار الجنة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ابن سلام : فى الجنة شجرة يقال لها طوبى أصلها در وأغصانها من زبرجد وثمرها من جوهر ، ليس فى الجنة غرفة ولا حجرة ولا قصر ولا خيمة إلا وهى مظلة عليها . قال صدقت يا محمد ، فهل في الدنيا

لها من مثيل ؟ قال نعم : الشمس المشرقة تشرق على بقاع الدنيا ولايخلو من شعاعها مكان . قال صدقت يا محمد ، فهل فى الجنة ريح قال يا ابن سلام : ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها الحياة واللذة لأهل الجنة ويقال لها البهاء فاذا اشتاق أهل الجنة أن يزوروا ربهم فى الجنة هبت تلك الريح عليهم تنفخ فى وجوههم النور والنضرة والسرور وتطيب قلوبهم ويزدادون نوراً على نورهم وتضرب أبواب الجناب وحلق المصاريع وتسبح الأنهار بخريرها ، والأطيار بتغريدها ، والأغصان بتصفيقها فلو أن من فى السموات والأرض قيام يستمعون لتلك اللذة لماتوا جميعاً من طيبها وشوقا إلى مشاهدتها والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار دار الثواب . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أرض الجنة ماهى ؟ قال يا ابن سلام أرضها ذهب وترابها مسك وعنبر ، ورياضها الدر والياقوت والزعفران ، وسقفها عرش الرحمن قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن طعام أهل الجنة إذا دخلوها ؟ قال : يأكلون من كبد الحوت الذى يحمل الدنيا والأراضى والجبال واسمه بهموت . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أهل الجنة كيف ينصرف ما يأكلون من ثمارها وأطيارها من أجوافهم ؟ قال يا ابن سلام ليس يخرج شىء من أجوافهم بل يعرقون عرقاً طيباً أطيب من المسك وأعبق من العنبر ولو أن عرق رجل من أهل الجنة مزج به البحار لعطر ما بين السماء والأرض من طيب ريحه . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن لواء الحمد ما صفته وكم طوله وارتفاعه ؟ قال يا ابن سلام : طوله ألف سنة أسنانه من ياقوتة حمراء وياقوتة خضراء قوائمه من فضة بيضاء له ذوائب من نور ذؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، والثالثة بوسط الدنيا . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن الأسطر المكتوبة عليه وكم عدة ذلك ؟ قال : ثلاثة أسطر الأول بسم الله الرحمن الرحيم . الثانى الحمد لله رب العالمين . الثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن الجنة والنار وأيهما خلق قبل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة خلقت قبل النار ولو خلقت النار قبل الجنة لسبق العذاب الرحمة قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن الجنة أين هى ؟ قال : فى السماء السابعة والنار فى تخوم الأرض السفلى . قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى كم للجنة من باب وكم للنار من باب ؟ قال : للجنة ثمانية أبواب وللنار سبعة أبواب . قال وكم بين الباب والباب من الجنة ؟ قال ألف سنة . قال وكم ارتفاعها ؟ قال خمسمائة عام ، وعلى شرفاتها سرادق من ذهب بطانته من الزمرد ، وعلى كل باب جند من الملائكة لايحصى عددهم إلا الله تبارك وتعالى . قال فما تقول تلك الملائكة ؟ قال . يقولون طوبى لأهل الجنة وما يلقون من النعيم وكرامة الله تعالى . قال فى أى الأعمار وأى الصفات يدخل أهل الجنة الجنة ؟ قال يدخلونها أبناء ثلاث وثلاثين فى حسن يوسف عليه السلام ، وطول آدم ، وخلق محمد صلى الله عليه وسلم . قال فصف لى بعض نعيم أهل الجنة ؟ قال : إن أدنى ما فى الجنة وليس فى الجنة دنىء لو نزل به جميع من فى الأرض من العوالم لوسعهم طعاما وشرابا وفاكهة وقرى ولم ينقص مما لديه شىء ، ولو أن رجلا من أهل الجنة بصق فى البحار المالحة لعذبت ، ولو أدلى ذؤابة من ذوائبه من السماء إلى الأرض لغلب ضوؤها ضوء الشمس ونور القمر . قال صدقت يا محمد . فصف لى الحور العين ؟ قال يا ابن سلام : الحور العين بيض كاللؤلؤ مشربات بحمرة الياقوت الأحمر قال صدقت يا محمد . صف لى النار ؟ قال يا ابن سلام : إن النار أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ، وألف سنة حتى ابيضت ، وألف سنة حتى اسودت

فهى سوداء مظلمة ممزوجة بغضب الله لا يهدأ لهبها ، ولا يخمد جمرها . يا ابن سلام لو أن جمرة من جمرها ألقيت فى دار الدنيا لألهبت ما بين المشرق والمغرب من حرارة جمرها وعظم خلقها ، وهى سبع طباق : الطبقة الأولى للمنافقين ، والثانية للمجوس ، والثالثة للنصارى ، والرابعة لليهود ، والخامسة سقر ، والسادسة السعير . وأمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن ذكر السابعة وبكى حتى جرت دموعه على لحيته الكريمة ثم قال : وأما السابعة وهى أهونها لأهل الكبائر من أمتى . قال صدقت وبررت يا محمد .

فأخبرنى عن يوم القيامة وكيف تقوم الخلائق ؟ قال يا ابن سلام : إذا كان يوم القيامة كورت الشمس واسودت وطمست النجوم وخمدت وانتثرت وسيرت الجبال وعطلت العشار وبدلت الأرض غير الأرض ، قال صدقت يا محمد . كيف تقوم الخلائق ؟ قال رسول صلى الله عليه وسلم : يقيم الله الخلائق لفصل القضاء ، يمد الصراط وينصب الميزان وينشر الدواوين ويبرز الرب للحكم بين الخلائق ، قال صدقت يا محمد . فكيف يميت الخلائق إذا قامت الساعة ؟ قال يأمر ملك الموت فيقف على صخرة بيت المقدس ويضع يمينه على السموات ويده اليسرى تحت الثرى ويصيح بهم صيحة عظيمة وينفخ صاحب الصور فى صوره فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا إنس ولا جان وطير ولا وحش إلا خر ميتا ميتة رجل واحد فتبقى السموات خالية من سكانها والأرض عاطلة من قطانها والعشار معطلة والبحار جامدة والجبال مدكدكة والشمس منكسفة والنجوم منطمسة ، قال صدقت يا محمد . فأخبرنى عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا ؟ قال يا ابن سلام : إذا أمات الله الخلائق ولم يبق شىء له روح يقول الله لملك الموت من بقى من خلق وهو أعلم بمن بقى فيقول يا رب أنت أعلم لم يبق إلا عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله يا ملك الموت قد أذقت رسلى وأنبيائى وأوليائى وعبادى الموت وقد سبق فى علمى القديم وأنا علام الغيوب أن كل شىء هالك إلا وجهى وهذه نوبتك فيقول

إلهى ارحم عبدك ملك الموت فانه ضعيف وأنت ألطف به فيقول سبحانه ضع يمينك تحت خدك الأيمن واضطجع بين الجنة والنار ومت ، قال عبد الله ابن سلام بأبى أنت وأمى يا محمد وكم بين الجنة والنار ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : مسيرة ثلاثة آلاف سنة من سنى الدنيا فيضطجع ملك الموت بين الجنة والنار على يمينه ويضع يده اليمنى تحت خده واليسرى على وجهه ويصرخ صرخة فلو أن أهل السموات والأرض أحياء لماتوا من شدة صرخته ، قال صدقت يا محمد . فما يصنع الله بالسموات إذا مات سكانها ؟ قال يطويها بيمينه كطى السجل للكتاب ثم يقول جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره ولا معبود سواه : أين الملوك الجبابرة أين مدعى الملك والقوة فلا يجيبه أحد ثم يقول ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فلا يجيبه أحد فيرد سبحانه على ذاته المقدسة ﴿ لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى كيف يحشر الله الخلائق بعد موتهم ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ابن سلام : يحيى الله إسرافيل وهو أول من يحيا من المقربين وهو صاحب الصور فيأمره أن ينفخ فى الصور نفخة البعث ، قال ابن سلام : فما يقول إسرافيل فى الصور ؟ قال صلى الله عليه وسلم : يقول أيتها العظام البالية النخرة والأوصال المتفرقة المنفصلة هلموا للعرض على الله هلموا إلى جبار السموات والأرض ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، قال فكم طول كل نفخة ؟ قال : مدة أربعين سنة ، قال فكم كلمة يتكلم إسرافيل فى الصور وقت النفخ ؟ قال : ست كلمات الكلمة الأولى يكون الناس طينا الثانية يكونون صورا الثالثة تستوى الأبدان الرابعة تجرى الدماء فى العروق الخامسة تنبت الشعور السادسة قوموا فاذا هم قيام ينظرون ، قال صدقت يا محمد . فكيف تقوم الخلائق يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم يا ابن سلام : يقومون حفاة عراة وألسنتهم جافة وبطونهم مظلمة وأبصارهم

وجلة قال الرجال ينظرون إلى النساء والنساء ينظرون إلى الرجال قال هيهات يا ابن سلام ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ من شدة هول يوم القيامة قال صدقت يا محمد. ثم أمسك ابن سلام عن الكلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم سل عما شئت ولا تهب . فقال الحمد لله الذى منّ على بالنظر إلى وجهك يا محمد وأهلنى لخطابك .

فأخبرنى إذا كان يوم القيامة أين يحشر الله الخلائق؟ قال : يحشرون إلى بيت المقدس ، قال وكيف ذلك ؟ قال : يأمر الله عز وجل نارا فتحيط بالدنيا وتضرب وجوه الخلائق فيهربون ويمرون على وجوههم فيجتمعون إلى بيت المقدس ، قال صدقت يا محمد . فما يصنع الله بالطفل الصغير والشيخ الكبير؟ قال : من كان مؤمنا سارت به الملائكة وانتفضت النار عن وجهه ومن كان كافرا تلفح وجهه النار حتى يؤتى به إلى بيت المقدس ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى كم تكون يومئذ صفوف الخلائق ؟ قال يا ابن سلام : مائة وعشرين صفا ، قال كم طول كل صف وكم عرضه ؟ قال طوله مسيرة أربعين ألف سنة وعرضه عشرون ألف سنة ، قال صدقت يا محمد . كم صف من المؤمنين وكم صف من الكافرين ؟ قال : المؤمنون ثلاثة صفوف ، ومائة وسبعة عشر صفا للكافرين ، قال صدقت يا محمد . فما صفة المؤمنين وما صفة الكافرين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما المؤمنون فغرّ محجلون من أثر الوضوء والسجود وأما الكافرون فسود الوجوه يأتون الصراط قال وكم طول الصراط ؟ قال : مسيرة ثلاثين ألف سنة ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى كيف تمر الخلائق على الصراط ؟ فقال : يكسو الله الخلائق نورا فأما نور المسلمين والمؤمنين والموحدين فمن نور العرش ونور الملائكة من نور الكرسى فلا يطفأ لهم نور أبدا وأما الكافرون فمن نور الأرض ونور الجبال ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى عن أول فئة تجوز على الصراط من هم ؟ قال : المؤمنون ،

قال صدقت يا محمد . فصف لى ذلك ، قال يا ابن سلام : من المؤمنين من يجوز فى عشرين عاما على الصراط فاذا بلغ أولهم الجنة تدلت الكفار على الصراط حتى إذا توسطوا أطفأ الله نورهم فيبقون بلا نور فينادون بالمؤمنين ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ أليس فيكم الآباء والأصحاب والاخوان ﴿ ألم نكن معكم ﴾ فى دار الدنيا ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير ﴾ ويقال لهم ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور ﴾ ويأمر الله جهنم فتصيح بهم من تحتهم صيحة فيسقطون على وجوههم ورءوسهم فى النار حيارى نادمين وتنجو عصابة المؤمنين ببركة الله ولطفه بهم ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى ما يصنع الله بالموت حينئذ ؟ قال فاذا صار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار أتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال لأهل الجنة يا أولياء الله هذا الموت هل تعرفونه فيقولون نعرفه يا ملائكة ربنا اذبحوه حتى لا يكون موت أبدا ويقولون لأهل النار يا أعداء الله هذا الموت هل تعرفونه فيقولون نعرفه فتقول الملائكة نذبحه فيقولون يا ملائكة ربنا لا تذبحوه ودعوه لعل الله يقضى علينا بموت فنستريح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذبح الموت بين الجنة والنار فييأس أهل النار من الخروج منها وتطمئن أهل الجنة بالخلود فيها فعند ذلك قال ابن سلام صدقت يارسول الله .

ونهض قائما على قدميه وقال : امدد يدك الكريمة لتشملنى بركتها فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك محمد رسول الله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الحساب حق وأن الثواب حق وأن ما أخبرت به حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، فكبرت الصحابة رضى الله عنهم عند ذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام وصار من

أكابر الصحابة رضى الله عنهم ونقمة على اليهود .

تمت المسائل بحمد الله وعونه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وهذه نبذة منقولة من كتاب البدء لأبى زيد البلخى رحمه الله تعالى

فصل فيما ذكر فى المدة قبل خلق الخلق

روى حماد بن زيد عن طاوس عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قالت بنو إسرائيل لموسى بن عمران عليه السلام : سل ربك منذ كم خلق الدنيا ؟ فقال موسى : يارب أما تسمع ما يقول عبادك ؟ فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه ، يا موسى إنى خلقت أربعة عشر ألف مدينة من فضة وملأتها خردلا وخلقت لها طيرا وجعلت رزقه كل يوم حبة من ذلك الخردل فأكل الخردل حتى فنى مافى الخزائن ومات الطير بعد استيفاء رزقه ثم خلقت الدنيا فقيل لابن عباس فأين كان عرشه ؟ قال على الماء ، فقيل فأين كان الماء ؟ قال على متن الريح .

وروى مثل هذا عن طاوس مرفوعا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال هذا شىء غامض صعب موكول إلى علم الله تعالى إذ ليس يدرى ما الذى كان قبل هذا الخلق أمثل هذا الخلق أم على خلافهم وهل يعيد الدنيا بعد فناء هذه الدنيا أم لا ، والأخبار واردة بأشياء عجيبة والقدرة صالحة لأضعاف أضعاف ذلك .

وزعم بعض الناس أنه عد قبل آدم هذا الذى تنسب إليه ألف آدم ومائتى آدم والله أعلم وكله جائز لكونه تحت الامكان ودخل فى حد الايجاد ، فأما الذى لا يسوغ القول إلا به ولا يلزم إلا اعتقاده انفراد الله سبحانه جل جلاله عن خلقه سابقا من غير شريك ولا جوهر قديم وإبداعه الأشياء لا من شىء سبحانه لا إله إلا هو .

ذكر مدة الدنيا واختلاف الناس فيها

قال الله تعالى: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ فزعم قوم أن مدة الدنيا ستة آلاف سنة مكان كل يوم ألف سنة. روى عن كعب الأحبار رضي الله عنه: إن الله وضع الدنيا على سبعة أيام مكان كل يوم ألف سنة. وروى أبو المقوم الانصارى، عن ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة. وروى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأبان عن عكرمة في قوله تعالى: (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هي الدنيا من أولها إلى آخرها، وجاء في خبر آخر: أنه مائة ألف سنة وخمسون ألف سنة.

قال البلخي رحمه الله: أخبرني هربذ المجوس وهو أعلم من الموبذان بفارس أن في كتاب لهم أن مدة الدنيا أربعة أرباع، فأولها ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة عدد أيام السنة وقد مضت، والربع الثاني ثلاثون ألف سنة عدد أيام الشهر وقدمضت أيضا. والربع الثالث اثناعشر ألف سنة عدد شهور السنة وقد مضت أيضا. والربع الرابع سبعة آلاف سنة عدد أيام الأسبوع ونحن فيها.

قال البلخي رحمه الله: وجدت في كتاب رواية عن وهب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم: سئل منذ كم خلقت الدنيا، فقال: أخبرني ربي أنه خلقها منذ سبعمائة ألف سنة إلى اليوم الذي بعثني فيه رسولا إلى الناس، وزعم أيضا أن مما يدل على ذلك ما جاء في الخبر، أن إبليس عبد الله قبل أن يخلق آدم خمسة وثمانين ألف سنة وخلق بعد ما خلق السموات والأرض من المدد ما شاء الله والله سبحانه وتعالى بغيبه أعلم.

ذكر ما وصف من الخلق قبل آدم عليه السلام

روى في الحديث «إن كل شيء خلقه الله من الخلق كان قبل آدم وإن آدم وجد بعد إيجاد الخلق لأنه خلق آدم آخر الأيام التي خلق فيها الخلق». وروى

بقية بن الوليد ، عن محمد بن نافع ، عن محمد بن عبد الله بن عامر المكى أنه قال : خلق الله خلقه من أربعة أشياء الملائكة من نور والجان من نار والبهائم من ماء وآدم من طين وذريته كذلك بالتبعية فجعل سبحانه الطاعة فى الملائكة والبهائم لأنهما من النور والماء وجعل المعصية فى الجن والانس لأنهما من الطين والنار .

وروى عن شهر بن حوشب أنه قيل : خلق الله فى الأرض خلقا وأسكنهم فيها ، ثم قال لهم : ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ فما أنتم صانعون ؟ قالوا نعصيه فلا نطيعه ، فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم ، ثم خلق الجن فأمرهم بعمارة الأرض فكانوا يعبدون الله حق عبادته حتى طال عليهم الأمد فعصوا وقتلوا نبيا لهم يقال له يوسف وسفكوا الدماء ، فبعث الله عليهم من الملائكة جندا وجعل عليهم إبليس رئيسا ، وكان اسمه عزازيل فأجلوهم عن الأرض وألحقوهم بجزائر البحور وسكن إبليس ومن معه من الملائكة الأرض فهانت عليهم العبادة وأحبوا المكث فيها ، فقال الله عز وجل لهم : ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ فصعب عليهم العزل ومفارقة المألوف و﴿قالوا أتجعل فيها﴾ على طريق الاستفهام من الله سبحانه ﴿من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن الله تعالى لما خلق الجان من نار السموم جعل منهم المؤمن والكافر ، ثم بعث إليهم رسولا من الملائكة وذلك قوله تعالى : ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ قال فقاتل الملك المرسل بمؤمنى الجن كفارهم فهزموهم وأسروا إبليس وهو غلام وضىء اسمه الحرث أبو مرة فصعدت الملائكة به إلى السماء ونشأ بين الملائكة فى الطاعة والعبادة وخلق الله خلقا فى الأرض فعصوه فبعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة فنفوهم عن الأرض ، ثم خلق الله آدم فأشقى إبليس وذريته به

وزعم بعضهم أنه كان قبل آدم فى الأرض خلق لهم لحم ودم واستدلوا بقوله : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ فلم يتزلوا ذلك إلا عن

معاينة ، واحتجوا أيضا بقول جويبر إنهم كانوا خلقا فبعث إليهم نبي اسمه يوسف فقتلوه والذين سكنوا الأرض قبل آدم ثلاث أمم الذين إبليس من نسلهم والذين قتلوا نبيهم يوسف والذين أجلاهم إبليس من الأرض مع ماقيل إنه كان قبل آدم ألف آدم ومائتا آدم ونوح آخر الآدميين ، وروى أن آدم لما خلق قالت له الأرض يا آدم جئتنى بعد ما ذهبت جدتى وشبابى وقد خلقت ، قال عدى بن زيد مفردا :

قضى لستة أيام خلائقه　　وكان آخر شيء صور الرجلا

ذكر عدد العوالم كم هى

منقول من المشارع للرقى فى عدد العالمين ثمانية أقوال :

الأول : أنهم مائة وثمانية وعشرون عالما ، قال الضحاك : ثمانية وستون عالما حفاة عراة لا يدرون من خلقهم ، وستون عالما يلبسون الثياب .

الثانى : ألف عالم ، عن سعيد بن المسيب ، قال الله تعالى ألف عالم ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر .

الثالث : ثمانيه عشر ألف عالم ، قال وهب : لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمارة فى الخراب إلا كفسطاط فى الصحراء يعنى أن المعمور من الأرض بالحيوان هو القليل كالخيمة المضروبة فى الفلاة .

الرابع : أربعون ألفا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : إن لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد .

الخامس : سبعون ألفا عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فى قوله تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الذى فيه الروح ، قال والجن والانس عالم والملائكة والكروبيون عالم وسبعون ألف عالم سوى ذلك لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى .

السادس : ثمانون ألفا قال مقاتل بن حبان العالمون ثمانون ألف عالم أربعون

الف عالم فى البر وأربعون ألف عالم فى البحر .

السابع : أن الرؤساء المتبوعين ثمانية عشر ألفا والأتباع لا يحصون . عن أبى بن كعب رضى الله عنه ، قال : العالمون ثمانية عشر ألف ملك منهم أربعة آلاف وخمسمائة بالمشرق وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالكنف الثالث من الدنيا وأربعة آلاف بالكنف الرابع من الدنيا مع كل ملك من الأعوان ما لا يعلم عدده إلا الله ومن ورائهم أرض بيضاء كالفضة عرضها مسيرة الشمس أربعين يوما ولا يعلم طولها إلا الله مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زجل بالتسبيح والتهليل لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته فهم العالمون منتهاهم العرش .

الثامن : أن عددهم لا يحصى ، قال كعب لا يحصى عدد العالمين إلا الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ وقال مقاتل بن سليمان لو فسرت العالمين لاحتجت إلى ألف مجلد كل مجلد ألف ورقة والله تعالى أعلم .

ذكر التواريخ من لدن آدم عليه السلام

روى عبد الله بن أبى قتيبة فى كتاب المعارف أن آدم عاش ألف سنة ، وكان بين موته والطوفان ألفا سنة ومائتا سنة ، واثنتان وأربعون سنة ، وبين الطوفان وموت نوح ثلثمائة وخمسون سنة وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام ألفا سنة وأربعون سنة ، وبين إبراهيم وموسى تسعمائة سنة ، وبين موسى وداود خمسمائة سنة ، وبين داود وعيسى ألف سنة ومائتا سنة ، وبين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ستمائة سنة وعشرون سنة فيكون من عهد آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة آلاف سنة وثمانمائة سنة ، ومن مولد النبى صلى الله عليه وسلم إلى عامنا هذا ثمانمائة وثلاث وستون سنة فيكون جملة التاريخ من عهد آدم إلى يومنا هذا وهو عام ثمانمائة واثنين وعشرين سنة من الهجرة ثمانية آلاف سنة وستمائة سنة وثلاثا وستين سنة .

ذكر ما جاء فى أشراط الساعة

روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، والحديث طويل فى آخره وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقى منها شىء ، فقال صلى الله عليه وسلم لم يبق من الدنيا إلا كما بقى من يومكم هذا » .

وروى عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنما مثلى ومثلكم كقوم خافوا عدوا فبعثوا ربئية لهم فلما فارقهم اذا هو بنواصى الخيل فخشى أن يسبقه العدو إلى أصحابه فلمع بثوبه وقال يا صباحاه وإن الساعة كادت أن تسبقنى إليكم » .

وعن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه ، قال « أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نذكر الساعة ، فقال أما إنها لاتقوم حتى تكون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وثلاث خسوفات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر فيقال غدت النار فاغدوا وراحت النار فروحوا وتغدو وتروح ولها ماسقط .

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذ عملت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إذا اتخذوا المغانم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم العلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وأدنى صديقه وأقصى أباه وأمه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور ولبس الحرير ولعن آخر الأمة أولها فتوقعوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا » .

وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما «أن جبريل عليه السلام ، لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن أمر الدين ، فقال متى الساعة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال ما أمارتها ؟ قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . وعن عمر رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله رفع إلىّ الدنيا وأنا أنظر إليها وإلى ماهو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفى هذا » ، ومنه خبر الهاشمى والسفيانى والقحطانى والترك والحبشة والدجال ويأجوج ومأجوج وخروج الدابة والدخان ونفخة الصور وعيسى وطلوع الشمس من مغربها .

ذكر الفتن والكوائن فى آخر الزمان

عن أبى إدريس الخولانى عن حذيفة بن اليمان قال : أنا أعلم الناس بكل فتنة كائنة إلى يوم القيامة ومابى أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرّ لى فى ذلك شيئا لم يحدث به غيرى ولكنه حدث مجلسا أنا فيه عن الكوائن والفتن التى يكون منها صغار وكبار فذهب أولئك الرهط غيرى وعن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعدد ستا بين يدى الساعة أولهن موتى ، فاستبكيت حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكتنى . ثم قال : قل إحدى فقلت إحدى ، والثانية فتح بيت المقدس قل اثنتان ، فقلت . قال والثالثة موتان يكون فى أمتى كعقاص الغنم قل ثلاثة . والرابعة فتنة عظيمة تكون فى أمتى لاتبقى بيتا فى العرب إلا دخلته قل أربعة ، والخامسة هدنة بين العرب وبين بنى الأصفر ثم يسيرون إليكم فيقاتلونكم قل خمس والسادسة يفيض المال فيكم حتى يعطى أحدكم المائة من الدنانير فيسخطها قل ست »

وعن أبى إدريس عن جده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول الناس هلاكا فارس ثم العرب على أثرهم» وفى رواية معاوية بن صالح عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن

ابن عباس رضى الله عنهما قال « النجوم أمان لأهل السماء فاذا طمست النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأنا يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمان لأمتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون ، والجبال أمان لأهل الأرض فاذا انشقت الجبال أتى أهلها ما يوعدون » .

وقد روى عطاء عن ابن عباس وسلمة بن الأكوع رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتقوم الساعة إلا على شرار الخلائق يتسافدون على ظهر الطريق تسافد البهائم » .

وفى رواية أبى العالية « لاتقوم الساعة حتى يمشى إبليس فى الطرق والأسواق يقول حدثنى فلان عن رسول الله بكذا وكذا افتراء وكذبا » .

وقال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى (حمعسق) إن الحاء حرب فى آخر الزمان والميم ملك بنى أمية والعين عباسية والسين سفيانية والقاف القيامة فمن ذلك مامضى ومنه ماهو منتظر .

ذكر خروج الترك

روى أبو صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمين الترك قوم وجوههم كالمجان المطرقة صغار الأعين خنس الأنوف يلبسون الشعر » وقيل إن هلاك سلطان بنى هاشم على أيدى الأتراك الاسلامية وهلاك الأتراك الاسلامية على أيدى كفرة الترك وقيل هم أهل الصين يستولون على الأقاليم والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر الهدة فى رمضان وهى من أشراط الساعة

حكى العيرونى عن الأوزاعى عن عبد الله بن لبابة عن فيروز الديلمى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تكون هدة فى رمضان توقظ النائم

وتفزع اليقظان» وفى رواية الأوزاعى «يكون صوت فى نصف شهر رمضان يصعق له سبعون ألفا ويخرس له سبعون ألفاً وتنفتق له سبعون ألف بكر قال ثم يتبعه صوت آخر فالأول صوت جبريل ، والثانى صوت إبليس . وقيل الصوت فى رمضان والمعمعة فى شوال ، وتمييز القبائل فى ذى القعدة ويغار على الحاج فى ذى الحجة ، والمحرم أوله بلاء وآخره فرج قالوا يا رسول الله من يسلم منه ؟ قال من يلزم بيته ويتعوذ بالسجود » .

وفى رواية قتادة « تكون هدة فى رمضان ثم تظهر عصابة فى شوال ثم تكون معمعة فى ذى القعدة ثم يسلم الحاج فى ذى الحجة ثم تنتهك المحارم فى المحرم ثم يكون صوت فى صفر ثم يتنازع القبائل فى شهر ربيع الأول ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب ثم فئة مغنية خير من دسكرة مائة ألف(١) » .

ذكر الهاشمى الذى يخرج من خراسان مع الرايات السود

روى عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال .إذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسان فاستقبلوها مشيا على أقدامكم لأن فيها خليفة الله المهدى ، وفى هذا أخبار كثيرة هذا أحسنها وأولاها . وروى فيه عن عباس بن عبد المطلب أنه قال : إذا أقبلت الرايات السود من المشرق يوطىء أصحابها للمهدى سلطانه .

وقال قوم قد نجزت هذه بخروج أبى مسلم وهو أول من عقد الرايات السود وسود ثيابه وخرج من خراسان فوطأ لبنى هاشم سلطانهم .

وقال آخرون بل هذه تأتى بعد . وان أول الكوائن ملك يخرج من الصين من ناحية يقال لها حتن بها طائفة من ولد فاطمة من ظهر الحسين بن على

---

(١) قوله ثم فئة الخ كذا بالأصل وليحرر لفظ الحديث ومعناه اه .

رضى الله عنهم ويكون على مقدمته رجل كوسج من تميم يقال له شعيب بن صالح مولده بالطالقان مع حكايات كثيرة وأخبار عجيبة من القتل والأسر والله أعلم.

ذكر خروج السفيانى

روى عن مكحول عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لايزال هذا الأمر قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بنى أمية».

وفى رواية أبى قلابة عن أسماء عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه ذكر ولد العباس فقال: يكون هلاكهم على يد رجل من أهل بيت هذه وأومأ إلى أم حبيبة بنت أبى سفيان»

ومما أخبر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، فى ذكر الفتن بالشام، قال «فاذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدى، ثم ذكر السفيانى وأنه من ولد يزيد بن معاوية بوجهه آثار الجدرى وبعينه نقطة من بياض يخرج من ناحية دمشق ويبعث خيله وسراياه فى البر والبحر فيبقرون بطون الحبالى وينشرون الناس بالمناشير ويحرقون ويطبخون الناس فى القدور ويبعث جيشا له إلى المدينة فيقتلون ويأسرون ويحرقون ثم ينبشون عن قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر فاطمة رضى الله عنها، ثم يقتلون كل من كان اسمه محمدا وفاطمة ويصلبونهم على باب المسجد فعند ذلك يشتد عليهم غضب الجبار فيخسف بهم الأرض وذلك قوله تعالى ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ أى من تحت أقدامهم. وفى خبر آخر «أنهم يخربون المدينة حتى لا يبقى بها رائح ولا سارح».

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لتتركن المدينة كأحسن ما كانت حتى يجىء الكلب فيشغر على سارية المسجد، قالوا فلمن تكون الثمار يومئذ يارسول الله؟ قال لعوافى السباع والطير، قال ثم تسير سرية

السفياني تريد مكة حتى تنتهى الى موضع يقال له بيداء فينادى مناد من السماء يا بيداء بيدى بهم فيخسف بهم فلا ينجو منهم إلا رجلان من كلب تقلب وجوههما فى أقفيتهما يمشيان القهقرى على أعقابهما حتى يأتيا السفياني فيخبرانه ويأتى للمهدى وهو بمكة فيخرج معه اثنا عشر ألفا فيهم الأبدال والأعلام حتى يأتى المياه فيأسر السفياني ويغير على كلب لأنهم أتباعه ويسبى نساءهم قالوا فالخائب يومئذ من غاب عن غنائم كلب، كذا الرواية مع كلام كثير والله أعلم.

ذكر خروج المهدى

قد روى فيه روايات مختلفة وأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن على وابن عباس رضى الله عنهم وأحسن ما جاء فى هذا الباب خبر أبى بكر بن عباش عن عاصم بن ذر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تذهب الدنيا حتى يأتى على أمتى رجل من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ليس فيه(١) تواطؤ اسمه اسمى».

وللشيعة فيه أشعار كثيرة وأسطار بعيدة، منها قول عامر بن عامر البصرى:

طغى الجور والعدوان فاض فهل لكم ... بنى العزم فى فكر لتحصيل آلة
لنبنى قبل الغرق منها سفينة ... فننجو بها من هلك أمواج فتنة
فكن عالما بالوقف فكرا وفتنة ... أخى فهذا الوقت وقت لفطنة
إمام الهدى حتى متى أنت غائب ... فمن علينا يا إمام بأوبة
مللنا وطال الانتظار فجد لنا ... بحقك يا قطب الوجود بزورة
وقوم بعدل منك ظهرا قد انحنى ... وعدل مزاجا مال منك بحكمة
فأنت لهذا الأمر قدما معين ... لذلك قال الله أنت خليفتى

ومن حلية المهدى: أنه أسمر اللون كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا

---

(١) قوله ليس فيه الخ كذا بالأصل والرواية المعروفة يواطىء اسمه اسمى، ولعل ماهنا رواية أيضا اه

في خده خال يرفع الجور عن الأرض ويفيض المعدلة على الخلق ويسوى بين الضعيف والقوى في الحق ويبلغ الاسلام مشارق الأرض ومغاربها ويفتح القسطنطينية ولا يبقى أحد فى الأرض إلا دخل فى الاسلام أو أدى الجزية وعند ذلك يتم وعد الله ليظهره على الدين كله. واختلفوا فى مدة عمره فقيل يعيش سبع سنين وقيل تسعا وقيل عشرين وقيل أربعين وقيل سبعين والله أعلم.

ذكر خروج القحطانى

روى عن أبي سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال: «لا تقوم الساعة حتى تقفل القوافل من رومية ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان» واختلفوا فيه من هو فروى عن ابن سيرين أنه قال: القحطانى رجل صالح وهو الذى يصلى خلفه عيسى وهو المهدى ، وروى عن كعب أنه قال: يموت المهدى ويبايع الناس بعده القحطانى، وروى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه قال رجل يخرج من ولد العباس.

ذكر فتح القسطنطينية

روى عن السدى فى قوله عز وجل: ﴿لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ قال فتح القسطنطنية وخروج الدجال وبعض المفسرين ذهب فى تفسير ﴿الم غلبت الروم﴾ أنه كائن وعنى به فتح قسطنطينية وذكر أنه تباع الفرس بدرهم ويقتسمون الدنانير بالحجف ، قالوا وبين فتح القسطنطينية وخروج الدجال سبع سنين فبينماهم كذلك إذ جاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفكم فى داركم ، قال فيرفضون ما فى أيديهم من ذلك وينفرون إليه وهى كذابة (١).

---

(١) قوله كذابة، كذا بالاصل ولينظر المراد به اه

ذكر خروج الدجال

الأخبار الصحيحة متواترة بخروجه بلا شك ولاريب وإنما الاختلاف في صفته وهيئته ، قال قوم هو صائف بن صائد اليهودى ولد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أحيانا يربو فى مهده و ينتفخ فى بيته حتى يملأ بيته فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأتاه فى نفر من أصحابه فلما نظر إليه عرفه فدعا الله سبحانه وتعالى فرفعه إلى جزيرة من جزائر البحر إلى وقت خروجه .

وروى «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه وهو يلعب مع الصبيان ، فقال ابن صياد أشهد أنى رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنى رسول الله ، فقال له ابن صياد أشهد أنى رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد خبأت لك خبيئا قال ما هو(١) قال الدخ يعنى الدخان ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو طورك ، قال عمر رضى الله عنه ، ائذن لى فأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يكنه فلا تسلط عليه وإن لا يكنه فلا خير لك فى قتله ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاختطف» ، وجاء فى الحديث «أنه أغم جفال الشعر مكتوب بين عينيه ك ف ر . يقرؤه كل أحد كاتب وغير كاتب ، واختلفوا فى موضع مخرجه ، فقال قوم يخرج من المشرق من أرض خراسان ، وقالت طائفة يخرج من يهود أصفهان ، وقال قوم يخرج من أرض الكوفة. واختلفوا فى أتباعه قالوا النساء والأعراب والمومسات وأولادهن . واختلفوا فى العجائب التى تظهر على يديه . فقال قوم يسير حيث سار معه جنة ونار فجنته نار وناره جنة ويدعى أنه رب الخلائق فيأمر السماء فتمطر و يأمر الأرض فتنبت و يبعث الشياطين فى صور الموتى ويقتل رجلا ثم يحييه فيفتتن الناس ويؤمنون به ويبايعونه قال

---

(١) قوله قال ما هو الخ رواية البخارى قال هو الدخ من غير زيادة لفظ قال ما هو ، وهى الصواب اه .

ولا يتبعه من الدواب إلا الحمار . واختلفوا فى هيئة حماره فقالوا ما بين أذنى حماره أثنا عشر شبرا وقيل أربعون ذراعا تظل إحدى أذنيه سبعين رجلا وخطوته مدى البصر ثلاثة أيام يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد مسجد الله الحرام ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ومسجد الأقصى ومسجد الطور ويمكث أربعين صباحا ويقصد بيت المقدس وقد اجتمع الناس لقتاله فتعمهم ضبابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى ابن مريم عليه السلام قد نزل على المنارة البيضاء فى جامع بنى أمية فيقتل الدجال .

ذكر نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام

المسلمون لا يختلفون فى نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام آخر الزمان وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها﴾ أنه نزول عيسى ، وجاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن عيسى نازل فيكم وهو خليفتى عليكم فمن أدركه فليقرئه سلامى فانه يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحج فى سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف فانهم يحجون ويتزوج امرأة من الأزد ويذهب البغضاء والشحناء والتحاسد وتعود الأرض إلى هيئتها وبركاتها على عهد آدم عليه السلام حتى تترك القلاص فلا يسعى إليها أحد وترعى الغنم مع الذئب وتلعب الصبيان مع الحيات فلا تضرهم ويلقى الله العدل فى الأرض فى زمانه حتى لا تقرض فأرة جرابا وحتى يدعى الرجل إلى المال فلا يقبله وتشبع الرمانة السكن ، قالوا وينزل عيسى عليه السلام وفى يده مشقص فيقتل به الدجال وقيل إذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص واتبعهم المسلمون يقتلونهم فيقول الحجر والشجر هذا يهودى خلفى إلا الغرقد من شجر اليهود قالوا ويمكث عيسى عليه السلام أربعين سنة ويقال ثلاثا وثلاثين سنة ويصلى خلف المهدى ، ثم يخرج يأجوج ومأجوج .

بقية من خبر الدجال ، عن فاطمة بنت قيس قالت : خرج علينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى نحر الظهيرة فخطبنا ، فقال « إنى لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديث حدثنيه تميم الدارى منعنى سرور القائلة حدثنى أن نفرا من قومه ركبوا فى البحر فأصابتهم ريح عاصف ألجأتهم إلى جزيرة فاذا هم بدابة قالوا لها ما أنت ؟ قالت أنا الجساسة .قلنا أخبرينا الخبر . قالت إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الديرفان فيه رجلا بالأشواق إليكم فأتيناه فأخبرناه ، فقال ما فعلت بحيرة طبرية قلنا تدفق الماء من جانبيها قال ما فعل نخل عمان وبيسان قلنا يجنيها أهلها قال فما فعلت عين زغر قلنا يشرب أهلها منها قال فلو يبست هذه نفذت من وثاقى ثم وطئت بقدمى كل منهل إلا مكة والمدينة » .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب، فقال : « مابين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال » وقال «إنه لم يكن نبى إلا أنذر قومه فتنة الدجال ووصفه وإنه قد بين لى ما لم يبين لأحد إنه أعور كيت وكيت فإن خرج وأنا فيكم فأنا حجتكم وإن لم يخرج إلا بعدى فالله خليفتى عليكم فما اشتبه عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور » .

والدجال تسميه اليهود مواطيح كوائيل ويزعمون أنه من نسل داود وأنه يملك الأرض ويردها إلى بنى إسرائيل فيتهود أهل الأرض كلهم .

بقية من خبر عيسى عليه السلام

قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ إنه عند نزول عيسى ، وقال عز وجل : ﴿ وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ﴾ ثم قال ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ ثم اختلف المتأولون له فقال أكثرهم وأحقهم بالتصديق هو عيسى عليه السلام بعينه يرد إلى الدنيا ، وقالت فرقة نزول عيسى خروج رجل يشبه عيسى فى الفضل والشرف كما يقال للرجل الخير ملك وللشرير شيطان تشبيها بهما ولا يراد الأعيان . وقال قوم ترد روحه فى رجل اسمه عيسى والآخران ليسا بشئ والله أعلم .

ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ﴾ قيل هو طلوع الشمس من مغربها ، وروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه قال «ثلاث إذا خرجت لا ينفع نفسا إيمانها طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال» ، وقالوا فى صفة طلوعها من مغربها إنه إذا كانت الليلة التى تطلع الشمس فى صبيحتها من مغربها حبست فتكون تلك الليلة قدر ثلاث ليال قالوا فيقرأ الرجل جزءه ثم ينام ويستيقظ والنجوم راكدة والليلة كما هى فيقول بعضهم لبعض هل رأيتم مثل هذه الليلة قط ثم تطلع من مغربها كأنها علم أسود حتى تتوسط السماء ثم تعود بعد ذلك فتجرى فى مجراها الذى كانت تجرى فيه وقد أغلق باب التوبة إلى يوم القيامة .

وروى عن على أنه قال تطلع بعد ذلك من مشرقها مائة وعشرين سنة لكنها سنون قصار السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة ، وكان كثير من الصحابة يترصدون طلوع الشمس من مغربها منهم حذيفة بن اليمان وبلال وعائشة رضى الله عنهم .

ذكر خروج الدابة

قال الله عز وجل : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ﴾ قال كثير من أهل العلم بالأخبار إنها ذات وبر وريش وزغب فيها من كل لون ولها أربع قوائم رأسها رأس ثور وآذانها آذان فيل وقرونها قرون إيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد وقوائمها قوائم بعير ومعها عصا موسى وخاتم سليمان وترفع الأسماء فلا يعرف أحد باسمه وهى تجلو وجه المؤمن بالعصا فيبيض وتختم على أنف الكافر فيفشو السواد به فيقال يا مؤمن يا كافر .

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : هى الدابة التى أخبر تميم الدارى عنها وعن الحسن أنه قال : سأل موسى ربه أن يريه الدابة فخرجت ثلاثة أيام ولم يدر أى طرفيها خرج ، فقال موسى يارب رد هذا المتاع النفيس إلى مكانه لاحاجة لنا فيه. ويقال إنها تخرج بأجنادين عقب الحاج تسير بالنهار وتقف بالليل يراها كل قائم وقاعد وإنها لتدخل المسجد وقد عاذ به المنافقون فتقول أترون المسجد ينجيكم منى هلا كان هذا بالأمس والله أعلم.

ذكر الدخان

قال الله عز وجل : ﴿ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾ ، وروى عن الحسن رضى الله عنه ، أنه قال : يجىء دخان فيملأ ما بين السماء والأرض حتى لايدرى شرق ولاغرب ويأخذ الكفار فيخرج من مسامعهم ويكون على المؤمن كهيئة الزكمة ثم يكشفه الله عز وجل بعد ثلاثة أيام وذلك بين يدى الساعة وأكثر أهل التأويل على أنه هو الجوع الذى أصابهم فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر خروج يأجوج ومأجوج

قال الله عز وجل : ﴿ فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء ﴾ يعنى السد وجاء فى الأخبار من صفاتهم وعددهم ما الله به عليم ولا يختلفون فى أنهم بين مشارق الأرض وشمالها.

وروى عن مكحول أنه قال : المسكون من الأرض مسيرة مائة عام ثمانون منها ليأجوج ومأجوج وعشرة للسودان وعشرة لبقية الأمم ويأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف أمة لا تشبه أمة أخرى ، وعن الزهرى أنهما ثلاث أمم منسك وتاويل وتدريس فصنف منهم كأمثال الشجر الطوال من الأرز وصنف منهم عرض أحدهم وطوله بالسواء وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى.

وروى أن طول أحدهم شبر وأكبر ، ويكون خروجهم بعد قتل عيسى الدجال وإذا جاء الوقت جعل الله السد دكا كما ذكره عز وجل فى كتابه فيخرجون وينتشرون فى الأرض ، وروى أنهم يكون أول مقدمتهم بالشام وساقتهم ببلخ قال ويأتى أولهم البحيرة فيشربون ماءها ويأتى أوسطهم فيلحسون مافيها من النداوة ويأتى آخرهم فيقولون لقد كان ههنا مرة ماء ويكون مكثهم فى الأرض سبع سنين ثم يقولون قد قهرنا أهل الأرض فهلموا نقاتل سكان السماء فيرمون بنشابهم نحو السماء فيردها الله عليهم ملطخة بدم فيقولون قد فرغنا من أهل السماء فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون موتى ثم يرسل الله عليهم السماء فتجرفهم إلى البحر .

وفى رواية كعب أنهم ينقرون السد بمناقيرهم كل يوم فيعودون من الغد وقد عاد لما كان حتى إذا بلغ الأجل المعلوم ألقى الله على لسان أحدهم إن شاء الله فيخرجون حينئذ ، وروى أنهم يلحسون السد وقيل إن فيهم طائفة لكل منهم أربعة أعين عينان فى رأسه وعينان فى صدره ومنهم من له رجل واحدة يقفز بها قفزا ومنهم من هو ملبس شعرا كالبهائم ومن طوائفهم طائفة لاتأكل إلا لحوم الناس ولاتشرب إلا الدماء ولايموت الواحد منهم حتى يرى لصلبه ألف عين تطرف ، وفى التوراة مكتوب إن يأجوج ومأجوج يخرجون فى أيام المسيح ويقولون إن بنى إسرائيل أصحاب أموال وأوان كثيرة فيقصدون أوريسلم وينتهبون نصفها ويسلم النصف الآخر ويرسل الله عليهم صيحة فيموتون عن آخرهم وتصيب بنو إسرائيل من أدوات عسكرهم ما يستغنون به سبع سنين عن الحطب وهذا المقدار من حديثهم فى كتاب زكريا عليه السلام قيل ويمكث الناس بعد هلاك يأجوج ومأجوج عشرين سنة يحجون ويعتمرون والله أعلم .

ذكر خروج الحبشة

قال أصحاب هذا العلم : ويمكث الناس بعد هلاك يأجوج ومأجوج فى الخصب والدعة ماشاء الله تعالى ، ثم تخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لاتعمر أبداً وهم الذين يستخرجون كنوز فرعون وقارون ، قال فتجتمع المسلمون ويقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشى بعباءة ثم يبعث الله ريحا فيقبض روح كل مسلم والله تعالى أعلم .

ذكر فقدان مكة المشرفة

روى عن الحسن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال « حجوا قبل أن لاتحجوا فو الذى فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لايدرى أحدكم أين كان مكانه بالأمس . وقال : كأنى أنظر إلى أسود أحمش الساقين قد علاها ينقضها طوبة طوبة » .

ذكر الريح التى تقبض أرواح أهل الايمان

روى « أن الله عزوجل يبعث ريحا يمانية ألين من الحرير وأطيب نفحة من المسك فلا تدع أحداً فى قلبه مثقال ذرة من الايمان إلا قبضته ويبقى الناس بعد مائة عام لايعرفون دينا ولا ديانة وهم شرار خلق الله وعليهم تقوم الساعة وهم فى أسواقهم يتبايعون » . وفي رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتقوم الساعة حتى لايعبد الله فى الأرض مائة سنة » ، وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال « يؤمر صاحب الصور أن ينفخ فى صوره فيسمع رجلا يقول لا إله إلا الله فيؤخر مائة عام » .

ذكر ارتفاع القرآن

روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال « القرآن أشد تفصيا

على قلوب الرجال من النعم فى عقلها، قيل يا أبا عبد الرحمن كيف وقد أثبتناه فى صدورنا ومصاحفنا؟ قال يسرى عليه ليلا فلا يذكر ولا يقرأ.

ذكر النار التى تخرج من قعر عدن فتسوق الناس إلى المحشر

روى حذيفة بن أسيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «عشر آيات بين يدى الساعة هذه إحداهن».. وفى رواية أخرى «لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى». وفى رواية أخرى «لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من حضرموت» مع اختلاف كثير فى الروايات.

ذكر نفخات الصور

وهى ثلاث مرات ثنتان منها فى آخر الدنيا، وواحدة فى أول الآخرة قال الله عز وجل ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون. فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾.

وروى عن الحسن عن شيبان عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «تهيج الساعة والرجلان يتبايعان قد نشرا أثوابهما فلا يطويانها والرجل يلوط حوضه فلا يستقى منه والرجل قد انصرف بلبن نعجته فلا يطعمه والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يأكلها ثم تلا تأخذهم وهم يخصمون لاتأتيهم إلا بغتة»

ذكر النفخة الأولى

صاحب الصور هو السيد إسرافيل عليه السلام وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل وله جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وإن قدميه قد مرقتا من الأرض السفلى حتى بعدتا عنها مسيرة مائة عام على ماروواه وهب

ومثل هذا مما يزيد في يقين العامي ويبلغ في تخويفه وتعظيمه لأمر الله تعالى وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «كيف أنتم وصاحب الصور قد التقمه ينتظر متى يؤمر له فينفخ».

ذكر ما جاء في الصور وهيئته

روى أنه كهيئة قرن فيه بعدد كل روح ثقب وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وترجع إلى أجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى وشعبة في فم الملك ينفخ فيها فإذا مضت الآيات والعلامات التي ذكرناها أمر صاحب الصور أن ينفخ نفخة الفزع ويديمها ويطولها فلا يبرح كذا عاما وهي المذكورة في قوله تعالى (ماينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) وكذلك في قوله تعالى (ماينظرون إلا صيحة واحدة مالها من فواق) وفي قوله تعالى (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) وإذا بدت الصيحة فزعت الخلائق وتحيرت وتاهت والصيحة تزداد كل يوم مضاعفة وشدة وشناعة فينحاز أهل البوادي والقبائل إلى القرى والمدن ثم تزداد الصيحة وتشتد حتى تتجاوز إلى أمهات الأمصار وتعطل الرعاة السوائم وتفارقها وتأتي الوحوش والسباع وهي مذعورة من هول الصيحة فتختلط بالناس وتستأنس بهم وذلك قوله تعالى (وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت) ثم تزداد الصيحة هولا وشدة حتى تسير الجبال على وجه الأرض وتصير سرابا جاريا وذلك قوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) وقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وزلزلت الأرض وارتجت وانتفضت وذلك قوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وقوله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال) ثم تكور الشمس وتنكدر النجوم وتسجر البحار والناس حيارى كالوالهين ينظرون إليها وعند ذلك تذهل المراضع عما أرضعت وتضع كل

ذات حمل حملها ويشيب الولدان وترى الناس سكارى وماهم بسكارى من الفزع ولكن عذاب الله شديد .

حكى أبو جعفر الرازى عن ربيع عن أبى العالية عن أبى كعب قال بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهبت الشمس ، وبينماهم كذلك إذ تناثرت النجوم وبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، وبينما هم كذلك إذ تحركت الأرض فاضطربت لأن الله تعالى جعل الجبال أوتادها ففزعت الجن إلى الانس والانس إلى الجن واضطربت الدواب والطيور والوحوش فماج بعضهم فى بعض فقالت الجن نحن نأتيكم بالخبر اليقين فانطلقوا فاذا هى نار تأجج فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم وهذه من نص القرآن ظاهرة لايسع لأحد مؤمن ردها والتكذيب بها وفى هذه الصيحة تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما وفيها تنشق السماء فتصير أبوابا وفيها يحيط سرادق من نار بحافات الأرض فتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى أقطار السماء والأرض فتتلقاهم الملائكة يضربون وجوههم حتى يرجعوا وذلك قوله تعالى ﴿ يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان ﴾ والموتى فى القبور لا يشعرون بهذه

ذكر النفخة الثانية فى الصور

وذلك قوله تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ فيموتون فى هذه النفخة إلا من تناوله الاستثناء فى قوله ﴿ إلا من شاء الله ﴾

ذكر ما بين النفختين من المدة

يقال إن ما بين النفختين أربعون سنة تبقى الأرض على حالها مستريحة بعد مامر بها من الأهوال العظام والزلازل وتمطر سماؤها وتجرى مياهها وتطعم أشجارها ولا حى على ظهرها من سائر المخلوقات

ذكر ما ورد فى قوله تعالى ﴿ هو الأول والآخر ﴾

قال الله عز وجل ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ وقال سبحانه ﴿ كل من عليها فان ﴾ وقال عز من قائل ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ وقال جل وعلا ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ فدلت هذه الآيات على هلاك كل شىء دونه قال جل وعز ﴿ ونفخ في الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ دل على أن الصعقة لاتعم جميع الخلائق فالتمسنا التوفيق بين الآيات بعد أن أمكن أن تكون آية الاستثناء مفسرة لتلك الآى فقلنا الاستثناء عند نفخة الصعق وعموم الفناء بين النفختين كما جاء فى الخبر لئلا يظن ظان أن القرآن متناقض .

وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ قال كل شىء وجب عليه الفناء إلا الجنة والنار والعرش والكرسى والحور العين والأعمال الصالحة ، وقيل فى قوله تعالى (إلا من شاء الله) الشهداء حول العرش سيوفهم بأعناقهم، وقيل الحور العين ، وقيل موسى عليه السلام لأنه صعق مرة ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين وقيل وملك الموت عليه السلام، وقيل وحملة العرش عليهم السلام قالوا فيأمر الله تعالى ملك الموت فيقبض أرواحهم ثم يقول له مت فيموت فلا يبقى فى الملك حى إلا الله فعند ذلك يقول ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فلا يجيبه أحد فيقول ﴿ لله الواحد القهار ﴾ هكذا روى فى الأخبار والله أعلم .

ذكر المطرة التى تنبت الأجساد

قالوا فاذا مضى من النفختين أربعون عاما أمطر الله سبحانه من تحت العرش ماء خاثرا كالطلاء وكالمنى من الرجال يقال له ماء الحيوان فتنبت أجسامهم كما ينبت البقل . قال كعب : ويأمر الله الارض والبحار والطير والسباع برد ما أكلت من أجساد بنى آدم حتى الشعرة الواحدة فتكامل

أجسامهم . قالوا وتأكل الأرض ابن آدم إلا عجب الذنب فانه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف فينشأ الخلق من ذلك العجب وتركب عليه أجزاؤه كالهباء فى شعاع الشمس فاذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر ثم قام خلقا سويا .

ذكر النفخة الثالثة وهى نفخة القيامه

وذلك قوله تعالى ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ﴾ وقوله : ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ ويجمع الله أرواح الخلائق فى الصور ثم يأمر الله الملك أن ينفخ فيهم قائلا : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتثرة إن الله المصور الخلاق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادى قوموا للعرض على الجبار فيقومون وذلك قوله تعالى : ﴿ يخرجون من الأجداث سراعا ﴾ وقوله تعالى (يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع) وقوله عز من قائل ﴿ يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ﴾ فاذا خرجوا من قبورهم تلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله كما وعد سبحانه وتعالى ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾ والفاسقون يمشون على أقدامهم سوقا وهو قوله تعالى ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ .

ذكر الموقف وأين يكون

روى المسلمون أن الناس يحشرون إلى بيت المقدس . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هو المحشر والمنشر ووافقت اليهود على ذلك .

وروى عن كعب أن الله نظر إلى الأرض وقال إنى واطىء على بعضك فانتسفت الجبال وارتجت الصخرة وتضعضعت وارتعدت فشكر الله لها ذلك فقال هذا مقامى ومحشر خلقى هذه جنتى وهذه نارى وهذا موضع ميزانى وأنا ديان يوم الدين وقيل يصير الله الصخرة من مرجانة طباق الأرض ويحاسب عليها الخلق والله أعلم .

ذكر يوم القيامة والحشر والنشر وتبديل الأرض غير الأرض وطى السماء وأحوال ذلك اليوم

قال الله عز وجل : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ فأول من يحييه الله جل جلاله يوم القيامة إسرافيل لينفخ النفخة الثالثة لقيام الخلق كما تقدم ثم يحيي رؤساء الملائكة ثم أهل السماء ويأمر جبريل وميكائيل وإسرافيل أن انطلقوا إلى رضوان خازن الجنان وقولوا له إن رب العزة والجبروت والكبرياء مالك يوم الدين يأمرك أن تزين البراق وترفع لواء الحمد وتاج الكرامة وسبعين حلة من حلل الجنة الفاخرة واهبطوا بها إلى قبر البشير النذير حبيبي محمد صلواتى وتسليمى عليه فنبهوه من رقدته وأيقظوه من نومته وقولوا له هلم إلى استكمال كرامتك واستيفاء منزلتك وارتفاعك على الأولين والآخرين وشفاعتك فى المذنبين ، قال فينطلقون إلى باب الجنة فيقرعونه فيقول رضوان من بباب الجنة فيقول جبريل وميكائيل وإسرافيل وأتباعهم ويبلغ جبريل الرسالة فيقول وأين القيامة فيقول جبريل هذا يوم القيامة قال فيقبل رضوان بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة والحلل وتستبشر الحور والولدان ويرتفعن إلى أعالى القصور ويمجدن الملك الغفور ويفرحن بلقاء الأحباب ويشكرن رب الأرباب ثم يأتى النداء من قبل الله عز وجل يا رضوان زخرف الجنان ومر الحور العين أن يتزين بأكمل زينة ويتهيأن لقدوم سيد الأنبياء والمرسلين وقدوم أزواجهن من المؤمنين فما بقى غير الوصال والاجتماع والاتصال ثم يقبل إسرافيل وميكائيل وجبريل إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف إسرافيل عند رأسه وميكائيل عند وسطه وجبريل عند رجليه فيقول إسرافيل لجبريل نبهه يا جبريل فأنت صاحبه ومؤنسه فى دار الدنيا فيقول له جبريل صح به يا إسرافيل فأنت صاحب النفخة والصور ، قال : فيقول له إسرافيل أيتها النفس المطمئنة البهية

الطاهرة الزكية عودى إلى الجسد الطيب يا محمد قم باذن الله وأمره فيقوم صلى الله عليه وسلم وهو ينفض التراب عن رأسه ووجهه ثم يلتفت عن يمينه وإذا بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة وحلل المجد فتسلم الملائكة عليه ويقول له جبريل يا محمد هذه هدية إليك وكرامة من رب العالمين فيقول النبي صلى الله عليه وسلم بشرنى فيقول جبريل إن الجنان قد زخرفت والحور العين قد تزينت وهم فى انتظار قدومك أيها المختار فهلم إلى لقاء الملك الجبار فيقول سمعا وطاعة لرب العالمين أخبرنى أين تركت أمتى المساكين؟ فيقول يا محمد وعزة من اصطفاك على العالم ما انشقت الأرض عن أحد سواك من بنى آدم ، قال فيسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبس تلك الحلل ويتقدم فيركب البراق وتضع الملائكة على رأسه تاج الكرامة ويسلمونه لواء الحمد فيأخذه بيده ويسير فى موكب الكرامة والعز فرحا مسرورا مبجلا معظما محبورا حتى يقف بين يدى الله عز وجل ثم يرسل الله الأرواح ويأمرها أن تلج فى الأجساد بنفخة إسرافيل فاذا الخلائق قيام من قبورهم عراة ينفضون التراب عن وجوههم ورءوسهم وقد عقدوا أيديهم فى أعناقهم وشخصوا بأبصارهم (مهطعين إلى الداع ، سكارى وماهم بسكارى) متحيرين والهين حيارى لا يعرفون شرقا ولا غربا الرجال والنساء فى صعيد واحد لا يعرف الرجل من إلى جانبه أرجل أم امرأة ولا تعرف المرأة من إلى جانبها امرأة أم رجل قد شغل كل منهم بنفسه ثم يوكل الله عز وجل بكل نفس ملكا يسوقها إلى الموقف وشاهدا من نفسه فالسائق هو الملك الموكل والشاهد جملة أعضائه وجسده قال ثم يؤتى بهم إلى أرض المحشر والموقف وهى أرض بيضاء من فضة أو كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعبد عليها وثن يظهرها الله سبحانه بأرض بيت المقدس وقد نصبت عليها منابر للأنبياء وكراسى للأولياء والصالحين والشهداء ويصف الخلائق على تلك الأرض صفوفا من المشرق إلى المغرب ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه قال: أهل الجنة يومئذ مائة وعشرون صفا ثمانون من أمتى وأربعون
من سائر الأمم ثم تقرب الشمس من رءوس الخلائق ويزاد فى حرها
سبعون ضعفا وتبرز جهنم وذلك قوله تعالى: ﴿و برزت الجحيم لمن يرى﴾
فتغلى أدمغتهم فى رءوسهم ويرشح العرق من أبدانهم فيسيروا فى الأرض(١)
ثم يأخذهم العرق على قدر ذنوبهم فمنهم من يأخذه إلى كعبيه ومنهم من يأخذه إلى
ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى إبطيه ومنهم من يأخذه إلى عنقه ومنهم من يعوم فيه
عوما ثم يقومون كذلك ما شاء الله حتى يطول الوقوف ويشتد بهم الكرب
فيقول بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى آدم فنسأله أن يشفع فينا إلى ربنا فمن
كان من أهل الجنة فيؤمر به إلى الجنة ومن كان من أهل النار فيؤمر به إلى
النار فيأتون آدم فيقولون يا آدم قد طال الوقوف واشتد الكرب فاشفع
لنا إلى ربنا فمن كان من أهل الجنة يؤمر به إليها ومن كان من أهل النار يؤمر
به إليها فيقول آدم مالى وللشفاعة ويذكر ذنبه انطلقوا إلى غيرى فيأتون
نوحا فيقولون مقالهم فيقول كيف لى بالشفاعة وقد أهلك الله بدعوتى من فى
الأرض وأغرقهم ولكن انطلقوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم الخليل صلوات الله
وسلامه عليه ويذكرون له الحال ويسألونه فى الشفاعة فيقول مالى وللشفاعة
ولكن انطلقوا إلى موسى بن عمران الذى كلمه الرحمن قال فيأتونه فيقول
كيف لى بالشفاعة وقد قتلت نفسا وألقيت الألواح فتكسرت ولكن انطلقوا
إلى عيسى بن البتول فينطلقون إليه ويقولون مقالهم فيقول مالى وللشفاعة
وقد اتخذنى النصارى إلها من دون الله وإنى لعبد الله ولكن أدلكم على
صاحب الشفاعة الكبرى انطلقوا إلى أبى القاسم محمد بن عبد الله خاتم
الأنبياء وسيد المرسلين قال فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين
ووجهه يضىء على أهل الموقف فينادونه من دون منبره العالى: ياحبيب
رب العالمين وسيد الأنبياء والمرسلين قد عظم الأمر وجل الخطب وطال

---

(١) قوله فيسيروا فى الأرض، كذا بالأصل ولعل المناسب فيسيل فى
الأرض وحرر اه.

الوقوف واشتد الكرب فاشفع لنا إلى ربنا فى فصل الأمر فمن كان من أهل الجنة يؤمر به إليها ومن كان من أهل النار يؤمر به إليها الغوث الغوث يا محمد فأنت صاحب الجاه والمبعوث رحمة للعالمين قال فيبكى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتى أمام العرش فيخر ساجدا فينادى يا محمد ليس هذا يوم سجود فارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول يارب مر بالعباد إلى الحساب فقد اشتد الكرب وعظم الخطب فيجاب إلى ذلك ويأمر الله عز وجل بالعرض للحساب ثم تزفر جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا أخذه الرعب والجزع وكل ينادى نفسى يا رب فآدم يقول يارب لا أسألك حواء ولا هابيل ولا أسألك إلا نفسى ونوح ينادى لا أسألك ساما ولا حاما بل أسألك نفسى والخليل ينادى لا أسألك إسمعيل ولا إسحق ولكن أسألك نفسى يارب وموسى ينادى لا أسألك هرون أخى بل أسألك نفسى يارب وعيسى ينادى يارب لا أسألك مريم أمى وأسألك يارب نفسى وذلك قوله عز وجل: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ قال ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ينادى يارب لاأسألك فاطمة ابنتى ولا بعلها ولا ولديها ولا أسألك اليوم إلا أمتى ولا أسألك غيرها فينادى المنادى من قبل الله عز وجل يا رضوان زخرف الجنان يا مالك سعر النيران يا كسرون مد الصراط على متن جهنم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف وهى ألف عام صعود وألف عام استواء وألف عام هبوط وقيل أكثر من ذلك وهو سبع قناطر فيسئل العبد عند القنطرة الأولى عن الايمان وهى أصعب القناطر وأهواها قرارا فان أتى بالايمان نجا وإن لم يأت به تردى إلى أسفل سافلين ويسئل عند القنطرة الثانية عن الصلاة فان أتى بها نجا وإن لم يأت بها تردى فى النار ويسئل عند القنطرة الثالثة عن الزكاة فان أتى بها نجا وإن لم يات بها تردى فى النار ويسئل عند القنطرة الرابعة عن صيام شهر رمضان فان أتى به نجا وإن لم يات به تردى فى النار ويسئل عند القنطرة الخامسة عن الحج فان أتى

به نجا وإن لم يأت به تردى فى النار ويسئل عند القنطرة السادسة عن الأمر بالمعروف فان أتى به نجا وإن لم يات به تردى فى النار ويسئل عند القنطرة السابعة عن النهى عن المنكر فان أتى به نجا وإن لم يات به تردى فى النار قال ثم تحمل الخلائق على الصراط فمنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ومنهم من يجوزه كالريح العاصف ومنهم من يجوزه كالفرس الجواد ومنهم كالرجل الساعى ومنهم من يجوزه وهو يحضن الصراط بصدره ومنهم من تأخذه النار وإذا وقف الخلائق بين يدى الله عز وجل تطايرت الصحف بالأيمان والشمائل ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا . وأما من أوتى كتابه بشماله فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ﴾

وسئل بعض العلماء كيف يؤتى بشماله من وراء ظهره ؟ قال تدخل يده الشمال فى صدره وتخرج من وراء ظهره فيدفع إليه كتابه بشماله من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويصلى سعيرا فيقال ﴿ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ ثم يأتى النداء من قبل الله عز وجل وعزتى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم ولا جور جائر ولأقتصن من الشاة القرناء إذا نطحت الشاة الجماء ولأسالن العود لم خدش العود ولا يدخلن أحد من أهل الجنة الجنة ولا من أهل النار النار وفى قلبه مظلمة فيقتص حينئذ للمظلومين من الظالمين ويؤخذ من حسنات الظالم فتوضع فى صحيفة المظلوم فاذا استوعبت حسناته وبقى عليه مظالم بعد أخذ من سيئات المظلوم فتوضع فى سيئات الظالم ثم يلقى فى النار وكذلك أمثاله . قال أبى بن كعب : يجىء الرب جل جلاله يوم القيامة فى ملائكة السماء السابعة وتعالى عن الرحلة والمقام فيؤتى بالجنة مفتحة أبوابها وهى تزف بين الملائكة يراها كل بر وفاجر وقد احتفت بها ملائكة الرحمة فتوضع عن يمين العرش وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة ويؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام يقبض عليه سبعون ألف ملك مصفدة أبوابها عليها ملائكة سود غلاظ شداد معهم السلاسل الطوال

وأطواق الأغلال والأنكال الثقال وسرابيل القطران ومقطعات النيران لأعينهم لمعان كالبرق لوجوههم لهيب كنار الحريق وقد شخصت أبصارهم نحو العرش ينتظرون أمر رب العزة فتوضع حيث شاء الله فاذا بدت النار للخلائق ودنت وبينها وبينهم مسيرة خمسمائة عام زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه وأخذته الرعدة وصار قلبه معلقا إلى حنجرته لايخرج ولايرجع إلى مكانه وذلك قوله تعالى: ﴿ إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ وقيل توضع النار على يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار ثم تدعى الخلائق للعرض والحساب. قال كعب الأحبار: لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لخشي في ذلك اليوم أن لا ينجو من شر ذلك اليوم. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: وددت أن حسناتي فضلت سيآتي بمثقال ذرة ثم أترك بين الجنة والنار ثم يقال لي تمن فأقول تمنيت أن أكون ترابا وفي هذا القدر كفاية.

ذكر أسماء يوم القيامة

هو يوم تعددت أساميه لكثرة معانيه: يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم المسابقة يوم المناقشة يوم المنافسة يوم المحاسبة يوم المسألة يوم الزلزلة يوم الندامة يوم الدمدمة يوم الآزفة يوم الراجفة يوم الرادفة يوم الصاعقة يوم الواقعة يوم الداهية يوم الحاقة يوم الطامة يوم الصاخة يوم الغاشية يوم القارعة يوم النفخة يوم الصيحة يوم الرجفة يوم الرجة يوم الزجرة يوم السكرة يوم البقاء يوم اللقاء يوم البكاء يوم القضاء يوم الجزاء يوم المآب يوم المتاب يوم الثواب يوم الحساب يوم العذاب يوم العقاب، يوم المرصاد يوم الميعاد يوم التناد يوم الانكدار يوم الانفطار يوم الانتشار يوم الانفجار يوم الافتقار يوم الاعتبار يوم الحشر يوم النشر يوم الجزع يوم الفزع يوم السباق يوم التلاق يوم الفراق يوم الانشقاق يوم القلق

يوم الفرق يوم الغرق يوم العرق يوم اليقين يوم الدين ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ فكيف بابن آدم المغرور إذا نفخ فى الصور وبعثر مافى القبور وحصل ما فى الصدور وكورت الشمس وكسف القمر وانتثرت النجوم وعطلت البحار وحشرت الوحوش وزوجت النفوس وسيرت الجبال وعظمت الأهوال وحشروا حفاة ووقفوا عراة ومدت لهم الأرض وجمعوا فيها للعرض من الهول حيارى ومن الشدة سكارى قد أظلهم الكرب وأجهدهم العطش واشتد بهم الحر وعم الخوف وجل العناء وكثر البكاء وفنيت الدموع ولازموا الخضوع وعمهم القلق وعمهم العرق وطاشت العقول وشمل الذهول وتبلبلت الصدور وعظمت الأمور وتحيرت الألباب وتقطعت الأسباب ورأوا العذاب وركبهم الذل وخضعت رقاب الكل وزلزلت الأقدام وتبلدت الأفهام وطال القيام وانقطع الكلام ولاشمس تضىء ولا قمر يسرى ولا كوكب درى ولا فلك يجرى ولا أرض تقل ولا سماء تظل ولا ليل ولا نهار ولا بحار ولا كفار يا له من يوم تفاقم أمره وتعاظم ضره وعظم خطره يوم تشخص فيه الأبصار بين يدى الملك الجبار ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ قد خشعت لهوله الأصوات وقل فيه الالتفات وبرزت الخفيات وظهرت الخطيات وأحاطت البليات وسيق العباد ومعهم الأشهاد وتقلصت الشفاه وتقطعت الأكباد وشاب الصغير وسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وتقطعت الجوارح وارتعدت الجوانح واتضحت الفضائح وأزلفت الجنان وسعرت النيران ويؤمر بعد الخطب الجسيم والهول العظيم للمقعد المقيم إما بدار النعيم والرضوان وإما بدار الجحيم والنيران.

وهذه قصيدة جامعة لغالب ماتقدم من أحوال يوم القيامة
واسمها قلادة الدر المنثور فى ذكر البعث والنشور

الله أعظم مما جال فى الفكر ... وحكمه فى البرايا حكم مقتدر
مولى عظيم حكيم واحد صمد ... حى قديم مريد فاطر الفطر
يارب يا سامع الأصوات صل على ... رسولك المجتبى من أطهر البشر
محمد المصطفى الهادى البشير هدى ... كل الخلائق بالآيات والسور
وآله والصحاب الكائنين به ... كأنجم حول من يسمو على القمر
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... فتور عزمى وما فرطت فى عمرى
وفرط ميلى إلى الدنيا وقد حسرت ... عن ساعد الغدر فى الآصال والبكر
يا ربنا جد بتوفيق ومغفرة ... وحسن عاقبة فى الورد والصدر
قد أصبح الخلق فى خوف وفى ذعر ... وزور لهووهم فى أعظم الخطر
وللقيامة أشراط وقد ظهرت ... بعض العلامات والباقى على الأثر
قل الوفاء فلا عهد ولا ذمم ... واستحكم الجهل فى البادين والحضر
باعوا الأديانهم بالبخس من سحت ... وأظهروا الفسق بالعدوان والأشر
وجاهروا بالمعاصى واتضوا بدعا ... عمت فصاحبها يمشى بلا حذر
وطالب الحق بين الناس مستتر ... وصاحب الافك فيهم غير مستتر
والوزن بالويل والأهواء معتبر ... والوزن بالحق فيهم غير معتبر
وقد بدا النقص فى الاسلام مشتهراً ... وبدلت صفوة الخيرات بالكدر
وسوف يخرج دجال الضلالة فى ... هرج وقحط كما قد جاء فى الخبر
ويدعى أنه رب العباد وهل ... تخفى صفات كذوب ظاهر العور
فناره جنة طوبى لداخلها ... وزور جنته نار من السعر
شهر وعشر ليال طول مدته ... لكنها عجب فى الطول والقصر
فيبعث الله عيسى ناصراً حكما ... عدلا ويعضده بالنصر والظفر

فيتبع الكاذب الباغى ويقتله ويمحق الله أهل البغى والضرر
وقام عيسى يقيم الحق متبعا شريعة المصطفى المختار من مضر
فى أربعين من الأعوام مخصبة فيكسب المال فيها كل مفتقر
وجيش يأجوج مع مأجوج قد خرجوا والبغى عم بسيل غير منهمر
حتى إذا أنفذ الله القضاء دعا عيسى فأفناهم المولى على قدر
وعاد للناس عيد الخير مكتملا حتى يتم لعيسى آخر العمر
والشمس حين ترى فى الغرب طالعة طلوعها آية من أعظم الكبر
فعند ذلك لا إيمان يقبل من أهل الجحود ولا عذر لمعتذر
ودابة فى وجوه المؤمنين لها وسم من النور والكفار بالقتر
والخلف هل فتنة الدجال قبلهما أو بعد قد ورد القولان فى الخبر
وكم خراب وكم خسف وزلزلة وفيح نار وآيات من النذر
ونفخة تذهب الأرواح شدتها إلا اللذين عنوا فى سورة الزمر
وأربعون من الأعوام قد حسبت نفخا تبث به الأرواح فى الصور
قاموا حفاة عراة مثل ما خلقوا من هول ما عاينوا سكرى بلا سكر
قوم مشاة وركبان على نجب عليهمو حلل أبهى من الزهر
ويسحب الظالمون الكافرون على وجوههم وتحيط النار بالشرر
والشمس قد أدنيت والناس فى عرق وفى زحام وفى كرب وفى حصر
والأرض قد بدلت بيضاء ليس لها خفض ولا ملجأ يبدو لمستتر
طال الوقوف فجاءوا آدما ورجوا شفاعة من أبيهم أول البشر
فرد ذاك إلى نوح فردهم إلى الخليل فأبدى وصف مفتقر
إلى الكليم إلى عيسى فردهم إلى الحبيب فلباها بلا حصر
فيسأل المصطفى فصل القضاء لهم ليستريحوا من الأهوال والخطر
تطوى السموات والأملاك هابطة حول العباد لهول معضل عسر

والشمس قد كورت والكتب قد نشرت — والأنجم انكدرت ناهيك من كدر
وقد تجلى إله العرش مقتدراً — سبحانه جل عن كيف وعن فكر
فيأخذ الحق للمظلوم منتصفا — من ظالم جار فى العدوان والبطر
والوزن بالقسط والأعمال قد ظهرت — ووزنها عبرة تبدو لمعتبر
وكل من عبد الأوثان يتبعها — باذن ربى وصار الكل فى سقر
والمسلمون إلى الميزان قد قسموا — ثلاثة فاسمعوا تقسيم مختصر
فسابق رجحت ميزان طاعته — له الخلود بلا خوف ولا ذعر
ومذنب كثرت آثامه فله — شفع بأوزاره أو عفو مقتدر
وواحد قد تساوت حالتاه له الـ — أعراف حبس وبين البشر والحصر
ويكرم الله مثواه بجنته — بجود فضل عميم غير منحصر
وفى الطريق صراط مد فوق لظى — كحد سيف سطا فى دقة الشعر
والناس فى ورده شتى فستبق — كالبرق والطير أو كالخيل فى النظر
ساع وماش ومخدوش ومعتلق — ناج وكم ساقط فى النار منتثر
للمؤمنين ورود بعده صدر — والكافرون لهم ورد بلا صدر
فيشفع المصطفى والأنبياء ومن — يختاره الملك الرحمن فى زمر
في كل عاص له نفس مقصرة — وقلبه عن سوى الرب العظيم برى
فأول الشفعا حقا وآخرهم — محمد ذو البهاء الطيب العطر
مقامه ذروة الكرسى ثم له — عقد اللواء بعز غير منحصر
والحوض يشرب منه المؤمنون غداً — كالأرى يجرى على الياقوت والدرر
ويخلق الله أقواماً قد احترقوا — كانوا أولى العزة الشنعاء والنجر
والنار مثوى لأهل الكفر كلهم — طباقها سبعة مسودة الحفر
جهنم ولظى والحطم بينهما — ثم السعير كما الأهوال فى سقر
وتحت ذاك جحيم ثم هاوية — يهوى بها أبداً سحقا لمحتقر
فى كل باب عقوبات مضاعفة — وكل واحدة تسطو على النفر

فيها غلاظ شداد من ملائكة ... قلوبهم شدة أقوى من الحجر
لهم مقامع للتعذيب مرصدة ... وكل كسر لديهم غير منجبر
سوداء مظلمة شعثاء موحشة ... دهماء محرقة لواحة البشر
فيها الجحيم مذيب للوجوه مع الـــأمعاء من شدة الاحراق والشرر
فيها الغساق الشديد البرد يقطعهم ... إذا استغاثوا بحر ثم مستعر
فيها السلاسل والأغلال تجمعهم ... مع الشياطين قسرا جمع منقهر
فيها العقارب والحيات قد جعلت ... جلودهم كالبغال الدهم والحمر
والجوع والعطش المضنى ولا نفس ... فيها ولا جـــلد فيها لمصطبر
لهـا إذا ما غلت فور يقلبهم ... ما بين مرتفع منها ومنحدر
جمع النواصى مع الأقدام صيرهم ... كالقوس محنية من شدة الوتر
لهم طعام من الزقوم يعلق فى ... حلوقهم شوكه كالصاب والصبر
ياويلهم عضت النيران أعظمهم ... بالموت شهوتهم من شدة الضجر
ضجوا وصاحوا زمانا ليس ينفعهم ... دعاء داع ولا تسليم مصطبر
وكل يوم لهم فى طول مدتهم ... نوع شديد من التعذيب والسعر
كم بين دار هوان لا انقضاء لها ... ودار أمن وخلد دائم الدهر
دار الذين اتقوا مولاهم وسعوا ... قصدا لنيل رضاه سعى مؤتمر
وآمنوا واستقاموا مثل ما أمروا ... واستغرقوا وقتهم فى الصوم والسهر
وجاهدوا وانتهوا عمـا يباعدهم ... عن بابه واستلانوا كل ذى وعر
جنات عدن لهم ما يشتهون بها ... فى مقعد الصدق بين الروض والزهر
بناؤها فضة قد زانها ذهب ... وعينها المسك والحصبا من الدرر
أوراقها ذهب منها الغصون دنت ... بكل نوع من الريحان والثمر
أوراقها حلل شفافة خلقت ... واللؤلؤ الرطب والمرجان فى الشجر
دار النعيم وجنات الخلود لهم ... دار السلام لهم مأمونة الغير
وجنة الخلد والمأوى وكم جمعت ... جنات عدن لهم من مونق نضر
طباقها درجات عدها مائة ... كل اثنتين كبعد الأرض والقمر

أعلى منازلها الفردوس عاليها ... عرش الإله فسل واطمع ولا تذر
أنهارها عسل ما فيه شائبة ... وخالص اللبن الجارى بلا كدر
وأطيب الخمر والماء الذى سلمت ... من الصداع ونطق اللهو والسكر
والكل تحت جبال المسك منبعها ... يجرونه كيف شاءوا غير محتجر
فيها نواهـــد أبكار مزينة ... يبرزن من حلل فى الحسن والخفر
نساؤها المؤمنات الصابرات على ... حفظ العهود مع الاملاق والضرر
كأنهن بدور فى غصون نقا ... على كثيب بدت فى ظلمة السحر
كل امرئ منهم يعطى قوى مائة ... فى الأكل والشرب والافضا بلا خور
طعامهم رشح مسك كلما عرقوا ... عادت بطونهم فى هضم منضمر
لا جوع لا برد لاهم ولا نصب ... بل عيشهم عن جميع النائبات عرى
فيها الوصائف والغلمان تخدمهم ... كلؤلؤ فى كمال الحسن منتثر
فيها غناء الجوارى الغانيات لهم ... بأحسن الذكر للمولى مع السمر
لباسهم سندس حلاتهم ذهب ... ولؤلؤ ونعيم غير منحصر
والذكر كالنفس الجارى بلا تعب ... ونزهوا عن كلام اللغو والهذر
وأكلها دائم لاشىء منقطع ... كرر أحاديثها ياطيب الخبر
فيها من الخير مالم يجر فى خلد ... ولم يكن مدركا للسمع والبصر
فيها رضا الملك المولى بلا غضب ... سبحانه ولهم نفع بلا غـــير
لهم من الله شىء لا نظير له ... سماع تسليمه والفوز بالنظر
بغير كيف ولا حد ولا مثل ... حقا كما جاء فى القرآن والخبر
وهى الزيادة والحسنى التى وردت ... وأعظم الموعد المذكور فى الزبر
لله قوم أطاعوه وما قصدوا ... سواه إذ نظروا الأكوان بالعبر
وكابدوا الشوق والأنكاد قوتهم ... ولازموا الجد والأذكار فى البكر
يا مالك الملك جدلى بالرضا كرما ... فأنت لى محسن فى سائر العمر

يارب صل على الهادى البشير لنا	وآله وانتصر ياخير منتصر
ماهبّ نشر صبا واهتز نبت ربا	وفاح طيب شذا فى نسمة السحر
أبياتها تسع عشر بعدها مائة	كلامها وعظه أبهى من الدرر

بحمد الله تعالى وتوفيقه تم طبع كتاب [خريدة العجائب وفريدة الغرائب] تأليف « سراج الدين أبى حفص عمر بن الوردى » مصححاً بمعرفتى ؟

رئيس التصحيح

أحمد سعد على

من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨هـ / ٣ يوليه سنة ١٩٣٩م]

ملاحظ المطبعة	مدير المطبعة
محمد أمين عمران	رستم مصطفى الحلبى

﴿ فهرست خريدة العجائب وفريدة الغرائب ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

